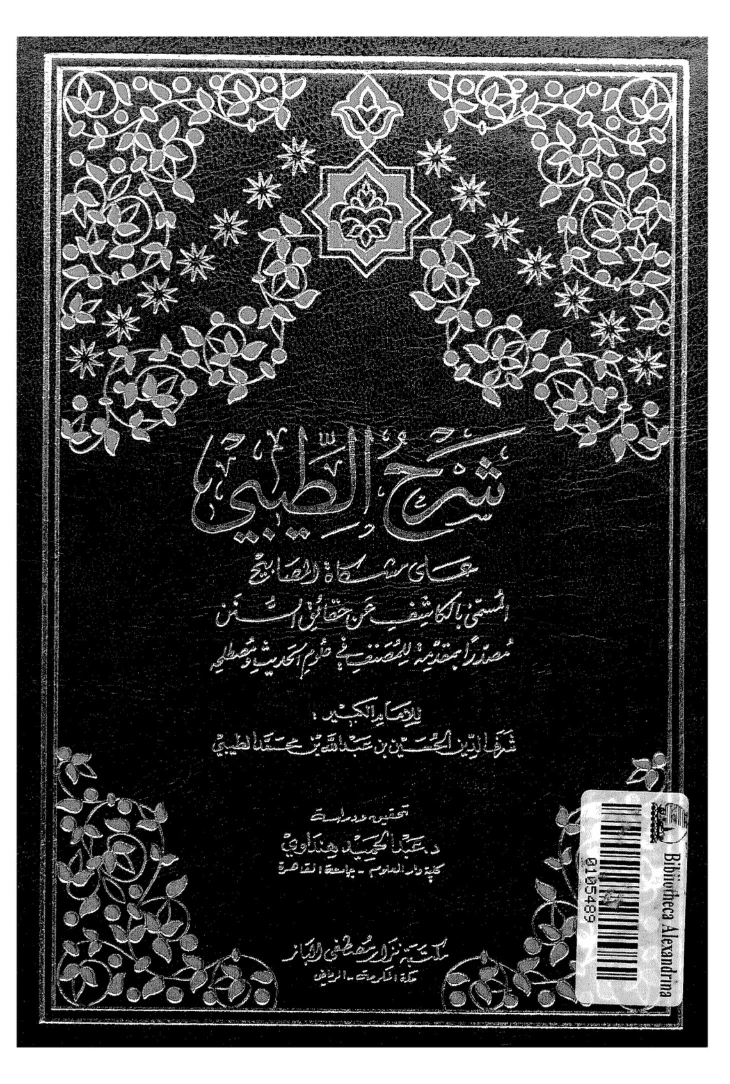
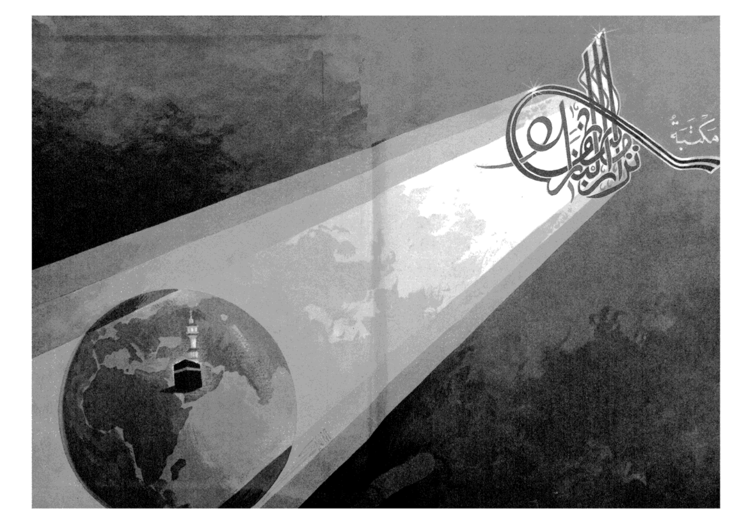
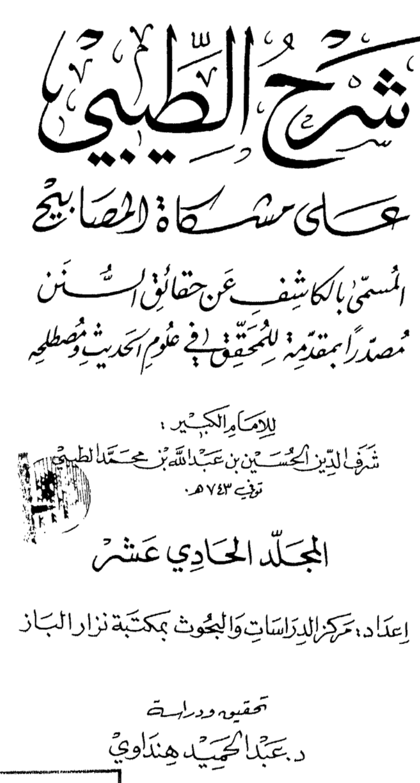

شرح الطيبي
على مشكاة المصابيح
المسمى بالكاشف عن حقائق السنن
مصدراً بمقدمة للمصنف في علوم الحديث ومصطلحه
للإمام الكبير:
شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
تحقيق ودراسة
د. عبد الحميد هنداوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
مكتبة نزار مصطفى الباز
مكة المكرمة - الرياض


مكتبة



شرح الطيبي

على مشكاة المصابيح

المسمى بالكاشف عن حقائق السنن

مصدراً بمقدمة للمحقق في علوم الحديث ومصطلحه

للإمام الكبير:

شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي

توفي ٧٤٣ هـ

المجلد الحادي عشر

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز

تحقيق ودراسة

د. عبد الحميد هنداوي

مكتبة نزار مصطفى الباز

مكة المكرمة - الرياض

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة : الشامية - المكتبة ت ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤
مستودع ٥٣٧٢٣٧٤١ ص.ب : ٣٠١٩

الرياض - شارع السويدي العام المتقاطع مع شارع
كعب بن زهير - خلف أسواق الراجحي ص.ب : ٦٦٩٣
مكتبة : ٤٢٤٠٣٥٣ مستودع : ٤٢١٩١١ ٢ الرمز البريدي : ١١٥٨٦



(٥) باب الرياء والسمعة

الفصل الأول

٥٣١٤ ـ * عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله لا ينظرُ إلى صوَرِكم، ولا أموالِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم» رواه مسلم.

٥٣١٥ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال اللّهُ تعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشركِ، من عملَ عمَلاً أشركَ فيه معي غيري، تركتُه وشركه». وفي رواية: «فأنا منه بريءٌ، هوَ للذي عمله». رواه مسلم.

باب الرياء والسمعة

المغرب: يقال: فعل ذلك سمعة، أي: ليريه الناس من غير أن يكون قصد به التحقيق. وسمع بكذا: شهره تسميعا.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «لا ينظر إلى صوركم» «نه»: معنى النظر هاهنا الاختيار والرحمة والعطف؛ لأن النظر في الشاهد دليل المحبة، وترك النظر دليل البغض والكراهة. وميل الناس إلى الصور المعجبة، والأموال الفائقة، والله يتقدس عن شبه المخلوقين، فجعل نظره إلى ما هو السر واللبّ وهو القلب والعمل، والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أنا أغنى الشركاء» اسم التفضيل هاهنا لمجرد الزيادة، والإضافة فيه للبيان أو على زعم القوم. والضمير المنصوب في «تركته» يجوز أن يرجع إلى «العمل». والمراد من «الشرك» الشريك. «مح»: معناه: أنا أغنى عن المشاركة [وغيرها](*) فمن عمل شيئاً لي ولغيري، لم أقبله بل أتركه مع ذلك الغير، ويدل عليه الحديث الأول من الفصل الثاني. ويجوز أن يرجع إلى العامل، والمراد بالشرك الشركة. وقوله: «هو» يعود إلى «العمل» على الوجه الأول وإلى «العامل» على الوجه الثاني، أي العامل ما عمل به من الشرك، يعني يختص به ولا يتجاوز عنه، وكذا الضمير في «منه».

قال الشيخ أبو حامد: درجات الرياء أربعة أقسام:

الأولى: وهي أغلظها، أن لا يكون مراده الثواب أصلاً كالذي يصلي بين أظهر الناس، ولو انفرد لكان لا يصلي. بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس. فهذا حرد قصده إلى الرياء، فهو الممقوت عند الله تعالى.

---

* زيادة من (ك).

٥٣١٦ - * وعن جُندبٍ، قال: قال النبىُّ ﷺ: «مَن سَّمع سمَّعَ اللهُ به، ومَن يُرائى يُرائى اللهُ به». متفق عليه.

٥٣١٧ - * وعن أبى ذرٍ، قال: قيل لرسولِ الله ﷺ : أرأيتَ الرَّجلَ يعملُ منَ الخيرِ ويحمَدُه الناسُ عليه. وفى رواية: يُحبُّه الناسُ عليه. قال: «تلكَ عاجلُ بشرى المؤمنِ». رواه مسلم.

والثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضا. ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة، لكان لايفعله ولايحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن الثواب، لكان قصد الرياء يحمله على العمل، فقصد الثواب فيه لاينفى عنه المقت.

والثالثة: أن يكون قصد الرياء والثواب متساويين، بحيث لو كان واحد خاليا عن الآخر، لم يبعثه على العمل. فلما اجتمعا انبعثت الرغبة. وظواهر الأخبار تدل على أنه لايسلم رأسا برأس.

والرابعة: أن يكون إطلاع الناس مرجحا مقويا لنشاطه، ولو لم يكن لايترك العبادة، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم ، فالذى نظنه- والعلم عند الله تعالى - أنه [لايحبط]● أصل الثواب، ولكنه ينقص منه، أو يعاقب على مقدار قصد الرياء، ويثاب على مقدار قصد الثواب. [وأمَّا]* قوله: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك» فهو [محمول]** على ما إذا تساوى القصدان ، أو كان قصد الرياء أرجح.

الحديث الثالث عن جندب رضى الله عنه: قوله: «من سمع» «مح»: أى من أظهر عمله للناس رياء، سمع الله به، أى فضحه يوم القيامة. ومعنى «من يرائى» من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، وليس هو كذلك، «يرائى الله به» أى أظهر سريرته على رءوس الخلائق. وقيل: معناه: من سمع بعيوب الناس وأذاعها، أظهر الله عيوبه وقيل أسمعه المكروه. وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه؛ ليكون حسرة عليه. وقيل: معناه: من أراد أن يعلمه الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه.

قال الشيخ أبو حامد: الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإراءتهم الخصال المحمودة. فحد الرياء هو إراءة العباد بطاعة الله، فالمرائى هو العابد والمراءى له هو الناس، والمراءى به هو الخصال الحميدة، والرياء هو قصد إظهار ذلك.

الحديث الرابع عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «أرأيت الرجل» «مظ»: أى أخبرنا بحال

● فى ط: (لا يحيط)، والتصويب من (ك).

* فى ط: «وأن»، والتصويب من (ك).

** فى ط: (معمول)، والتصويب من (ك).

الفصل الثانى

٥٣١٨ - * عن أبى سعدِ بن أبى فَضالةَ، عن رسول الله ﷺ، قال : «إذا جمعَ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ ليومٍ لاريبَ فيه نادى مُناد: مَن كان أشرك فى عملٍ عمله لله أحدًا، فلْيطلب ثوابَه منْ عندِ غيرِ اللهِ؛ فإنّ الله أغنَى الشركاءِ عن الشِّرك». رواه أحمد [٥٣١٨].

٥٣١٩ - * وعن عبدِالله بن عمْروٍ، أنه سَمعَ رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع الناسَ بعملهِ سمَّع اللهُ به أسامِع خلقه وحقَّرهُ وصَغَّره». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان»[٥٣١٩].

من يعمل عملا صالحا لله تعالى لا للناس ويمدحونه، هل يبطل ثوابه؟ فقال ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن» يعنى هو فى عمله ذلك ليس مرائيا، فيعطيه الله تعالى به ثوابين: فى الدنيا وهو حمد الناس له، وفى الآخرة ما أعد الله له.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى سعد رضى الله عنه: بسكون العين، وكذا فى مسند أحمد وفى الاستيعاب وجامع الأصول وفى نسخ المصابيح: أبو سعيد بياء بعد العين. قوله: «ليوم لاريب فيه» اللام متعلق بـ «جمع» معناه: جمع الله الخلق ليوم لابد من حصوله، ولايشك فى وقوعه، لتجزى كل نفس بما كسبت، وقوله: يوم القيامة» توطئة له. ويجوز أن يكون ظرفا لـ «جمع» كما جاء فى الاستيعاب: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ليوم لاريب فيه» الحديث. فعلى هذا قوله: «ليوم لاريب فيه» مظهر وقع موقع المضمر، أى جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه.

الحديث الثانى عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «سمع الله به» «حس»: يقال: سمعت بالرجل تسميعا إذا شهرته. وقوله: «أسامع خلقه» هى جمع أسمع يقال: سمع وأسمع ، وأسامع جمع الجمع، يريد أن الله تعالى [سمّع أسامع]* خلقه به يوم القيامة، ويحتمل أن يكون أراد به أن الله تعالى يظهر للناس سريرته، ويملأ أسماعهم بما ينطوى عليه من خبث السرائر. جزاء لفعله، كما قال ﷺ : «من تتبع عورات المسلمين يتبع الله به عورته حتى يفضحه». ويروى: «سامعُ خلقه» مرفوعا، فيكون السامع من نعت الله تعالى، يريد سمع الله

[٥٣١٨] حسن انظر صحيح الجامع بنحوه برقم (٤٨٢).

[٥٣١٩] شعب الإيمان بنحوه ٦٨٢١ و ٦٨٢٢ وكلاهما عن عبد الله بن عمرو.

* فى (ك): «يسمع أسماع».

٥٣٢٠ - * وعن أنسٍ، أنَّ النبى ﷺ قال: «مَنْ كانتْ نيَّتُهُ طلبَ الآخرةِ جَعَلَ اللهُ غناه فى قلبه، وجَمعَ له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومنْ كانت نيَّتُه طلبَ الدنيا جعَلَ اللهُ الفقرَ بينَ عينَيه. وشتّتَ عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ماكُتب له» رواه الترمذى، ورواه أحمد. [٥٣٢٠]

٥٣٢١ - * والدارمى عن أبان، عن زيد بن ثابت. [٥٣٢١]

٥٣٢٢ - * وعن أبى هريرة، قال قلتُ: يارسول الله ! بينا أنا فى بيتى فى مصلاَّى. إذ دخل على رجلٌ ، فأعجبنى الحال التى رآنى عليها، فقال رسول الله ﷺ «رحمك اللهُ ياأبا هريرة ! لك أجرانِ: أجرُ السر وأجرُ العلانية» رواه الترمذى ، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥٣٢٢]

الذى هو سامع خلقه يعنى يفضحه الله. «فا»: فى هذه الرواية ولو روى بالنصب، لكان المعنى: سمع الله به من كان له سمع من خلقه.

الحديث الثالث عن أنس رضى الله عنه: قوله: «شمله» أى أموره المتفرقة، يقال: جمع الله شمله، أى ما تشتت من أمره، وفرق الله شمله، أى ما اجتمع من أمره فهو من الأضداد. والحديث من باب **التقابل والمطابقة**، فقوله: «جعل الله غناه فى قلبه» مقابل لقوله: «جعل الله الفقر بين عينيه» وقوله: «جمع له شمله» لقوله: «شتت عليه أمره» . وقوله: «وأتته الدنيا وهى راغمة» لقوله: «ولايأتيه منها إلا ما كتب له» فيكون معنى الأول: وأتته ما كتب له من الدنيا وهى راغمة. ومعنى الثانى: وأتته ماكتب له من الدنيا وهو راغم.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بينا أنا فى بيتى فى مصلاى إذ دخل» الحديث. إخبار فيه معنى الاستخبار، يعنى هل يحكم على هذا أنه رياء أم لا؟، ولذلك طابقه قوله ﷺ: «رحمك الله يا أبا هريرة!». أى أعجبنى ما كنت عليه من الخشوع فى صلاتى ليقتدى الرائى بى. «حس»: قيل: معناه فأعجبه رجاء أن يعمل من رآه بمثل عمله، فيكون له مثل أجره. هذا معنى قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها».

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يختلون» «نه»: أى يطلبون الدنيا

[٥٣٢٠] صحيح انظر صحيح الجامع بنحوه ٦٥١٠ عن أنس

[٥٣٢١] الحلية: ٦ : ٣٠٧، ٣٠٨.

[٥٣٢٢] شرح السنة (٤١٤١)

٥٣٢٣ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرج فى آخر الزمان رجالٌ يختلونَ الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوبُ الذئاب، يقول الله: «أبِيَّ يغترُّون أم علىَّ يجترؤون؟ فبى حلفتُ لأبعثنَّ على أولئك منهم فتنةً تدع الحليمَ فيهم حيران» رواه الترمذى. [٥٣٢٣]

٥٣٢٤ - * وعن ابن عمرَ، عن النبى ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى، قال: لقد خلقتُ خلقًا ألسنتهُم أحلى من السكر، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبر، فبى حلفتُ لأتيحنَّهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانَ، فبى يغترون أم علىّ يجترؤون؟» رواه الترمذى وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥٣٢٤]

٥٣٢٥ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ شىءٍ شِرَّةً،

بعمل الآخرة؛ يقال: ختله يختله إذا خدعه وراوغه. قوله: «يلبسون للناس جلود الضأن» كناية عن إظهار التمسكن والتلين مع الناس، وما أحسن **التطابق** بين القولين. أعنى هذا وقوله: «وقلوبهم قلوب الذئاب»، و«أم» فى قوله: «أم علىّ يجترؤون» منقطعة، أنكر أولا اغترارهم بالله و[بإهماله]* إياهم حتى اغتروا، ثم أضرب عن ذلك، وأنكر عليهم ماهو أطم منه، وهو اجتراؤهم على الله.

«شف»: «من» فى «منهم» يجوز أن تكون للتبيين بمعنى الذين، والإشارة إلى الرجال. وتقديره: على أولئك الذين يختلون الدنيا بالدين، وأن يجعل متعلقا بالفتنة، أى لأبعثن على هؤلاء الذين يطلبون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم. انتهى كلامه، ويراد بـ «الحليم» العالم الحازم، وفيه تتميم للمعنى، أى إذا كان حال العالم الحازم كذا فكيف بغيره؟.

الحديث السادس عن ابن عمر رضى الله عنه: قوله: «لأتيحنهم» «نه»: يقال: أتاح الله لفلان كذا أى قدره له وأنزله به والإتاحة التقدير وأتاح له الشىء.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «شرة» «قض»: الشرة بالتشديد الحرص على الشىء والنشاط فيه، وصاحبها فاعل فعل دل عليه ما بعده ونظيره قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ (١) والمعنى أن من اقتصد فى الأمور وسلك الطريق

[٥٣٢٣] ضعيف انظر ضعيف الجامع ٦٤٣٦.

[٥٣٢٤] ضعيف انظر ضعيف الجامع ١٦٢٠.

* فى ط: (بإهمال)، وما أثبتناه فى (ك) وهو الأوفق للسياق.

ولكل شِرَّةٍ فترةَ، فإنْ صاحبُها سدد وقارب فارجوه، وإن أشيرَ اليه بالأصابع فلا تعدّوه» رواه الترمذى. [٥٣٢٥]

٥٣٢٦ - * وعن أنسٍ، عن النبى ﷺ قال: «بحسب امرىءٍ من الشر أن يشار إليه بالأصابع فى دينٍ أو دنيا إلا من عصمه الله». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٣٢٦]

المستقيم واجتنب جانبى إفراط الشرة وتفريط الفترة فارجوه ، ولاتلتفتوا إلى شهرته فيما بين الناس واعتقادهم فيه.

[أقول]* : قد ذهب إلى أن الشرطية الثانية من تتمة الأولى، فلعل الظاهر أن يكون مثلها فى الاستقلال فيكون تفصيلا لذلك المجمل ؛ فإن قوله: «إن لكل شئ شرة» إلخ معناه: إن لكل شيء من الأعمال الظاهرة والأخلاق الباطنة طرفين: إفراطا وتفريطا، فالمحمود القصد بينهما، فإن رأيت** أحدا يسلك سبيل القصد، فارجوه أن يكون من الفائزين ولا تقطعوا له؛ فإن الله هو الذى يتولى السرائر. وإن رأيته** يسلك سبيل الإفراط والغلو حتى يشار إليه بالأصابع فلا تفشوا القول فيه بأنه من الخائنين؛ فإن الله هو الذى يطلعٌ على الضمائر. ويؤيد هذا التأويل الحديث الذى يليه والاستثناء فيه، وترك ما للقسم الثالث، ولم يذكره لظهوره.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه: قوله: «من الشر أن يشار إليه» أى حب الرئاسة والجاه فى قلوب الناس، وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة؛ فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات، وحملوها بالقهر على أصناف العبادات ، عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح ، فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه فى المحافل، فأصابت النفس فى ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته. وإنما حياته هذه [الشهوة]● الخفية التى تعمى عن دركها إلا العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله تعالى من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين. وهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها إلا الصديقون؛ ولذلك قيل: آخر

[٥٣٢٥] حسن: «صحيح الترمذى ٢٥٨٣»

[٥٣٢٦] ضعيف انظر ضعيف الجامع ٢٣٢٠

(١) التوبة : ٦ .

* فى (ط): (أقوله)، والتصويب من (ك).

** كذا فى الأصل، وحق فعل الشرط أن يكون كجواب الشرط للجمع.

● فى ط : (الشهوات)، وما أثبتناه من (ك).

الفصل الثالث

٥٣٢٧ - * عن أبى تميمة، قال: شهدت صفوانَ وأصحابه وجندبٌ يوصيهم، فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة، ومن شاقَّ شقَّ اللهُ عليه يوم القيامة» قالوا: أوْصِنا. فقال: إنَّ أول ما يُنتنُ من الإنسان بطنُه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبًا فليفعل، ومن استطاعَ أن لايحول بينَه وبينَ الجنة ملءُ كفٍ من دمٍ اهراقه فَلْيَفْعل. رواه البخارى.

٥٣٢٨ - * وعن عمر بن الخطاب، أنَّه خَرَجَ يومًا إلى مسجد رسول الله ﷺ فوجَد معاذ بن جبل قاعدًا عند قبر النبى ﷺ يبكى، فقال: مايبكيك؟ قال: يبكينى

مايخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة، وهو أعظم شبكة للشياطين، فإذًا المحمود المخمول، إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف منه، كالأنبياء والخلفاء الراشدين، والعلماء المحققين والسلف الصالحين.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبى تميمة: قوله: «من شاق» أطلق ليشمل المشقة على نفسه وعلى الغير بأن يكلف نفسه أو غيره بما هو فوق طاقته، ومنه قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك» «نه»: أى لولا أن أثقل عليهم، من المشقة وهى الشدة.

قوله: «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه» كناية عن مسه النار، وإنما يفتقر إلى هذا التأويل؛ ليطابق قوله: «فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبا» أى حلالا، ونظيره قوله تعالى **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا﴾**(١) وعقب بقوله: «**وسيصلون**» قوله: «**إنما يأكلون فى بطونهم نارًا**» [دلالة على أن أول مايمس النار هو البطن]* . وقوله: «ملء كف من دم» إنما قلله تسفيها لرأى من يرتكب هذا المحظور تهجينا لفعله؛ فإنه يفوت على نفسه الجنة التى عرضها السماوات والأرض بهذا الحقير.

الحديث الثانى عن عمر رضى الله عنه: قوله: «لله وليا» لايجوز أن يكون متعلقا بـ «عادى» فهو إما متعلق بقوله: «وليا» أو صفة له، قدم فصار حالا منه. وقوله: «إن الله يحب الأبرار». استئناف مبين لحقيقة الولى، وذكر لهم أحوالا ثلاثة: إذا كانوا سفرًا لم يتفقدوا ، وإذا

---

(١) النساء : ١٠.

* كذا فى (ط)، وفى ك: (دلالة على أنه ما تمس النار منه هو البطن).

شيءٌ سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ يسير الرياء شرك، ومن عادى لله وليًا فقد بارز الله بالمحاربة، إنَّ الله يحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يُتفَقَّدوا، وإن حضروا لم يُدْعَوا ولم يُقرَّبوا، قلوبهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كل غَبْراءَ مظلمة». رواه ابن ماجه ، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٣٢٨]

٥٣٢٩ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا صلى فى العلانية فأحسن، وصلى فى السر فأحسن؛ قال الله تعالى: هذا عبدى حقًا» . رواه ابن ماجه. [٥٣٢٩]

٥٣٣٠ -* وعن معاذ بن جبل، أنَّ النبى ﷺ قال: «يكونُ فى آخر الزمان أقوامٌ، إخوان العلانية، أعداءُ السريرة». فقيل: يارسول الله! وكيف يكونُ ذلك؟ قال: «ذلك برغبة بعضهم إلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض». [٥٣٣٠]

٥٣٣١ - * وعن شداد بن أوس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى يرائى فقد أشركَ، ومن صام يرائى فقد أشرك، ومن تصدَّق يرائى فقد أشرك». رواهما أحمد. [٥٣٣١]

كانوا حاضرين لم يدعوا إلى مأدبة، وإن حضروها لم يقربوا، وتركوا فى [صفٍّ]* النعال. وهذا تفصيل ما ورد: «رب أشعث أغبر لايؤبه له».

وقوله : «يخرجون من كل غبراء مظلمة» كناية عن حقارة مساكنهم وأنها مظلمة مغبرة لفقدان أداة ما يتنور به ويتنظف به. وطابق فى القرينتين بين النور والظلمة كما طابق المعرى فى قوله:

مراستها أمست لنور مراسيا فما تظلم الأبيات إلا من الظلم.

الحديث الثالث والرابع عن معاذ رضى الله عنه: قوله: «أعداء السريرة» و«فى» مقدرة فيها وفى قرينتها. الجوهرى: السر مايكتم والسريرة مثله.

الحديث الخامس والسادس عن شداد رضى الله عنه قوله: «شهوة من شهواته» كالأكل

[٥٣٢٨] ضعيف انظر ضعيف الجامع ٢٠٢٨ من حديث معاذ.

[٥٣٢٩] ضعيف انظر ضعيف الجامع ١٤٩٨.

[٥٣٣٠] المسند (٥/ ٢٣٥).

[٥٣٣١] المسند (٤/ ١٢٦).

* فى ط: (وصف)، والتصويب من (ك).

٥٣٣٢ - * وعنه ، أنه بكى ، فقيل له: مايبكيك؟ قال: شيء سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول، فذكرته، فأبكانى، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتخوَّفُ على أمتى الشرك والشهوة الخفيَّة» قال: قلت: يارسول الله ! أتُشرك أمتُك من بعدك؟ قال: «نعم؛ أمَا إنهم لايعبدون شمسًا، ولاقمرًا، ولاحجرًا ، ولاوثنًا، ولكن يراؤون بأعمالهم. والشهوة الخفيَّة أن يصبح أحدهم صائمًا، فتَعْرض له شهوة من شهواته فيترك صومه». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٣٣٢]

٥٣٣٣ - * وعن أبى سعيدٍ الخدرىِّ، قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نتذاكرُ المسيحَ الدَّجالَ، فقال: «ألا أُخبرُكم بما هو أخوَفُ عليكم عندى من المسيحِ الدَّجالِ؟» فقُلنا: بَلى يارسولَ الله! قال: «الشِّركُ الخفىُّ، أنْ يقومَ الرجلُ فيصلى، فيزيد صلاتَه لما يَرى من نظرِ رجلٍ». رواه ابن ماجه. [٥٣٣٣]

٥٣٣٤ - * وعن محمودِ بنِ لبيد، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ». قالوا: يارسولَ الله! وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «الرِّياءُ». رواه أحمد. وزاد البيهقى فى «شعب الإيمان»: «يقولُ اللهُ لهم يومَ يجازى العبادَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذينَ كنتم تراءونَ فى الدنيا، فانظـروا هلْ تجدون عندهم جزاء وخيرًا؟». [٥٣٣٤]

والجماع وغيرهما، يعنى إذا كان الرجل فى طاعة من[طاعات]* الله تعالى، فتعرض له شهوة من شهوات نفسه، رجَّح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه، فيؤديه ذلك إلى الهلاك والردى، ﴿**فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هى المأوى**﴾(١). سمى خفيا لخفاء هلاكه أو مشاكله لقوله: «الشرك»؛ لأن المراد منه الشرك الخفى بدلالة ماذكر فى الحديث الآتى.

الحديث السابع عن أبى سعيد رضى الله عنه قوله: «ألا أخبركم» «ألا» ليست للتنبيه، بل هى لا النافية، دخلت عليها همزة الاستفهام.

[٥٣٣٢] ضعيف: انظر ضعيف ابن ماجه ٩٢١ و(ضعيف الجامع ١٣٧٨).

[٥٣٣٣] حسن: انظر صحيح ابن ماجه ٤٢٠٤.

[٥٣٣٤] صحيح: انظر صحيح الجامع بنحوه ١٥٥٥.

(١) النازعات : ٣٧-٣٩.

* فى (ط): (طاعة)، وما أثبتناه من (ك).

٥٣٣٥ - * وعن أبى سعيد الخُدرىِّ : قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّ رجلا عمِلَ عملا فى صخرةٍ لابابَ لها ولا كوَّة، خرجَ عملُه إلى النَّاسِ كائنًا ماكانَ». [٥٣٣٥]

٥٣٣٦ - * وعن عثمانَ بنِ عفَّانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانتْ له سريرةٌ صالحةٌ أو سيِّئةٌ؛ أظهرَ اللهُ منها رِداءً يُعرفُ به». [٥٣٣٦]

٥٣٣٧ - * وعن عمرَ بنِ الخطابِ، عن النبى ﷺ، قال: «إنما أخافُ على هذه الأمةِ كلَّ مُنافقٍ يتكلمُ بالحكمةِ ويعملُ بالجورِ». روى البيهقى الأحاديث الثلاثةَ فى «شعب الإيمان». [٥٣٣٧]

٥٣٣٨ - * وعن المهاجر بنِ حبيبٍ، قال: قال رسولُ اللهﷺ: « قال اللهُ تعالى: إِنى لستُ كلَّ كلامِ الحكيم أتقبَّلُ، ولكنى أتقبَّلُ همَّه وهَواه، فإنْ كانَ همُّه وهواهُ فى طاعتى جعلتُ صمته حمْدًا لى ووقارًا وإِنْ لم يتكلَّمْ». رواه الدارمى. [٥٣٣٨]

(٦) باب البكاء والخوف

الفصل الأول

٥٣٣٩ - * عن أبى هريرة ، قال: قال أبو القاسم ﷺ : «والذى نفْسى بيده لو تعلمونَ ما أعلمُ لبكيتم كثيرًا ولضحِكتم قليلا». رواه البخارى.

الحديث الثامن إلى الثانى عشر عن عمر رضى الله عنه: قوله: «كل منافق» يجوز أن يكون منصوبًا، أى أخاف على هذه الأمة شر كل منافق، ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من قوله: «هذه الأمة» أى أخاف عليهم من النفاق.

باب البكاء والخوف

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لو تعلمون ما أعلم» أى عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة، وكشف السرائر وخبث النيات.

[٥٣٣٥] شعب الإيمان (٦٩٤٠) وفى إسناده دراج عن أبى الهيثم قال الحافظ: صدوق، فى حديثه عن أبى الهيثم ضعف. وانظر «التقريب».

[٥٣٣٦] شعب الإيمان ٦٩٤٢ وفى إسناده حفص بن سليمان الأسدى القارىء صاحب عاصم. قال الحافظ: متروك الحديث مع إمامته فى القراءة وانظر «التقريب».

[٥٣٣٧] شعب الإيمان ١٧٧٧ [٥٣٣٨] قال الشيخ : وإسناده ضعيف.

٥٣٤٠ - * وعن أمِّ العلاءِ الأنصاريَّةِ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ : «واللهِ لا أدرى، والله لا أدرى، وأنا رسولُ الله ، ما يُفعل بى ولابكم». رواه البخارى.

٥٣٤١ - * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرِضتْ عليَّ النَّارُ، فرأيتُ فيها امرأةً منْ بنى إسرائيلَ تُعذبُ فى هرَّةٍ لها، ربطتها فلم تُطعمْها ولم تدَعْها تأكُلُ منْ خشاشِ الأرضِ حتى ماتتْ جوعا، ورأيتُ عمْرو بنَ عامرٍ الخزاعيَّ يجرُّ قُصْبَه فى النارِ، وكانَ أوَّلَ من سيَّبَ السَّوائب». رواه مسلم.

قال الشيخ أبو حامد: هذا الحديث من الأسرار التى أودعها قلب الأمين الصادق محمد ﷺ، [ولايجوز]* إفشاء السر؛ فإن صدور الأحرار قبور الأسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولايضحكوا؛ فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحى بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك. فبالحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحى والتعوذ من القلب الغافل. انتهى كلامه. وقوله: «لبكيتم» جواب القسم الساد مسدّ جواب «لو».

الحديث الثانى عن أم العلاء: قوله: «لا أدرى، وأنا رسول الله» فيه وجوه:

أحدها: أن هذا القول منه حين قالت امرأة لعثمان بن مظعون - لما توفى - : هنيئًا لك الجنة؛ زجرا لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب، ونظيره قوله لعائشة رضى الله عنها حين سمعها تقول: طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة: أو غير ذلك ياعائشة!.

وثانيها : أن يكون هذا منسوخا بقوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وماتأخر**﴾(١) كما ذكره ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولابكم**﴾(٢).

وثالثها: أن يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة.

ورابعها: أن يكون مخصوصا بالأمور الدنيوية من غير النظر إلى سبب ورود الحديث.

«تو»: لايجوز حمل هذا الحديث وما ورد فى معناه على أن النبى ﷺ كان مترددا فى عاقبة أمره، غير متيقن بماله عند الله من الحسنى؛ لما ورد عنه من الأحاديث الصحاح التى ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك، وأنى يحمل على ذلك؟ وهو المخبر عن الله تعالى أنه يبلغه المقام المحمود، وأنه أكرم الخلائق على الله تعالى، وأنه أول شافع وأول مشفع.

الحديث الثالث عن جابر رضى الله عنه قوله: «من خشاش الأرض» «نه» : أى هوامها

---

(١) الفتح : ٢ .

(٢) الأحقاف: ٩ .

* فى الأصل: (لايجوز) بدون واو، وإثبات الواو اقتضاه السياق.

٥٣٤٢ - * وعن زينبَ بنتِ جحشٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها يومًا فزعًا يقولُ: «لا إله إلا اللهُ ، ويلٌ للعربِ من شرٍ قد اقتربَ، فُتحَ اليومَ منْ رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه» وحلَّقَ بأصبعَيه: الإبهامِ والتى تَليها. قالتْ زينبُ: فقلتُ: يارسولَ الله! أفنهلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: «نعمْ، إذا كثُرَ الخَبَثُ». متفق عليه.

٥٣٤٣ - * وعن أبى عامرٍ، أو أبى مالكٍ الأشعرىِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ليكونَنَّ من أمتى أقوامٌ يستحلُّونَ الخزَّ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ، ولينزلَنَّ أقوامٌ إلى جَنبِ عَلَمٍ يروحُ عليهم بسارِحةٍ لهم، يأتيهم رجلٌ لحاجة فيقولونَ: ارجِع

وحشراتها . قوله: «عمرو بن عامر» «تو»: هو أول من سن عبادة الأصنام بمكة، وحمل أهلها بالتقرب إليها بتسييب السوائب، وهو أن يترك الدابة فتسيب حيث شاءت فلا ترد عن حوض ولاعلف ، ولايتعرض لها بركوب ولاحمل، وكانوا يسيبون العبيد أيضا بأن يعتقوهم، ولايكون للمعتق ولاء، ولا على المعتق حجر فى ماله، فيضعه حيث شاء. [ويقال له: إنه سائبة]*. والقصب- بالضم - المعَى، ولعله كوشف من سائر ما كان يعاقب به في النار. «يجر قصبه فى النار» لأنه استخرج من باطنه بدعة جر بها: [الجريرة]** إلى قومه. والله أعلم.

الحديث الرابع عن زينب رضى الله عنها: قوله: «من ردم يأجوج» «نه»: يقال ردمت الثلمة ردما إذا شددتها والاسم والمصدر فيه سواء. وأراد بالخبث الفسق والفجور. «حس»: هو مصدر خبث يخبث خبثا.

الحديث الخامس عن أبى عامر رضى الله عنه: قوله: «من أمتى» كذا هو فى نسخ البخارى، وقد وقع فى المصابيح «فى أمتى» و«المعازف»: الملاهى. والعازف: اللاعب بها. و«العلم»، الجبل. والسارح والسارحة والسرح سواء: الماشية، وسرح المال إذا أطلقه يرعى، وسرح بنفسه والمال سارح. قوله: «يستحلون الحر» «تو»: الحر بتخفيف الراء الفرج. وقد صحف هذا اللفظ فى كتاب المصابيح، وكذلك صحفه بعض الرواة من أصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء والزاى المنقوطتين، والخزُّ لم يحرم حتى يستحل ، ولقد وجدت من الناس من اغتر بخط مَن كان يعرف بعلم الحديث وحفظه، وقد كان قيده بالخاء والزاى المنقوطتين حتى يثبت له أنه صحف، أو اتبع رواية بعض من لم يعلم.

وقال فى قوله: «يروح عليهم بسارحة» سقط منه فاعل «يروح» فالتبس المعنى على من لم يعلم به، وإنما الصواب: يروح عليهم رجل بسارحة لهم، كذلك رواه مسلم فى كتابه. وإنما السهو من المؤلف ؛ لأنا وجدنا النسخ سائرها على ذلك. وقال أيضا فى قوله: «ويضع العلم» سقط عنه كلمة وهى «عليهم».

---

* فى (ك) : «ويقول له: إنك سائبة».

** فى (ط): (الجرير)، وما أثبتناه من ك.

إلينا غدًا ، فيُبيتهمُ اللهُ، ويضعُ العلمَ، ويمسخُ آخرين قردةً وخَنازيرَ إلى يوم القيامةِ». رواه البخاريُّ. وفى بعض نسخ« المصابيح»: «الحر» بالحاءِ والراءِ المهملتينِ، وهو تصحيفٌ، وإنما هوَ بالخاءِ والزاى المعجمتينِ، نصَّ عليه الحميدىُّ وابن الأثير فى

أقول: أما قوله: أولا قد صحف. . إلخ. فجوابه ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين فى هذا الحديث بعد ما روى: «يستحلون الخزَّ» بالخاء والزاى المعجمتين. قال: والذى ذكره أبو إسحاق الحربى فى باب الحاء والراء ليس من هذا فى شئ، إنما هو حديث آخر عن أبى ثعلبة عن النبى ﷺ قال «أول دينكم نبوة ورحمة، ثمَّ ملك ورحمة وخيرة، ثم ملك عض يستحل فيه الحر والحرير»، يريد استحلال الحرام من الفروج. وهذا لايتفق مع الذى أخرجه البخارى. وكذلك أخرجه أبو داود فى السنن فى كتاب اللباس فى باب الخز ولباسه، وإنما ذكرنا ذلك لأن من الناس من يتوهم فى ذلك شيئا فبيناه. وحديث أبى ثعلبة ليس من شرط الصحيح، تم كلامه. وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية فى باب الحاء والراء المهملتين.

وأما قوله ثانيا: والخز لم يحرم حتى يستحل. . . فجوابه ما ذكره ابن الأثير فى النهاية فى حديث على : «أنه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه»: الخز المعروف أولا أى فى الزمان الأول ثياب تنسج من صوف وإبريسم وهى مباحة، وقد لبسها الصحابةوالتابعون، فيكون النهى عنها لأجل التشبه بالعجم وزىِّ المترفين. وإن أريد بالخز النوع الآخرِ، وهو المعروف الآن فهو حرام؛ لأن جميعه معمول من الإبريسم، وعليه يحمل الحديث الآخر يعنى هذا الحديث: «يستحلون الخز والحرير» . تم كلامه.

فإن قيل: كيف يعطف الحرير على الخز والأول مكروه والثانى حرام على المعنى الأول، وعلى الثانى يلزم عطف الشئ على نفسه أو كيف يحرم وإنه لم يكن مصطلحا حينئذ؟ والجواب عن الأول أنه ﷺ ذهب إلى التغليب إرادة التغليظ. والجواب عن الثانى أنه عطف بيان كقول الحماسى:

الكاعب الحسناء ترفـ ـــــل فى الدمقس وفى الحرير

فإن الدمقس هو الحرير وإنه إخبار عن الغيب وكان معجزة.

وأما قوله ثالثا: سقط منه فاعل «يروح» فالتبس المعنى ، فجوابه أنه ما التبس منه بل رواه البخارى كما فى المصابيح، ولكن الحميدى والخطابى وصاحب جامع الأصول ذكروا «تروح عليهم سارحة» بالتاء المقيدة بالنقطتين، ويرفع «سارحة» على الفاعلية فوجب أن يقال: إن الباء زائدة فى الفاعل لتتفق الروايتان ويستقيم المعنى، ويستدل بهذه الرواية على أن الباء تزاد فى الفاعل كما استدل بقول امرىء القيس:

هذا الحديث. وفى كتاب «الحميدى» عن البخارىٍّ، وكذا فى «شرحه» للخطابى : «تروحُ عليهم سارحَةٌ لهم يأتيهم لحاجةٍ».

ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن نملك* بيقرا

وأما نسبته إلى «مسلم» وأنه رواه فى كتابه كذا فهو سهو منه؛ لأنى ما وجدت الحديث فى كتاب مسلم. فكيف؟ وقد أورده الحميدى فى أفراد البخارى فحسب، وصاحب جامع الأصول رواه عن البخارى وأبى داود.

وأما قوله رابعا، وقد سقط منه كلمة «عليهم» فإنى ما وجدت فى الأصول هذه الكلمة ثابتة فإن قلت: كيف يكون نزول بعضهم إلى جنب علم، ورواح سارحتهم عليهم، ودفعهم [ذا]** الحاجة بالمطل والتسويف، سببا لهذا العذاب الأليم والنكال الهائل؟. قلت: إنهم لما بالغوا فى الشح والمنع بولغ فى العذاب، وبيان ذلك أن فى إيثار ذكر العلم على الجبل إيذانا بأن المكان مخصب ممرع ومقصد لذوى الحاجات ، فيلزم منه أن يكونوا ذوى ثروة وموئلا للملهوفين. فكما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان فى قوله: «يروح عليهم سارحتهم» وتعديته بـ «على» المنبهة بالاستعلاء على أن ثروتهم حينئذ أوفر وأظهر، وأن احتياج الواردين أشد ؛ لأنهم أحوج [ما يكون]● حينئذ.

وفى قولهم : ««ارجع إلينا غدا» **إدماج** لمعنى الكذب، وخلف الموعد واستهزاء بالطالب. فإذن يستأهلون أن يعذبوا بكل نكال، وإنما قلنا: إن العلم يدل على الشهرة والمقصد قول الخنساء فى مدح أخيها:

كأنه علم فى رأسه نار

نبهت به على أن أخاها مشهور معروف فى ملجأ الملهوفين، ومأمن للمضطرين؛ فإن رواح السارحة دل على وفور الثروة وظهورها كقوله تعالى: ﴿ **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**﴾(1).

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح؟ قلت: لأن الجمال فى الإراحة أظهر إذا أقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر [وملجائه]▲. «خط»: فيه بيان أن المسخ قد يكون فى هذه الأمة، وكذلك الخسف كما كانا فى سائر الأمم، خلاف قول من زعم أن ذلك لايكون، إنما مسخها بقلوبها.

---

(1) النحل :٦.

* كذا فى (ط) وغير واضحة فى «ك»، ولعلها «ملك» سمًا، (مالك) نطقًا.

▲كذا فى (ط)، وغير موجودة فى (ك).

**فى (ط): (ذى)، والتصويب من «ك»، إذ هى من باب إعمال المصدر النصب فى المفعول.

● فى (ط): (ما يكونون)، وما أثبتناه من (ك).

٥٣٤٤ - * وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أنزلَ اللهُ بقومٍ عذابًا أصابَ العذابُ من كانَ فيهم، ثمَّ بعِثوا على أعمالهم». متفق عليه.

٥٣٤٥ - * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه». رواه مسلم.

الفصل الثانى

٥٣٤٦ - * عن أبى هريرةَ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «ما رأيتُ مثلَ النارِ نامَ هارِبُها، ولامثلَ الجنةِ نامَ طالبُها ». رواه الترمذى. [٥٣٤٦]

٥٣٤٧ - *وعن أبى ذرٍّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنى أرى ما لاترونَ، وأسمع مالا تسمعونَ، أطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أنْ تئطَّ ،والذى نفْسى بيدِه مافيـها مـوَضِـعُ

الحديث السادس والسابع عن ابن عمر رضى الله عنه: قوله: «من كان فيهم» «مظ» : يعنى إذا أذنب بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان فى القوم، سواء فيه المذنب وغيره بشؤمه، ولكنهم مجزيون يوم القيامة على حسب أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «مثل النار» «مظ»: يعنى النار شديدة والخائفون منها [نائمة غافلة]*، وليس هذا طريق الهارب، بل طريقه أن يهرب من المعاصى إلى الطاعات. أقول: «مثل» هاهنا كما فى قول [العبقرى]**:

مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب

جوابا عن قوله: لأحملنك على الأدهم، أى مثل الجنة [الصافية]● فى نعيمها الصافية عن الكدورات وخلودها المنزه عن الفناء والزوال، وفيه معنى التعجب، أى ما أعجب حال هذه الجنة الموصوفة بهذه الصفات، وحال طالبها الغافل عنها، هذا إذا لم يكن «رأيت» من أفعال القلوب، وأما إذا كان منها فقوله «نام هاربها» يكون مفعولا ثانيا له.

الحديث الثانى عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «أطت السماء» «نه»: الأطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها، أى إن كثرة مافيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثمة أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير

[٥٣٤٦] حسن انظر صحيح الجامع ٥٦٢٢.

* كذا فى الأصل.

** كذا فى ط، وفى (ك): (القبعترى).

● زيادة من (ك).

أربعةِ أصابعَ إلا وملَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدٌ لله، والله لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرًا، وماتلذَّذتم بالنساءِ على الفُرُشات، ولَخرجتم إلى الصُّعُداتِ تجأرونَ إلى الله». قال أبو ذرٍ: ياليتنى كنتُ شجرةً تُعضَدُ . رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه. [٥٣٤٧]

٥٣٤٨ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خافَ أدلَجَ، ومَنْ أدلجَ بلغَ المنزلَ. ألا إنَّ سِلعةَ اللهِ غاليةٌ ، ألا إنَّ سلعة اللهِ الجنَّةُ» رواه الترمذى. [٥٣٤٨]

عظمة الله تعالى. و«الصعدات» الطرق وهى جمع صعد، وصعد جمع صعيد. وقيل: هى جمع صعدة كظلمة، وهى فناء باب الدار وممر الناس بين يديه انتهى كلامه. قوله: «أربع» بغيرهاء فى جامع الترمذى وابن ماجه، ومع الهاء فى شرح السنة وبعض نسخ المصابيح. والإصبع تذكر وتؤنث. وقوله: «موضع أربعة أصابع» فاعل للظرف المعتمد على حرف النفى، والمذكور بعد «إلا» حال منه، أى وفيه ملك.

«تو» المعنى لخرجتم من منازلكم إلى الجبانة متضرعين إلى الله تعالى، ومن حال المحزون أن يضيق به المنزل، فيطلب الفضاء الخالى لبث الشكوى، وقوله: قال أبو ذر: ليتنى كنت شجرة تعضد، أى تقطع، هو من قول أبى ذر، ليس فى كتاب أحد ممن نقل هو عن كتابه «قال أبو ذر» بل أدرج فى الحديث. ومنهم من قال: قيل: هو من قول أبى ذر، وقد علموا أنه بكلام أبى ذر أشبه. والنبى ﷺ أعلم بالله من أن يتمنى عليه حالا هى أوضع مما هو فيه ثم إنها مما لاتكون.

أقول: فى جامع الترمذى وجامع الأصول هكذا «تجأرون إلى الله، لوددت أنى شجرة تعضد» وفى رواية: إن أبا ذر قال: لوددت أنى شجرة تعضد. ويروى عن أبى ذر موقوفا وفى سنن ابن ماجه كما فى المتن ونسخ المصابيح: قال أبو ذر: ياليتنى. . .!» إلخ وللبحث فيه مجال.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «من خاف أدلج» قيل: من خاف من هجوم العدو عليه وقت السحر، يسير فى الليل ويبلغ المأمن. هذا مثل ضربه النبى ﷺ لسالك الآخرة؛ فإن الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه؛ فإن تيقظ فى سيره وأخلص النية فى عمله أمن من الشيطان وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق

[٥٣٤٧] حسن انظر صحيح الجامع ٢٤٤٩

[٥٣٤٨] صحيح انظر صحيح الجامع ٦٢٢٢

٥٣٤٩ - * وعن أنسٍ، عن النبىِّ ﷺ قال: «يقولُ اللهُ جلَّ ذكرُه: أخرجوا منَ النَّارِ مَن ذكرنى يومًا أو خافَنى فى مقامٍ». رواه الترمذى ، والبيهقى فى «كتاب البعث والنشور». [٥٣٤٩]

٥٣٥٠ - * وعن عائشة ، قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿والذينَ يؤتونَ ما آتوا وقُلوبُهم وَجِلَةٌ﴾(١) أهُم الذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقون؟ قال: «لا، يابنتَ الصدِّيق! ولكنهم الذين يصومونَ ويصلونَ ويتصدَّقونَ، وهُم يخافونَ أن لايُقبل منهم، أولئكَ الذين يسارِعونَ فى الخيراتِ». رواهُ الترمذى، وابن ماجه. [٥٣٥٠]

الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لايحصل بأدنى سعى، فقال: «ألا إن سلعة الله غالية» أى رفيعة القدر وسلعة الله الجنة العالية الباقية، ثمنها الأعمال الخالصة الباقية التى أشار إليها بقوله سبحانه: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملا﴾(١).

الحديث الرابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «من ذكرنى يومًا» أراد الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله تعالى عن إخلاص القلب وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة» والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصى وتقييدها بالطاعات، وإلا فهو حديث نفس وحركة خاطر، لا يستحق أن يسمى خوفا، وذلك عند مشاهدة سبب هائل، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة. قال الفضيل: إذا قيل لك: هل تخاف الله؟ فاسكت؛ فإنك إذا قلت: «لا» كفرت، وإذا قلت: «نعم» كذبت، أشار به إلى الخــوف الذى هو كف الجوارح عن المعاصى.

الحديث الخامس عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «يؤتون ما آتوا» (٢) هكذا هو فى نسخ المصابيح وهو القراءة المشهورة، ومعناه يعطون ما أعطوا. وسؤال عائشة رضى الله عنها: «أهم الذين يشربون الخمر...؟ إلخ . لايطابقها، وقراءة رسول الله ﷺ : «يؤتون ما أتوا» بغير مد أى يفعلون مافعلوا، وسؤالها مطابق لهذه القراءة، وهكذا هو فى تفسير الزجاج والكشاف.

الحديث السادس عن أبى بن كعب رضى الله عنه: قوله: «يا أيها الناس!» أراد به النائمين

[٥٣٤٩] انظر شعب الإيمان ٧٤٠

[٥٣٥٠]قال الشيخ مقبل بن هادى الوادعى: هذا الحديث رجاله رجال الصحيح، وهو منقطع، ففى تهذيب التهذيب فى ترجمة عبدالرحمن بن سعيد: روى عن عائشة ولم يدركها. وانظر (أحاديث معلة ظاهرها الصحة ح٣٧٥).

(١) الكهف : ٤٦ .

(٢) المؤمنون : ٦٠ .

٥٣٥١ - * وعن أبي بن كعب، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا ذهبَ ثلُثا الليلِ قامَ فقال: «يا أيُّها الناسُ! اذكروا اللهَ، اذكروا الله ، جاءت الرَّاجفةُ، تتبعُها الرادفةُ ، جاءَ الموتُ بما فيه، جاءَ الموتُ بما فيه». رواه الترمذي. [٥٣٥١]

٥٣٥٢ - * وعن أبي سعيد، قال: خرجَ النبيُّ ﷺ لصلاة فرأى النَّاسَ كأنَّهم يكتشرون قال: «أمَا : إنَّكم لو أكْثرتُم ذكر هاذمِ اللذات لشغلكم عمَّا أرى [الموتُ]*، فأكثروا ذكر هاذمِ اللذاتِ، الموتِ، فإنه لم يأتِ على القبر يومٌ إلا تكلَّم فيقول: أنا بيتُ الغربة، وأنا بيتُ الوحدة، وأنا بيتُ التراب، وأنا بيتُ الدُّودِ، وإذا دُفن العبدُ المؤمنُ قال له القبر: مَرحبًا وأهلا ، أمَا إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إليَّ ، فإذ وُليتُكَ اليوم وصرتَ إليَّ فسترى صنيعى بك». قال: «فيتَّسع له مَدَّ بَصَرِه، ويُفتحُ له بابٌ إلى الجنَّة، وإذا دفن العبدُ الفاجرُ أو الكافرُ قال له القبر: لامرحبًا ولا أهلا،

من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد. وأراد بـ «الراجفة» النفخة الأولى التى يموت منها جميع الخلق، والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا [تمخض]** . وأراد بالرادفة النفخة الثانية ردفت النفخةَ الأولى. أنذرهم ﷺ باقتراب الساعة؛ لئلا يغفلوا عن اسنعدادها.

الحديث السابع عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «يكتشرون» «تو» : أى يضحكون والمشهور فى اللغة الكشر يقال: كشر الرجل إذا افتر فكشف عن أسنانه، وكشر البعير عن نابه أى كشف عنها. قوله: «الموت» بيان لقوله: «هاذم اللذات» للتصريح بقوله فيما بعده «هاذم اللذات، الموت» .

وقوله: «عما أرى» عما أراكم فيه من الاكتشار والضحك. وقوله: «إلا تكلم» أى بلسان الحال كما تقول: الحال ناطقة بكذا. وقوله: «أما إن كنت» إن فيه مخففة من الثقيلة، واللام فارقه، وفى «إذ» معنى التعليل. و«وليتك» من التولية مجهولا، و«وليتك» من الولاية معلوما.

قوله: «العبد الفاجر أو الكافر» «أو» لشك الراوى. والمعنى بـ «الفاجر» الكافر لوقوعه فى مقابلة قوله: «العبد المؤمن» ونظيره قوله تعالى: ﴿**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقًا**﴾ (١). قوله: «من حفر النار» كذا فى جامع الترمذى وجامع الأصول وأكثر نسخ المصابيح ، وفى

[٥٣٥١] حسن: صحيح الترمذى «٢٥٨٧» مختصراً.

(١) السجدة : ١٨ .

* بالرفع بتقدير: هو الموت، ويجوز الجر بدل من هاذم، والنصب بإضمار: اعنى. مستفاد من تعليق الشيخ ناصر على المشكاة.

** فى الأصل: (تمحض) ولا يستقيم معها السياق، والصواب ما أثبتناه إن شاء الله. .

أمَا إن كنت لأبغضَ مَنْ يمشى على ظهرى إلى ، فإذ وليتكَ اليومَ وصرتَ إلىَّ فسترى صنيعى بك» قال: «فيلتئم عليه حتّى يختلفَ * أضلاعُهُ». قال: وقال رسول الله ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها فى جوف بعضٍ. قال: «ويُقيَّضُ له سبعون تنينًا لو أنَّ واحدًا منها نفخ فى الأرض ما أنبتتْ شيئًا ما بقيت الدنيا، فينهَسْنَهُ ويخدِشْنهُ حتى يُفضى به إلى الحساب». قال: وقال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضةٌ من رياض الجنَّة، أو حُفْرَةٌ منْ حُفَرِ النار». رواه الترمذى. [٥٣٥٢]

٥٣٥٣ - * وعن أبى جحيفة، قال : قالوا: يارسول الله! قَد شبْتَ. قال: «شيبتنى سورة هودٍ وأخواتها». رواه الترمذى. [٥٣٥٣]

٥٣٥٤ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال أبو بكر: يارسول الله ! قد شبْتَ. قال : «شيبتنى (هود) و(الواقعة) و(المرسلات) و(عمَّ يتساءلون) و(إذا الشمسُ كورت)». رواه الترمذى. [٥٣٥٤]

وذكر حديث أبى هريرة: «لايلج النار» فى «كتاب الجهاد».

بعضها «النيران» بالجمع.

الحديث الثامن والتاسع عن ابن عباس رضى اللهعنهما: قوله: «شيبتنى هود» «تو»: يريد أن اهتمامى بما فيها من أهوال يوم القيامة، والمثلات النوازل بالأمم الماضية أخذ منى ما أخذه حتى شبت قبل أوان المشيب خوفا على أمتى. «حس»: عن بعضهم قال: رأيت رسول الله ﷺ فى النوم، فقلت له: روى عنك أنك قلت: «شيبتنى سورة هود» فقال : نعم! قلت: وبأيَّة آية؟ قال: قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ (١) ،قال الإمام فخر الدين: وذلك لأن الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل إلى طرفى الإفراط والتفريط ،فى الاعتقادات، والأعمال الظاهرة والباطنة عسير جدا، وقد سبق تحقيقه فى أول الكتاب.

[٥٣٥٢] ضعيف انظر ضعيف الجامع ١٣٢٩

[٥٣٥٣] ضعيف انظر الجامع بنحوه ٣٤١٩

[٥٣٥٤] انظر صحيح الترمذى ٢٧٢٧

وأما ذكر حديث أبى هريرة (لا يلج النار) فلم يذكرها فى الحديث وإن كان هذا الحديث ١٣٣٣

(١) هود : ١١٢.

* فى مخطوطة الحاكم: (تختلف).

الفصل الثالث

٥٣٥٥ - * عن أنسٍ، قال: إنكم لتعملون أعمالا هى أدقُّ فى أعينِكم من الشعر، كنَّا نعدُّها على عهد رسولِ الله ﷺ من الموبقات. يعنى المهلكات. رواه البخارى.

٥٣٥٦ - * وعن عائشة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ياعائشة! إيَّاكِ ومحقراتِ الذنوب، فإنَّ لها مِنَ اللهِ طالبًا». رواه ابن ماجه، والدارمى، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٣٥٦]

٥٣٥٧ - * وعن أبى بردة بن أبى موسى، قال: قال لى عبدالله بن عمر: هل تدرى ما قال أبى لأبيك؟ قال: قلت: لا. قال: فإن أبى قال لأبيك: يا أبا موسىَ! هل يسرُّك أنَّ إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا؟ وأن كلَّ عملٍ عملناهُ بعدهُ نجونا منه كفافًا، رأسًا برأس؟ فقال أبوك لأبى: لا والله، قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلينا وصمنا وعملنا خيرًا كثيرًا، وأسلم على أيدينا بشرٌ كثير وإنا لنرجو ذلك. قال أبى: ولكنى أنا، والذى نفسُ عُمَرَ بيدِه لوددتُ أن ذلك بَرَد لنا، وأنَّ كل شيء عملناه بعده نجونًا منه كفافًا رأسًا برأس. فقلتُ: إن أباك واللهِ كان خيرًا من أبى. رواه البخارى.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «هى أدق فى أعينكم» عبارة عن تدقيق النظر فى العمل وإمعانه فيه، أى تعملون أعمالا وتحسبون أنكم تحسنون صنعا، وليس كذلك فى الحقيقة.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «من الله طالبا» هو من باب **التجريد**، كقول القائل:

وفى الرحمن للضعفاء كاف

الحديث الثالث عن أبى بردة رضى اللهعنه: قوله: «برد لنا» يقال: برد لنا هذا الأمر إذا ثبت ودام. «نه»: فى الحديث: «الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة» أى لاتعب فيه ولامشقة وكل محبوب عندهم بارد وقيل: معناه الغنيمة الثابتة المستقرة من قولهم: برد على فلان حق أى

[٥٣٥٦] صحيح ابن ماجه ٣٤٢١.

٥٣٥٨ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرنى ربى بتسع: خشية اللهِ فى السرّ والعلانية. وكلمةِ العدلِ فى الغضب والرضى، والقصد فى الفقرِ والغنى، وأن أصل من قطعنى، وأعطى من حرمنى، وأعْفوا عمَّن ظلمنى، وأن يكون صمتى فكرًا، ونطقى ذكرًا، ونظرى عبرةً، وآمرَ بالعرفِ» وقيل: «بالمعروف». رواه رزين.

٥٣٥٩ - * وعن عبدِالله بن مسعود، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «ما من عبدٍ مؤمنٍ يخرجُ من عينيه دموعٌ وإن كانَ مثلَ رأس الذباب من خشية الله، ثُمَّ يصيبُ شيئًا من حُرِّ وجهه إلا حرَّمه الله على النار». رواه ابن ماجه. [٥٣٥٩]

مثبت. انتهى كلامه. وهو خبر قوله: «أن إسلامنا» والجملة فاعل «هل يسرك» وقوله «كفافا» نصب على الحال من الضمير المجرور، أى نجونا منه فى حالة كونه لايفضل علينا شىء منه، أو من الفاعل أى مكفوفا عنا شره. وقوله: «لوددت» خبر «لكنى» مع اللام، وهو ضعيف. ويجوز أن يكون «لوددت» جواب القسم والقسمية خبر «لكنى» على التأويل.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أمرنى ربى بتسع» ذكر تسعا وأتى بعشر فالوجه أن يحمل العاشر وهو الأمر بالمعروف على أنه مجمل عقب التفصيل؛ لأن المعروف هو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ماندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، كأنه قيل: أمرنى ربى بأن أتصف بهذه الصفات وآمر غيرى بالاتصاف بها. فالواوات كلها عطفت المفرد على المفرد. وفى قوله: «وآمر بالعرف» عطف المجموع من حيث المعنى على المجموع بحسب اللفظ ونحوه فى التفرقة بين الواوين قوله تعالى: ﴿**وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور**﴾[1].

الحديث الخامس عن عبدالله: قوله: «حُر وجهه» ما أقبل عليك وبدا لك منه، وحر كل أرض ودار، وسطها وأطيبها.

[٥٣٥٩] ضعيف الجامع ٥١٩٩

(١) فاطر: ١٩:٢١.

(٧) باب تغير الناس

الفصل الأول

٥٣٦٠ - * عن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنما النَّاسُ كالإِبل المائة، لاتكاد تجدُ فيها راحلة». متفق عليه.

٥٣٦١ - * وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قبلكم، شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ تَبعتُموهُم». قيل: يارسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» . متفق عليه.

باب تغير الناس

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «كالإبل المائة» اللام فيها للجنس «تو»: الرواية فيه على النعت «كإبل مائة» بغير ألف ولام فيهما، والمعنى أنك لاتكاد تجد فى مائة إبل راحلة تصلح للركوب، فإنما [يصلح]* للركوب ما كان وطيا سهل القياد، وكذلك لاتجد فى مائة من الناس من يصلح للصحبة ويعاون صاحبه ويلين له جانبه.

أقول: على القول الأول تجد فيها «راحلة» صفة لـ «الإبل» والتشبيه مركب تمثيلى، والوجه منتزع من عدة أمور متوهمة. وعلى الثانى هو الوجه للتشبيه وبيان لما شبه الناس بالإبل والتشبيه مفرد.

«مظ»: معناه: أن الناس فى أحكام الدين سواء لافضل فيها لشريف على مشروف. ولا لرفيع منهم على وضيع، كالإبل المائة لايكون فيها راحلة.

الحديث الثانى عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله «سنن من قبلكم» السنن جمع سُنة وهى الطريقة حسنة كانت أو سيئة. والمراد بها هاهنا طريقة أهل الأهواء والبدع التى ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم، من [تغيير]** دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل. وقوله: «شبرا بشبر» حال مثل «يدًا بيد» . قوله: «اليهود والنصارى» [أى: أتعنى من نتبعهم]● اليهود والنصارى؟ فأجاب: «فمن؟» أى إن لم أردهم فمن سواهم؟.

---

* فى ط: (الصلح)، والتصويب من (ك).

** فى ط: (تغير)، وما أثبتناه من (ك).

● فى ط: (أى المعنى بمن يتبعهم)، وما أثبتناه من ك.

٥٣٦٢ - * وعن مرداس الأسلمى، قال: قال رسول الله ﷺ: «يذهب الصالحون، الأول فالأول ، وتبقى حُفالة كحفالة الشعير أو التمر، لايباليهم الله بالةً». رواه البخارى.

الفصل الثانى

٥٣٦٣ - * عن ابنِ عمَر، قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا مشت أُمَّتى المُطيطِياء وخدَمتهم أبناءُ الملوك أبناء فارس والروم، سلَّط الله شرارَها على خيارها». رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. [٥٣٦٣]

٥٣٦٤ - * وعن حُذيفةَ أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «لاتقومُ الساعةُ حتى تقتلوا إِمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شرارُكم». رواه الترمذى. [٥٣٦٤]

الحديث الثالث عن مرداس : قوله: «الأول فالأول» الفاء للتعقيب، ولابد من تقدير، أى الأول منهم فالأول من الباقين منهم، هكذا حتى ينتهى إلى الحفالة، مثله الأفضل فالأفضل . و«الأول» بدل من «الصالحون» . قوله: «حفالة» «قض»: الحفالة رذالة الشىء وكذا «الحثالة»، **والفاء والثاء يتعاقبان كثيراً**. «لا يباليهم الله» أى لايرفع لهم قدرًا ولايقيم لهم وزنًا وأصل باله بالية مثل عافاه الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفا كما حذفوا [من «لم أبل» يقال ما باليته وما باليت به أى لم أكترث به انتهى كلامه، والتنكير فى حفالة تنكير للتحقير]*.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن ابن عمر رضى الله عنه: قوله: «المطيطياء» «فا» : هى ممدودة ومقصورة بمعنى التمطى، وهو التبختر ومد اليدين، وأصل [التمطى]** تمطط تفعل من المط، وهو المد، وهى من المصغرات التى لم يستعمل بها مكبر، نحو كعيب وكميت وكالمريطاء وهى مابين الصدر إلى العانة. «قض»: وقياس [بمكبرها]• ممدودة مطياء بوزن طرمساء، ومقصورة مطيا بوزن هرندى على أن أصلها مططا على فعلا، **فأبدلت الطاء الثالثة ياء**.

وهذا الحديث من دلائل نبوته؛ لأنه ﷺ أخبر عن الغيب، ووافق الواقع خبره؛ فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا أموالهم وتجملاتهم وسبوا أولادهم فاستخدموهم، سلَّط الله قتلة عثمان رضى الله عنه عليه حتى قتلوه، ثم سلط بنى أمية على بنى هاشم ففعلوا مافعلوا .

الحديث الثانى عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «وتجتلدوا» أى تتضاربوا. «نه»: فى

[٥٣٦٣] صحيح الجامع ٨٠١

[٥٣٦٤] سنن ابن ماجه ٤٠٤٣، ٤٠٩٤.

* سقط من (ط)، وتم إثباته من (ك).

** فى (ك): (تمطى).

• فى (ك): (مكبرها).

٥٣٦٥- * وعنه: قال: قال رسول الله ﷺ: « لاتقومُ الساعةُ حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكعُ بنُ لُكع». رواه الترمذي، والبيهقي في «دلائل النبوة». [٥٣٦٥]

٥٣٦٦ - * وعن محمد بن كعب القرظي، قال: حدَّثني من سمعَ علي بن أبي طالب، قال: إنَّا لجلوسٌ معَ رسولِ الله ﷺ، في المسجدِ، فاطلع علينا مُصعَب بن عمير، ما عليهِ إلا بردةٌ له مرقوعةٌ بفروٍ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم، ثم قال رسول الله ﷺ، : «كيف بِكمْ إذا غدا أحدكم في حُلَّة، وراحَ في حلَّة ووُضِعتْ بين يديه صحفة. ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تسترُ الكعبة؟». فقالوا: يارسول الله !نحن يوميذ خيرٌ منا اليومَ، نتفرغ للعبادة، ونُكفى المؤنة. قال: «لا»، أنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذ». رواه الترمذي. [٥٣٦٦]

٥٣٦٧ - * وعن أنسٍ، قال قال رسول الله ﷺ «يأتي على الناس زمانٌ، الصَّابرُ

الحديث: «فنظر إلى مجتلد القوم فقال: الآن حمى الوطيس» أى إلى موضع الجلاد وهو الضرب بالسيف فى القتال ، يقال: جلدته بالسيف والسوط ونحوه إذا ضربته به.

الحديث الثالث عن حذيفة رضى اللهعنه: قوله: «لكع بن لكع» «تو» : اللكع العبد، وقد يكنى به عن الحمق، ويوصف به اللئيم، ويقولون للعبد: لكع؛ لما فيه من الذلة، وللجحش لكع، لما فيه من الخفة، وللصبى لما فيه من الضعف، ويقال أيضا للذليل الذى تكون نفسه نفس العبيد، وأريد به هاهنا الذى لايعرف له أصل ولايحمد له خلق.

أقول : وهو غير منصرف للعدل والصفة. «فا»: هو معدول عن اللكع يقال: لكع لكعا فهو اللكع . وأصله أن يكون فى النداء لفسق وعذر [وهو اللئيم]*.

الحديث الرابع عن محمد بن كعب: قوله: «مصعب بن عمير» هو من أغنياء قريش. هاجر إلى النبي ﷺ وترك النعمة بمكة، وهو من كبار الصحابة من أصحاب الصفة الساكنين في مسجد قباء. وقوله «لا، أنتم اليوم خير» أى ليس الأمر كما تظنون بل أنتم اليوم خير؛ لأن الفقير الذي له كفاف خير من الغني؛ لأن الغني يشتغل . بدنياه، ولم يكن له فراغ للعبادة من كثرة اشتغاله بتحصيل المال.

الحديث الخامس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «كالقابض على الجمر» خبر «الصابر»،

[٥٣٦٥] صحيح الترمذى ١٧٩٩.
[٥٣٦٦] ضعيف الجامع: (٤٢٩٨).
* زيادة من «ط» ليست فى «ك».

فيهم على دينه كالقابضِ على الجمر» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ إسنادًا. [٥٣٦٧]

٥٣٦٨ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم؛ فظهر الأرض خيرٌ لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم؛ فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها» . رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب [٥٣٦٩].

٥٣٦٩ - * وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: « يوشك الأمم أن تَداعَى عليكم كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاءِ السَّيل، ولينزعنَّ الله من صدورِ عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوَهنَ». قال قائل: يارسول الله! وما الوهن؟ قال: «حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت». رواه أبو داود ، والبيهقي في «دلائل النبوة». [٥٣٦٩]

والجملة صفة* لـ «زمان» والراجع محذوف أى الصابر فيه، أى كما لايقدر القابض على الجمر أن لا يصبر لاحتراق يده، كذلك المتدين يومئذ لايقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي، وانتشار الفتن وضعف الإيمان.

الحديث السادس عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: «وأموركم شورى» هو مصدر بمعنى التشاور، أى ذو شورى، معناه يشاور بعضهم بعضًا فيما عنَّ لهم من الرأى، لا يستبد أحد منهم في رأيه؛ فإن المشاورة من سنة رسول الله ﷺ ، والاستبداد من شيمة الشيطان.

الحديث السابع عن ثوبان رضي الله عنه: قوله: «أن تداعى عليكم» . «تو»: يريد أن فرق الكفر وأمم الضلالة يوشك أن تتداعى عليكم بعضكم بعضًا، ليقاتلوكم ويكسروا شوكتكم ويغلبوا على ما ملكتموه من الديار والأموال، كما أن الفئة الأكلة تتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير ما بأس ولامانع، فيأكلونها عفوا صفوا. فيستفرغوا ما في صحفتكم من غير ما تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم.

[٥٣٦٧] صحيح الترمذى ١٨٤٤

[٥٣٦٨] ضعيف الجامع: (٧٤٦).

[٥٣٦٩] صحيح الجامع بنحوه ٨١٨٣.

* فى «ك» : «والجملة خبر لزمان» وما فى «ط» أولى.

الفصل الثالث

٥٣٧٠ - * عن ابن عباس، قال: «ماظهر الغلولُ في قومٍ إلا أَلقَى اللهُ في قلوبهم الرُّعبَ، ولافشا الزنا في قومٍ إلاكثر فيهم الموت، ولانقَصَ قومٌ المكيالَ والميزانَ إلا قُطع عنهم الرزق، ولاحكم قومٌ بغير حقٍ إلا فشا فيهم الدم، ولاختر قوم بالعهد إلا سُلِّطَ عليهم العدوُّ». رواه مالك. [٥٣٧٠]

والرواية في «الآكلة» بالمد على نعت «الفئة» أو الجماعة أو نحو ذلك، كذا روي لنا عن أبي داود، وهذا الحديث من أفراده. والغثاء بالضم والمد وبالتشديد أيضا، ما يحمله السيل من القماش شبههم بذلك لقلة عنائهم ودناءة قدرهم وخفة أحلامهم. وقول القائل: «وما الوهن؟» سؤال عن نوع الوهن، أو كأنه أراد من أى وجه يكون ذلك الوهن؟ فقال: «حب الدنيا» يريد أن حب البقاء في الدنيا وكراهية الموت يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين واحتمال الذل عن العدو، نسأل الله العافية فقد ابتلينا به وكأنا نحن المعنيون بذلك. **قوله**: «ومن قلة» خبر مبتدأ محذوف. و«نحن يومئذ» مبتدأ وخبر صفة لها، أى ذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ..

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: **قوله**: «**إلا ألقى الله فى قلوبهم الرعب**» رتب إلقاء الرعب على الوصف المناسب، وهو الغلول على **الكناية التلويحية**؛ فإن إلقاء الرعب مشعر بظفر العدو عليهم، وهو مشعر بأن تكون أموالهم غنيمة للعدو، فيلزم منه أن يكون ماله فيئا للأعداء. ورتب كثرة الموت على فشو الزنا وكثرتها؛ وذلك أن النكاح إنما شرع لغرض التوالد والتناسل، والزنا يفضي إلى قطعهما، فلما سعى الزاني في إبطال ذلك الغرض الصحيح بفعله، جوزى بإبطال ذاته بضمها الغرض الصحيح. فالموت على هذا عبارة عن قطع التوالد والتناسل.

وقريب منه ما قال صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم**﴾ (١) وهو هذا. فإن قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر؟ قلت ليس كذلك؛ لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري؛ ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن، فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج، كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع.

[٥٣٧٠] رواه مالك فى «الموطأ» (٢/١٦).

(١) النساء: ٣.

(٨) باب الإنذار والتحذير

الفصل الأول

٥٣٧١- * عن عياض بن حمار المجاشعي، أنَّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جَهلتُم ممّا علَّمنى يومي هذا: كلُّ مال نحلته عبدًا حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطينُ، فاجتالتهم عن دينِهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أُنزلْ به سُلطانًا، وإنَّ

وقوله: «إلا فشا فيهم الدم» وذلك لأن حكم من حكم بغير حق فقد ظلم، ومن ظلم فقد أفسد. ومن أفسد، فقد أفضى به الأمر إلى أن يهلك الحرث والنسل، والله لايحب الفساد.
«نه»: والختر الغدر، يقال ختر يختر فهو خاتر، وختار للمبالغة.

[باب الإنذار والتحذير]*

الفصل الأول

الحديث الأول عن عياض: قوله: «كل مال نحلته» «قض»: هو حكاية ما علمه الله تعالى وأوحى إليه في يومه ذا، أو المعنى ما أعطيت عبدًا من مال فهو حلال له، ليس لأحد أن يحرم عليه، ويمنعه عن التصرف فيه تصرف الملاك في أملاكهم. وليس لقائل أن يقول: هذا يقتضي أن لا يكون الحرام رزقًا؛ لأن كل رزق ساقه الله تعالى إلى عبد فقد نحله وأعطاه، وكل ما نحله وأعطاه فهو حلال، فيكون كل رزق رزقه الله إياه فهو حلال، وذلك يستلزم أن يكون كل ما ليس بحلال ليس برزق؛ لأنا نقول: الرزق أعم من الإعطاء؛ لأن الإعطاء يتضمن التمليك.

ولذلك قال الفقهاء: لو قال الرجل لامرأته: إن أعطيتيني ألفا فأنت طالق، فأعطته بانت، ودخل الألف في ملكه، ولا كذلك الرزق. «وإني خلقت عبادي حنفاء»، أي مستعدين لقبول الحق، والحنف عن الضلال مبرءين عن الشرك والمعاصي، وهو في معنى قوله: «كل مولود يولد على الفطرة»[(١)] «فاجتالتهم عن دنيهم»، أي جالت الشياطين بهم وساقتهم إليها، افتعال من الجولان.

«مالم أنزل به سلطانا» مفعول «يشركوا» يريد به الأصنام وسائر ما عبد من دون الله، أي أمرتهم بالإشراك بالله بعبادة ما لم يأمر الله بعبادته، ولم ينصب دليلا على استحقاقه للعبادة. ثم «نظر إلى أهل الأرض» أي رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة، إلا بقايا من اليهود والنصارى، تبرءوا عن الشرك وعضوا على التوحيد والدين الحق. «فمقتهم» أي أبغضهم لسوء اعتقادهم وخبث صنيعهم.

---

(١) انظر صحيح الجامع ٤٥٥٩، الصحيحة ٤٠٢.

* كذا في «ط» وفي «ك» «باب ذكر الإنذار».

اللهَ نظرَ إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتابِ، وقال: إنما بعثتُك لأ بتليَكَ وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليك كتابًا لايغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان، وإنَّ اللهَ أمرني أن أحرقَ قريشًا، فقلت: [يا] ربِّ! إذًا يثلغوا رأسي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرجْهم كما أخرجوكَ واغزُهُم نُغْزِكَ، وأنفقْ فسننفقُ عليك. وابعثْ جيشًا نبعثْ خمسةً مثله، وقاتِل بمَنْ أطاعكَ من عصاكَ». رواه مسلم.

٥٣٧٢- * وعن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿وأنذرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبين﴾(١)، صعدَ النبيُّ ﷺ الصفا فجعل ينادي: «يابنى فهر! يا بنى عدي!» لبطون قريش حتى اجتمعُوا

وقوله: «لأبتليك وأبتلي بك» أى لأمتحنك وأمتحن الناس بك. «وأنزلت عليك كتابا لايغسله الماء»، أى كتابا محفوظا فى القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس، أو كتابا مستمرا متداولا بين الناس ما دامت السموات والأرض، لا ينسخ ولا ينسى بالكلية. وعبر عن إبطال حكمه وترك قراءته والإعراض عنه بغسل أوراقه بالماء على سبيل **الاستعارة**، أو كتابا واضحا آياته بيِّنا معجزاته لا يبطله جور جائر ولا تدحضه شبهة مناظر، فمثل الإبطال معنىً بالإبطال صورةً. وقيل: كنى به عن غزارة معناه وكثرة جدواه من قولهم: مال فلان لا تفنيه الماء والنار.

«تقرؤه نائما ويقظان» أى يصير لك ملكة بحيث يحضر فى ذهنك وتلتفت إليه نفسك فى أغلب الأحوال، فلا تغفل عنه نائما ويقظان، وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به: هو يفعله نائما. «وإن الله أمرني أن أحرق قريشا» أى أهلكهم يريد به كفارهم. «إذا يثلغوا رأسى» أى يشدخوه فيتركوه بالشدخ مصفحا كخبزة.

«ونغزك»: من أغزيته إذا جهزته للغزو وهيأت له أسبابه. «نبعث خمسة مثله» أى نبعث من الملائكة خمسة أمثال تعينهم كما فعل يوم بدر. والله أعلم.

أقول: قوله: «ما لم أنزل به سلطانا» أى لا إنزال سلطان ولا شريك على أسلوب قوله:

على لاحب لا يهتدى بمناره ... ولا يرى الضب بها ينحجر

أى لا منار ولا اهتداء به وقوله: أى لا ضب ولا انحجار نفيا للأصل والفرع.

الحديث الثاني عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «لبطون قريش» واللام فيه بيان، كما فى قوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾(١) كأنه قيل: لمن؟قيل: «لبطون قريش».

---

(١) الشعراء : ٢١٤ (٢) البقرة: ٢٣٣

فقال: «أرأيتُكم لو أخبرتكم أنَّ خيلا بالوادى تريدُ أن تغير عليكم أُكنتم مصدِّقي؟»
قالوا: نعم؛ ما جربنا عليكَ إلا صدقًا. قال«فإني نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد».
فقال أبو لهب: تبًا لك سائرَ اليومِ؛ ألهذا جمعتنا؟! فنزلت (تبَّتْ يدا أبي لهبٍ
وتب)[1] متفق عليه. وفي رواية: نادى: «يابنى عبد مناف! إنما مثلي ومثلكم كمثَل
رجلٍ رأى العدوَّ فانطلق يَربأ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه!».

وقوله: «أرأيتكم» أى أخبروني، الضمير المتصل المرفوع من الخطاب العام، والضمير الثاني لا محل له فهو كالبيان للأول؛ لأن الأول بمنزلة الجنس الشائع فى المخاطبين، فيستوي فيه التأنيث والتذكير والإفراد والجمع، فإذا أريد بيانه بأحدى هذه الأنواع بُيِّنَ به، فأتى فى الحديث بعلامة الجمع بيانا للمراد. وضمن «جرب» معنى الإلقاء*، وعداه «بعلى» أى ما ألقينا عليك قولا مجربين لك، هل تكذب فيه أم لا؟ فما سمعنا منك إلا صدقا. وقوله: «بين يدي» ظرف لقوله: «نذير» وهو بمعنى قدام؛ لأن كل من يكون قدام أحد يكون بين الجهتين السابقتين ليمينه وشماله، وفيه تمثيل، مثل إنذاره القوم بعذاب الله تعالى النازل على القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم.

«قض»: التب والتباب الخسران والهلاك، ونصبه بعامل مضمر، و«سائر اليوم» يريد جميع الأيام. «تو»: من ذهب فى «سائر» إلى البقية فإنه غير مصيب؛ لأن الحرف من السير لا من السؤر، وفى أمثالهم فى اليأس من الحاجة. أسائر اليوم وقد زال الظهر.

أقول: وفيه نظر لأنه قال صاحب النهاية:- السائر المهموز الباقي-. والناس يستعملونه فى معنى الجمع وليس بصحيح، وقد تكررت هذه اللفظة فى الحديث، كأنها تعنى باقى الشىء، ويدل على تصحيح ما فى النهاية ما فى أساس البلاغة؛ فإنه أورده فى باب السين مع الهمز قائلا أسأر الشارب فى الإناء سؤرًا وسؤرة أى بقية.

وفى المثل: سائر اليوم وقد زال الظهر. انتهى كلامه. فعلى هذا المراد بقوله: «سائر اليوم» بقية الأيام المستقبلة. «نه»: «يربأ أهله» أى يحفظهم من عدوهم، والإسم الربيئة وهو العين. والطليعة الذى ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه، وارتبأت الجبل إذا صعدته.

أقول: أسلوب الحديث يسمى فى علم البديع **بالمذهب الكلامي****؛ لأنه ﷺ استنطقهم أولا بما أقروا به أنه صادق، فلما اعترفوا ألزمهم بقوله: «فإنى نذير لكم» إلخ، أى إذا اعترفتم بصدقي فاتبعوا لما أقول لكم.

---

(١) المسند: ١.

* فى «ط» «الإبقاء» وما أثبتناه من «ك».

** هو أن يورد البليغ حجة على مايدَّعيه على طريقة المتكلمين.

٥٣٧٣- * وعن أبي هريرة، قال: لمَّا نزلت (وأنذرْ عشيرتَكَ الأقْربِينَ)[1] دعا النبيُّ ﷺ قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخَصَّ، فقال: «يابنى كعب بنِ لؤيٍّ! أنقذُوا أنفُسكم من النَّار. يابنى مرَّةَ بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بنى عبد شمسٍ! أنقذُوا أنفُسكم من النار. يابنى عبد مناف! أنقذُوا أنفسكم من النار. يابنى هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بنى عبد المطلب! أنقذو أنفسكم من النار. يا فاطمة! أنقذي نفسَكِ من النار؛ فإني لا أملكُ لكم من الله شيئًا، غيرَ أنَّ لكم رحِمًا سأبُلُّها ببلالها» رواه مسلم.

وفي المتفق عليه قال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئًا. ويابني عبد مناف! لا أُغني عنكم من الله شيئًا. يا عباسُ بنَ عبدِ المطلب ! لا أُغني عنك من الله شيئًا. وياصفيَّةُ عمَّةَ رسول الله! لا أُغني عنكِ من الله شيئًا. ويا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ! سليني ماشئت من مالي، لا أُغني عنك من الله شيئًا».

الفصل الثاني

٥٣٧٤- * عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ : «أُمَّتي هذه أُمَّةٌ

الحديث الثالث عن أبي هريره رضى الله عنه: قوله: «ببلالها» «نه»: البلال جمع بلل والعرب يطلقون النداوة على الصلة كما يطلق اليبس على القطعية؛ لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل بالنداوة، ويحصل بينهما التجافى والتفرق باليبس، استعاروا البلل بمعنى الوصل واليبس بمعنى القطعية، والمعنى أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئًا. وقد مر القول فيه فى باب البر والصلة.

[«تو»]* قوله: «ما شئت من مالي» [أرى]** أنه ليس من المال المعروف فى شيء ،إنما عبر به عما يملكه من الأمر وينفذ تصرفه فيه، ولم يثبت عندنا أنه كان ذا مال لاسيما بمكة. ويحتمل أن الكلمتين أعنى «من» و«ما» وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة، فكتبهما منفصلتين.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبى موسى رضى الله عنه: قوله: «أمتى هذه» «مظ»: هذا الحديث مشكل

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

* سقطت من «ط». ** فى ط «أى» وما أثبتناه من «ك».

مرحومةٌ، ليس عليها عـذابٌ فى الآخرة، عذابُها فى الدنيا: الفِتَنُ والزلازلُ والقتل». رواه أبو داود. [٥٣٧٤]

٥٣٧٥- *، ٥٣٧٦- * وعن أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هذا الأمرَ بدأَ نبوَّةً ورحمةً، ثمَّ يكونُ خلافةً ورحمةً، ثمَّ ملكًا عَضُوضًا، ثمَّ كائنٌ جبريةً وعُتوًا وفسادًا فى الأرضِ، يَسْتَحِلُّونَ الحريرَ والفروجَ والخمورَ، يُرزقون على ذلك ويُنْصَرُونَ، حتى يَلْقَوا الله» رواه البيهقي فى «شعب الايمان». [٥٣٧٥- ٥٣٧٦]

لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته ﷺ، سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره وقد ورد الأحاديث بتعذيب مرتكبي الكبائر، اللهم إلا أن يؤول بأن المراد بـ«الأمة» هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويمتثل بما أمره الله به، وينتهي عما نهاه.

أقول: الحديث وارد فى مدح أمته ﷺ واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أصيبوا بمصيبة فى الدنيا حتى الشوكة يشاكها، أن الله يكفر بها فى الآخرة ذنبًا من ذنوبه وليست هذه الخاصية لسائر الأمم ويؤيده ذكر هذه وتعقيبها بقوله: «مرحومة»؛ فإنه يدل على مزيد تميزهم بعناية الله ورحمته كما فى قول الشاعر:

هذا أبو الصقر فردًا في محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال والنمر

والذهاب إلى المثل المفهوم مهجور فى مثل هذا المقام. وهذه الرحمة هى المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾[1] إلى قوله: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ أراد موسى عليه السلام أن يخص هذه الرحمة بأمته، فأجابه تعالى بأنها مختصة بأمة النبى الأمي ﷺ، وإن شئت فجرب ذهنك في الآيات لتقف على سر ما ذكرت.

الحديث الثاني عن أبي عبيدة رضى الله عنه: قوله: «إن هذا الأمر» هو ما بعث به رسول الله ﷺ من إصلاح الناس دينا ودنيا، كما قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام». قوله: «ملك عضوض» «نه»: أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم، كأنهم يعضون فيه عضًا، والعضوض من أبنية المبالغة. وقوله: «جبرية» أى قهر وعتو يقال: جبار بين الجبرية والجبروت.

[٥٣٧٤] الصحيحة (٩٥٩) بنحوه

(١) الأعراف: ١٥٦: ١٥٧.

[٥٣٧٥- ٥٣٧٦] شعب الإيمان (١٧/٥).

٥٣٧٧- * وعن عائشة، قالتْ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أول مايُكْفَأُ- قال زيد بن يحيى الرواي: يعني الإسلام - كما يُكْفَأُ الإناءُ» يعني الخمر. قيل: فكيفَ يارسولَ اللهِ! وقد بيَّنَ الله فيها ما بين؟ قال: «يسمُّونَها بغيرِ اسمِها فيستحلونها». رواه الدرامي. [٥٣٧٧]

الفصل الثالث

٥٣٧٨- * عن النعمان بن بشير، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوَّةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكونُ خلافةٌ على منهاج النبوَّةِ ما شاءَ الله أن تكونَ، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكون ملكًا عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكونُ ملكًا جبريةً، فيكون ما شاءَ الله أن يكون، ثمّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكونُ خلافةً على منهاج نبوَّة» ثم سكت، قال حبيب: فلما قامَ عمر بن عبد العزيز كتبتُ إليه بهذا الحديث أذكِّرُهُ إيَّاه وقلت: أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملكِ العاضِّ والجبريةِ، فسُرَّ به وأعجبه، يعنى عمر بن عبد العزيز رواه أحمد والبيهقى فى «دلائل النبوة». [٥٣٧٨].

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «إن أول ما يكفأ» خبر «إن» محذوف، وهو الخمر، والكاف في «كما يكفأ» صفة مصدر محذوف يعني أول ما يكفأ في الإسلام إكفاء مثل إكفاء ما فى الإناء الخمر.

«قض»: «يكفأ» يقلب ويمال: يقال: كفأت القدرَ إذا قلبتها لينصب عنها ما فيها، والمراد به الشرب هاهنا؛ فإن الشارب يكفأ القدح عند الشرب، وقول الراوي: «يعني الإسلام» يريد به: فى الإسلام وسقط عنه. والمعنى: إن أول ما يشرب من المحرمات ويجترأ على شربه فى الإسلام، كما يشرب الماء ويجترأ عليه هو الخمر ويؤولون فى تحليلها بأن يسموها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن النعمان: قوله: «ثم تكون ملكًا عاضًا» «كان» هاهنا ناقصة واسمه ما يدل

[٥٣٧٧] رواه الدارمى في باب ما قيل فى السكر برقم (٢١٠٠) ٢/ ١٥٥، وفيه أبو وهب الكلاعي، واسمه عبيد الله ابن عبيد، قال عنه الحافظ ابن حجر فى «التقريب» (١/ ٥٣٦) : «صدوق».

[٥٣٧٨] رواه أحمد فى المسند (٤/ ٢٧٣) وانظر السلسلة الصحيحة ح (٥)

كتاب الفتن

الفصل الأول

٥٣٧٩ ـ * عن حذيفة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، ما ترك شيئًا يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثَ به، حفِظَهُ من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابى هؤلاءِ، وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته ، فأرَاه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجلِ إذا غاب عنه، ثمَّ إذا رآه عرفه. متفق عليه.

٥٣٨٠ - * وعنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «تُعْرضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصير عودًا عودًا، فأي قلبٍ أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب

عليه الخلافة، وفي القرينتين السابقتين تامة. و«أمير المؤمنين» خبر «أن تكون» وقوله: «بعد الملك» ظرف للخبر على تأويل الحاكم العادل؛ نحوه قوله تعالى: ﴿وهو الله فى السموات﴾[1] أى معبود فيها.

كتاب الفتن

الفصل الأول

الحديث الأول عن حذيفة: قوله: «وإنه ليكون منه الشىء» أى ليحدث منه الشىء مما نسيته، فإذا عاينته تذكرت مانسيت. وقوله: «مقاما»، إما مصدر ميمى أو اسم مكان . والجملة المنفية صفة. وقوله: «مقامه» وضع موضع ضمير الموصوف. و«فى مقامه» متعلق بـ «ترك» أى قام مقاما ما ترك فى مقامه ذلك شيئا يحدث إلى قيام الساعة إلا حدث به.

الحديث الثانى عن حذيفة: قوله: «تعرض الفتن». [«نه»]*: أى توضع عليها وتبسط كما يبسط الحصير، من عرض العود على الإناء والسيف على الفخذين يعرضه إذا وضعه. [«فا»]**: قيل: هو من عرض الجند بين يدى السلطان لإظهارهم واختبار أحوالهم. قوله: «عودا عودا» «تو»: قد روى بالرفع، كذا نرويه عن كتاب مسلم. وعلى هذا الوجه أورده صاحب المصابيح والتقدير: وهو عودٌ عودٌ. ورواه آخرون بالنصب.

«مح» هذان الحرفان مما اختلف فى ضبطه على ثلاثة أوجه: أظهرها وأشهرها: ضم العين والدال المهملة. والثانى: فتح العين والذال المعجمة. ومعنى «تعرض» أنها تلصق بعرض القلوب أى جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم. ويؤثر فيه شدة التصاقها. ومعنى« عودا

---

(١)

* فى «ك»، «فا».

** فى «ك»، «نه».

أنكرها نُكِتَتْ فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين: أبيض بمثل الصَّفا، فلا تضرُّهُ فتنةٌ مادامت السموات والأرض، والآخر أسودُ مِرْبادًا كالكوز، مجْخيًا لايَعْرِفُ معروفًا ولايُنكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه». رواه مسلم.

عودا» أى يعاد ويكرر شيئًا بعد شيء. قال ابن سراج: ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها، كما يقال: غفرا غفرا، أى نسألك أن تعيذنا من ذلك وأن تغفر لنا.

وقال الخطابى: معناه: يظهر على القلوب، أى يظهر لها فتنة بعد أخرى كما ينسج الحصير عودًا وعودًا وشطبة بعد أخرى.

قال القاضى عياض: وعلى هذا تترجح رواية ضم العين؛ وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا أخذ آخر ونسجه. فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد. و«أشربها» أى دخلت فيه دخولا تاما وألزمها وحلت منه محل الشراب. ومنه قوله تعالى: **﴿وأشربوا فى قلوبهم العجل﴾** [1] أى حب العجل. و«أنكرها» أى ردها. «قض»: «حتى يصير» أى جنس الإنسان على قسمين: قسم ذو قلب أبيض كالصفاء، وقسم ذو قلب أسود مربدًا.

«مظ»: الضمير فى «يصير» إى تصير القلوب على نوعين: أحدهما أبيض وثانيهما: أسود. «تو»: «الصفا»: الحجارة الصافية الملساء. وأريد به هاهنا النوع الذى صفا بياضه.

وعليه نبه بقوله: «أبيض» وإنما ضرب المثل به؛ لأن الأحجار إذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان. ولم يدخلها لون آخر. لاسيما النوع الذى ضرب به المثل، فإنه أبدا على البياض الخالص الذى لاتشوبه كدرة. والربدة لون بين السواد والغبرة. ومنه ظليم أربد وقد أربد اربدادًا، أى تلون وصار على لون الرماد. وإنما وصف القلب بالربدة؛ لأنه أنكر مايوجد من أنواع السواد، بخلاف ما تشوبه صفا ويعلوه طراوة من النوع الخالص.

«مح»: قال القاضى عياض: ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذى لايعلق به شيء. وأما قوله: «مربادا» فكذا هو فى روايتنا وأصول بلادنا. وهو منصوب على الحال.

وذكر القاضى عياض خلافا فى ضبطه، فإن منهم من ضبطه كما ذكرناه و منهم من رواه «مربئدًا» بهمزة مكسورة بعد الباء. وأصله أن لايهمز. ويكون مربدا مثل مسودًا ومحمرًا لأنه من

---

(١) البقرة: ٩٣

٥٣٨١ - * وعنه ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، حديثين، رأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخر: حدَّثنا: «إنَّ الأمانة نزلت فى جَذْر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة». وحدثنا عن رفعها قال: «ينامُ الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فَيظلُّ أثرها مثل أثر الوكْت، ثم ينامُ النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المجْل

أربد إلا على لغة من قال: إحمار بهمزة بعد الميم لالتقاء الساكنين . فيقال: إرباد فهو مربئد، والدال مشددة على القولين. و أما قوله: «مُجَخيا» فهو بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة، ثم خاء معجمة مكسورة. ومعناه مائلا كذا قاله الهروى. وفسره الراوى فى الكتاب بقوله: «منكوسًا» «نه» المجخى المائل عن الاستقامة والاعتدال، شبه القلب الذى لايعى خبرًا بالكوز الذى لايثبت فيه شئ «قوله إلا ما أشرب من هواه» «مظ» يعنى لايعرف القلب إلا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية أقول: ولعله أراد أنه من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح أى ليس فيه حبة خير البتة إلاهذا وهذا ليس بخير، فيلزم منه أن يكون فيه خير.

الحديث الثالث عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «حديثين»: «مح» الأول: «حدثنا إن الأمانة..». إلخ. والثانى: «حدثنا عن رفعها». والجذر بفتح الجيم وكسرها لغتان والذال المعجمة فيهما وهو الأصل. وأما الأمانة، فالظاهر أن المراد بها التكليف الذى كلف الله تعالى به عباده. والعهد الذى أخذه عليهم. قال صاحب التحرير: الأمانة فى الحديث هى الأمانة المذكورة فى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات﴾ (١) الآية وهى عين الإيمان. و«الوكت» بفتح الواو وإسكان الكاف، وبالتاء المثناة من فوق. و«المجل» بإسكان الجيم، وفتحها لغتان، المشهور الإسكان. [«فا»]* الفرق بين الوكت والمجل أن الوكت النقطة فى الشىء من غير لونه يقال: بعينه وكت، ووكت البر إذا بدت فيه نقطة الإرطاب. والمجل غلظ الجلد من العمل لاغير ويدل عليه قوله: «فتراه منتبرا» أى منتفخا وليس فيه شىء. «مح»: قال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا. فإذا زال شئ أول جزء منها زال نورها، وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذى قبله. فإذا زال شىء آخر صار كالمجل. وهو أثر محكم لايكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التى قبلها. ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه فى القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر. ويبقى التنفيط . وإنما ذكر نفط ولم يقل نفطت اعتبارا بالعضو.

أقول لعله إنما حملهم على تفسير الأمانة فى قوله: «إن الأمانة نزلت بالإيمان» لقوله آخرًا:

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

* سقطت من «ط».

كجمرٍ دَحْرجْتَهُ على رجلك، فَنفطَ، فتراه منتبرًا، وليس فيه شيء، ويصبحُ الناسُ يتبايعونَ ولايكاد أحدٌ يؤدِّى الأمانة، فيقال إن فى بنى فلان رجلا أمينًا ويقال للرجل ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما فى قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ من إيمان». متفق عليه.

٥٣٨٢ - * وعنه، قال: كانَ الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، قال: قلتُ: يارسول الله! إنَّا كنَّا فى جاهليةٍ وشرٍ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلتُ: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلت: ومادَخَنُه؟ قال: «قومٌ

«وما فى قلبه مثال حبة من خردل من إيمان» فهلا حملوها على حقيقتها لقوله: «ويصبح الناس يتبايعون ولايكاد أحد يؤدى الأمانة» فيكون وضع الإيمان آخرا موضعها تفخيما لشأنها وحثا على أدائها. قال ﷺ: «لادين لمن لا أمانة له» و«ثم» فى قوله: «ثم ينام النومة» للتراخى فى الرتبة. وهى تقتضيه« ثم» فى قوله «ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنَّة» كما أن علم القرآن والسنة يزيد أصل الأمانة فى القلوب ويربيها. كذلك ينقص استمرار رفع الأمانة وقبضها من أثرها؛ فإن أثر المجل المشبه بالنفاطة التى ليس فيها شيء أبلغ فى الخلو من أثر الوكت. وفيه تشبيهان مفردان شبهت حالهما مجموعة بحالة جمر أثر فى عضو. ثم نفط وارتفع. وإنما شبه أولا أثر الأمانة أولا بأثر الوكت ثم ثانيا بأثر المجل. ثم شبههما بالجمرة المدحرجة على الرجل تقبيحا لحالهما وتهجينا لتستنفر عنها النفس وتعافهما؛ فإن الأمانة والخيانة ضدان. فإذا ارتفع أحدهما تعاقبت الأخرى.

الحديث الرابع عن حذيفة رضى الله عنه قوله: «عن الشر» أى الفتنة ووهن عرى الإسلام واستيلاء الضلال وفشو البدعة، والخير عكسه يدل عليه قوله: «إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير» أى ببعثك وتشييد مبانى الإسلام، وهدم قواعد الكفر والضلال.

قوله: «قال: نعم، وفيه دخن» أى يكون بعد ذلك الشر خير. والحال أن فى ذلك الخير شرًا والمعنى أن ذلك لايصفو بل يشوبه كدورة. [ومنه قولهم: هدنة على دخن أى سكون لعلة لا للصلح. «نه»: أصل الدخن أن يكون فى لون الدابة كدورة]* إلى السواد. وقيل: الدخن- بالتحريك- مصدر دخنت النار تدخن، إذا ألقى عليها حطب رطب يكثر دخانها وفسدت.

«مظ»: «تعرف منهم وتنكر» أى ترى فيهم ما تعرفه أنه من دينى، وترى منهم أيضا ماتنكر

---

* ما بين المعكوفين زيادة من «ط» وليست فى «ك».

يَستَّنون بغير سنتى، ويهدون بغير هَدْيى، تعرفُ منهم وتُنكر». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم؛ دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفُوه فيها». قلت: يا رسول الله صِفْهم لنا. قال«هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرنى إن أدركني ذلك؟ قال «تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم». قلت: فإنْ لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعتزلْ تلك الفِرقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرة

أنه من دينى. «شف»: تعرف منهم المنكر بأن يصدر المنكر عنهم، وتنكرهم خبر بمعنى الأمر، أى أنكر عليهم صدور المنكر عنهم.

أقول: الوجه الأول راجع إلى معنى قوله: «نعم، وفيه دخن» أى تعرف فيهم الخير فتقبل والشر فتنكر فهو من المقابلة المعنوية والوجه الثانى راجع إلى قوله: «يستنون بسنتى» فالوجه أن يكون المعطوف والمعطوف عليه كلاهما فى معنى الأمر. أى اعرف منهم ذلك وأنكر. والخطاب فى «تعرف» و«تنكر» من الخطاب العام.

«مح»: قيل المراد بـ «الخير» بعد «الشر» أيام عمر بن عبدالعزيز. والمراد بالشر بعد الخير الأمر بعده. «شف»: «دعاة على أبواب جهنم» أى جماعة يدعون الناس إلى الضلالة، ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس لإدخالهم إياه فى جهنم ودخولهم فيها، وجعل كل نوع من أنواع التلبيس* بمنزلة باب من أبواب جهنم. «نه»: «من جلدتنا» أى من أنفسنا وعشيرتنا. «شف»: قيل: معناه من أهل ملتنا. ويتكلمون بما قال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ، أى بالمواعظ والحكم. وما فى قلوبهم شىء من الخير يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم. «تو»: «ولو أن تعض بأصل شجرة» أى تتمسك بما يصبرك وتقوى به عزيمتك على اعتزالهم، ولو بما لايكاد يصح أن يكون متمسكا.

أقول: هذا شرط يعقب به الكلام تتميما ومبالغة، أى اعتزل الناس اعتزالا لا غاية بعده، ولو قنعت فيه بعضٍّ أصل الشجرة افعل فإنه خير لك. و«الجثمان»: الجسمان يقال: ما أحسن جثمان الرجل! وجسمانه أتى جسده. وقال الأصمعى: الجثمان الشخص والجثمان الجسم. وقوله: «فاسمع وأطع» جزاء الشرط، أتى لمزيد تقريره واهتمام بشأنه، وإلا فما قبل الشرط مما أغنى عنه. «مح»: هذه الرواية فى كتاب مسلم (١) عن أبى سلام عن حذيفة. قال الدارقطنى(٢): هذا مرسل، لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة .قال الشيخ محيى الدين (٣): هو كما قال، لكن

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن رقم [٥٢ - (١٨٤٧).

(٢) الإلزامات والتتبع للدارقطنى تحقيق مقبل الوادعى: ص٢٥٧.

(٣) شرح مسلم للنووى : ٢٣٨/١٢.

* سقطت من «ط» وأثبتناها من «ك».

حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك». متفق عليه. وفى روايةٍ لمسلم: قال: يكونُ بعدى أئمةٌ لايهتدون بهُداى، ولايستنّون بسنتى، وسيقومُ فيهم رجالٌ، قلوبُهم قلوبُ الشياطين فى جُثْمان إنس». قال حذيفة: قلت: كيفَ أصنع يارسول الله! إن ادركتُ ذلك؟ قال: تَسْمَعُ وتطيعُ الأمير، وإن ضُرِب ظهرك وأخِذَ مالك فاسمع وأطع».

٥٣٨٣ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال: رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فِتنًا كقطعِ الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويُمسى كافِرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا». رواه مسلم.

٥٣٨٤ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فِتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشى فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذًا فليَعُذْ بِهِ». متفق عليه. وفى رواية لمسلم:

المتن صحيح متصل بالطريق الأول. وإنما أتى مسلم بهذا متابعة. والحديث المرسل إذا روى من آخر طريق متصلا تَبيَّنا به صحة المرسل. جاز الاحتجاج به ويصير فى المسألة حديثان صحيحان.

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بادروا بالأعمال» أى سابقوا وقوع الفتن بالاشتغال بالأعمال الصالحة، واهتموا بها قبل نزولها، كما روى «بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا» فالمبادرة المسارعة بإدراك الشىء قبل فواته. أو بدفعه قبل وقوعه. وقوله: «يصبح الرجل» استئناف بيان لحال المشبه. وهو قوله: «فتنا» وقوله: «يبيع دينه بعرض من الدنيا» بيان للبيان.

«مظ»: فيه وجوه: أحدها: أن يكون بين الطائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب. فيستحلون الدم والمال. وثانيها: أن تكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين، ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق، ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات. وثالثها: مايجرى بين الناس مما يخالف الشرع من المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها. والله أعلم.

الحديث السادس: عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله: «من تشرف لها تستشرفه» «تو»: أى من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها. والتشرف: التطلع . واستعيرهاهنا للإصابة بشرها أو أريد بها أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها، وقيل: إنه من استشرفت الشىء أى علوته، يريد من انتصب لها انتصبت له وبلته وصرعته. وقيل: هو من المخاطرة. والإشفاء على الهلاك أى من خاطر بنفسه فيها أهلكته.

قال: «تكون فتنةٌ ، النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان ، واليقظان فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعى، فمن وجد ملجأ أومعاذًا فَلْيَسْتَعِذْ به».

٥٣٨٥ - * وعن أبى بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ : «إنها ستكون فتنٌ، ألا ثم تكون فتن، ألا ثمَّ تكونُ فتنةٌ، القاعدُ خير من الماشى فيها، والماشى فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا وقعت فمن كان له إبل فليَلحق بإبله، ومن كان له غنمٌ فَلْيلحقْ بغنمه ، ومن كانت له أرضٌ فَلْيَلْحَقْ بأرضه». فقال رجلٌ: يارسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولاغنم ولا أرض؟ قال: «يعمِد إلى سيفه فيدق على حدِّه بحجر، ثم لينْجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟» ثلاثًا، فقال رجل يارسول الله ! أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطَلَق بى إلى أحد الصَّفين، فضربنى رجلٌ بسيفه أو يجىء سهمٌ فيقتلنى؟ قال «يبُوءُ بإثمه وإثمك ، ويكونُ من أصحاب النار». رواه مسلم.

أقول: لعل الوجه الثالث أولى لما يظهر منه معنى اللام فى «لها» وعليه كلام الفائق. وهو قوله: أى من غالبها غلبته.

الحديث السابع عن أبى بكرة رضى الله عنه: قوله: «ألا ثم تكون فتنة» فيه ثلاث مبالغات. أقحم حرف التنبيه بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد التنبيه لها. وعطف بـ «ثم» لتراخى مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيها على عظمها. وهولها على أنه من عطف الخاص على العام لاختصاصها بما يفارقها من سائرها، وأنها كالداهية الدهياء. نسأل الله العافية منها بفضله وعميم طوله.

قوله: «من الساعى، إليها» أى يجعلها غاية سعيه ومنتهى غرضه لايرى مطلبا غيرها. ولام الغرض وإلى الغاية متقاربان معنى فحينئذ يستقيم التدرج والترقى من الماشى فيها إلى الساعى إليها. وقوله: «فمن كان له إبل. . إلى آخره» كناية عن الاعتزال عنها والاشتغال بخويصة نفسه. قال الشاعر:

إن السلامة من ليلى وجارتها   أن لاتمر على حال بواديها

وقوله: «يعمد إلى سيفه فيدق» عبارة عن تجرده تجردًا تامًا. كأنه قيل: من لم يكن له ما يشتغل به من مهامه فلينج برأسه. و«ثلاثا» مصدر فعل محذوف. أى قال رسول الله ﷺ ثلاث مرات: اللهم! هل بلغت إلى عبادك ما أمرتنى به أن أبلغه إليهم؟ قوله: «يبوء بإثمه وإثمك» فيه وجهان: أحدهما: أراد بمثل إثمك على الاتساع، أى يرجع بإثمه ومثل إثمك المقدر لو قتلته. وثانيهما: أراد بإثم قتلك على حذف المضاف، وإثمه السابق على القتل.

٥٣٨٦ - * وعن أبى سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مالِ المسلم غنمٌ يتبع بها شعَفَ الجبال ومواقع القطر، يَفِرُّ بدينِه من الفِتنِ». رواه البخارى.

٥٣٨٧ - * وعن أسامة بن زيد، قال: أشرف النبىُّ ﷺ على أُطُمٍ من آطام المدينةِ، فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا، قال: «فإنى لأرى الفتنَ تقعُ خِلال بيوتكم كوقع المطَر». متفق عليه.

٥٣٨٨ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَلَكةُ أمتى على يَدَى غِلْمةٍ مِنْ قُرَيْشٍ». رواه البخارى.

الحديث الثامن عن أبى سعيد رضى الله عنه قوله: «يوشك أن يكون» قال المالكى: «يوشك» أحد أفعال المقاربة يقتضى اسما مرفوعا، وخبرا منصوب المحل لايكون إلا فعلا مضارعا مقرونا بـ «أن». ولا أعلم تجرده من«أن» إلا فى قول الشاعر:

يوشك من فر من منيته　　　　فى بعض غزاته يواقعها

وقد يسند إلى «أن» والفعل المضارع فيسد ذلك مسد اسمها وخبرها. وفى هذا الحديث شاهد على ذلك.

قوله «غنم» نكرة موصوفة هو اسم «يكون» والخبر قوله «خيرمال» وهو معرفة فلا يجوز. اللهم إلاأن يراد بـ «المسلم» الجنس فلا تعيين فيه حينئذ. وفائدة التقديم أن المطلوب حينئذ الاعتزال وتحري الخير بأى وجه كان. وليس الكلام فى الغنم ولذلك أخرها.

وقال المالكى: يجوز فى «خير وغنم» رفعهما على الابتداء. و«الخير» فى موضع نصب خبرا لـ«يكون» واسمه ضمير الشأن؛ لأنه كلام تضمن تحذيرا وتعظيما لما يتوقع وتقديم ضمير الشأن عليه مؤكد لمعناه. قوله: «شعف الجبال» «نه»: شعف كل شىء أعلاه وجمعها شعاف. يريد به رأس كل جبل من الجبال. انتهى كلامه. والقطر عبارة عن العشب والكلأ. أى يتبع بها مواقع العشب والكلأ فى شعاف الجبال.

الحديث التاسع عن أسامة رضى الله عنه: قوله: «أطم»: «نه» هو بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام قوله «تقع» يحتمل أن يكون مفعولا ثانيا. والأقرب إلى الذوق أن يكون حالا، والرؤية بمعنى النظر. أى كشف لى فأبصرها عيانا.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «على يدى غلمة» أى أحداث السن

٥٣٨٩ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتقاربُ الزمانُ، ويُقبضُ العلم، وتَظهرُ الفِتَنُ، ويُلْقَى الشحُ، ويكثُرُ الهَرْجُ». قالوا: وما الهرج ؟ قال: «القتلُ». متفق عليه.

٥٣٩٠ - * وعنه، قال : قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لاتذهبُ الدنيا حتى يأتى على الناس يومٌ لايدرى القاتلُ فيم قَتَل؟ ولا المقتولُ فيم قُتِل؟» فقيل: كيف يكونُ ذلك؟ قال: «الهَرْجُ، القاتِلُ والمقتول فى النار». رواه مسلم.

٥٣٩١ - * وعن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة فى الهرج كهجرةٍ إلىَّ». رواه مسلم.

٥٣٩٢ - * وعن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنسَ بنَ مالكٍ فشكونا إليه ما نلقى من الحجَّاجِ. فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتى عليكم زمانٌ إلا الذى بعده أشرُّ منه حتى تَلْقَوا ربَّكم». سمعتهُ من نبيِّكم ﷺ. رواه البخارى.

الذين لا مبالاة لهم بأصحاب الوقار وذوى النُّهى. «مظ»: لعله أريد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين، مثل: يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما.

الحديث الحادى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يتقارب الزمان» «تو»: يريد به اقتراب الساعة. ويحتمل أنه أراد بذلك تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض فى الشر أو تقارب الزمان نفسه فى الشر حتى يشبه أوله آخره. وقيل: بقصر أعمار أهله. «قض» يحتمل أن يكون المراد به أن تتسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض، فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم.

الحديث الثانى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله: «القاتل والمقتول فى النار». «مح»: أما القاتل فظاهر وأما المقتول ؛ فإنه أراد قتل صاحبه. وفيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثما، وإن لم يفعلها ولاتكلم بها.

الحديث الثالث عشر والرابع عشر عن الزبير قوله: «أشر منه». «قض»: أخير وأشر أصلان متروكان لايكادان يستعملان إلا نادراً. وإنما المتعارف فى التفضيل خير وشر.

الفصل الثانى

٥٣٩٣ - * عن حذيفةَ، قال: واللهِ ما أدرى أنسىَ أصحابي أمْ تناسَوا؟ واللهِ ما تركَ رسولُ الله ﷺ منْ قائدِ فتنةٍ إلى أن تنقضىَ الدُّنيا يبلغُ من معه ثلاثمائةٍ فصاعدًا وإلا قدْ سمَّاهُ لنا باسمِه واسمِ أبيهِ واسمِ قبيلتِه. رواه أبو داود. [٥٣٩٣]

٥٣٩٤ - * وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما أخافُ على أُمتى الأئمة المُضلينَ وإذا وُضِعَ السَّيفُ فى أمَّتى لم يُرفعْ عنهم إلى يومِ القيامةِ». رواه أبو داود، والترمذىُّ. [٥٣٩٤]

٥٣٩٥ - * وعن سفينةَ، قال: سمعتُ النبىَّ ﷺ يقول «الخلافةُ ثلاثونَ سنةً، ثمَّ تكونُ مُلكًا». ثمَّ يقول سفينةُ: أمْسِك خلافة أبى بكرٍ سنتين، وخِلافة عمرَ عشرةً، وعثمانَ اثنتىْ عشرةَ، وعليٌّ ستَّةً. رواه أحمد، والترمذى، وأبو داود. [٥٣٩٥]

الفصل الثانى

الحديث الأول عن حذيفة رضى الله عنه قوله: «يبلغ من معه» الجملة فى موضع الجر صفة «قائد» تقديره يبلغ مع قائد الفتن المبلغ المذكور. «مظ»: أراد بـ «قائد الفتنة» من يحدث بسببه بدعة أو ضلالة أو محاربة: كعالم مبتدع يأمر الناس بالبدعة، أو أمير جائر يحارب المسلمين انتهى كلامه. وقوله «إلى أن تنقضى الدنيا» متعلق بمحذوف، أى ماترك رسول الله ﷺ ذكر قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا مهملا، لكن قد سماه فالاستثناء منقطع.

الحديث الثانى عن ثوبان رضى الله عنه قوله: «وإذا وضع السيف» عطف على قوله: «إنما أخاف» على سبيل حصول الجملتين، وتفويض ترتب الثانية على الأولى إلى ذهن السامع، كأنه قيل: أخاف على أمتى من شر الأئمة المضلين، وإضلالهم الذى يؤدى إلى الفتنة والمرج، والهرج، وهيج الحروب ووضع السيف بينهم، فإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع.. إلخ.

الحديث الثالث عن سفينة: قوله: «الخلافة ثلاثون سنة» . «حس»: يعنى أن الخلافة حق الخلافة إنما هى للذين صدقوا هذا الاسم بأعمالهم، وتمسكوا بسنة رسول الله ﷺ من بعده. فإذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك، وإن كان أساميهم الخلفاء. ولابأس أن يسمى

[٥٣٩٣] رواه أبو داود وفي سننه ح (٤٢٤٣) ، وقال الشيخ الألباني في المشكاة: إسناده ضعيف.

[٥٣٩٤] صحيح أبى داود ٣٥٧٧ وهو جزء من حديث طويل أوله: «إن الله زوى لى الأرض، وبه زيادات.

[٥٣٩٥] صحيح الترمذى ١٨١٣

٥٣٩٦ - * وعن حذيفةَ، قال: قلتُ: يارسولَ الله ! أيكونُ بعدَ هذا الخيرِ شرٌّ كما كانَ قبلَه شرٌّ؟ قال «نعمْ» قلتُ: فما العصمةُ؟ قال «السَّيفُ» قلتُ: وهلْ بعدَ السَّيفِ بقيَّةٌ؟ قال «نعمْ، تكونُ إمارةٌ على أقذاء، وهدْنةٌ على دَخَنٍ». قلتُ ثم ماذا؟ قال: «ثمَّ ينشأ دعاةُ الضَّلال، فإن كانَ للهِ في الأرضِ خليفةٌ جَلَدَ ظهركَ، وأخذَ مالكَ، فأطعْه، وإلا فمتْ وأنتَ عاضٌّ على جَذْلِ شجرةٍ».

القائم بأمور المسلمين «أمير المؤمنين»، وإن كان مخالفا لبعض سير أئمة العدل لقيامه بأمر المؤمنين. ويسمى خليفة؛ لأنه خلف الماضي قبله وقام مقامه. ولايسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما السلام.

وروى أن رجلا قال لأبى بكر يا خليفة الله ! فقال أنا خليفة محمد، وأنا راض بذلك، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: ياخليفة الله !فقال: ويحك! لقد تناولت متناولا، إن أمى سمتنى عمر، فلو دعوتنى بهذا الاسم قبلت ثم وليتمونى أموركم فسميتمونى أمير المؤمنين فلو دعوتنى بذلك كفاك. قوله: «ثم يقول سفينة: أمسك» أى يقول لراويه عد مدة الخلافة. أقول لعل الوجه أن يقال: أمسك أى اضبط الحساب عاقدا أصابعك، حتى يكون «أمسك» محمولا على أصله.

الحديث الرابع عن حذيفة رضى الله عنه قوله: «فما العصمة؟» أى فما العصمة عن الوقوع فى ذلك الشر. «قال: السيف» أى تحصل العصمة باستعمال السيف. حمل قتادة هذا على أهل الردة الذين كانوا فى زمن الصديق رضى الله عنه. قوله «إمارة على أقذاء». «نه» الأقذاء جمع قذا والقذى جمع قذاة. وهو ما يقع فى العين والماء والشراب من تراب أو نتن أو وسخ أو غير ذلك. أراد أن اجتماعهم يكون على فساد فى قلوبهم. فشبهه بقذى العين والماء والشراب. «قض» أى أمارة مشوبة بشىء من البدع وارتكاب المناهى، وصلح مع خداع وخيانة ونفاق.

قوله: «وهدنة على دخن». «فا» هدن سكن. يقال: هدن يهدن هدونا ومهدنًا ومهدنة. ضربه مثلا لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر. قوله «وإلا فمت وأنت عاض». «قض» أى إن لم يكن لله فى الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على مضض الزمان، والتحمل لمشاقه وشدائده، وعض جذل الشجر وهو أصله كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم: فلان يعض بالحجارة لشدة الألم. ويحتمل أن يكون المراد منه أن ينقطع عن الناس ويتبوأ أجمة. ويلزم أصل شجرة إلى أن يموت أو ينقلب الأمر من قولهم عض الرجل بصاحبه إذا لزمه ولصق به. ومنه: «اعضوا عليها بالنواجذ».

وقيل: هذه الجملة قسيم قوله: «فأطعه» ومعناه إن لم تطعه أدتك المخالفة إلى مالاتستطيع أن

قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال «ثمَّ يخرُجُ الدَّجال بعدَ ذلك، معَه نهْرٌ ونارٌ، فمنْ وقعَ فى ناره؛ وجبَ أجرُه، وحُطَّ وِزرُه. ومنَ وقعَ فى نهرِه، وجبَ وزرُه، وحُطَّ أجرُه». قال: قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال «ثمَّ يُنْتَجُ المهرُ فلا يُركبُ حتى تقومَ الساعةُ» وفى رواية: قال: «هُدنةٌ على دَخَنٍ، وجماعةٌ على أقذاء». قلتُ: يارسول الله! الهدنةُ على الدَّخن ماهَى؟ قال: «لاترجع قلوبُ أقوامٍ على الذى كانت عليه». قلتُ: بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «فتنةٌ عمياءُ صمَّاءُ، عليها دُعاةٌ على أبوابِ النارِ، فإنْ مُتَّ ياحذيفةُ! وأنتَ عاضٌّ على جَذْلٍ خيرٌ لكَ منْ أنْ تتَّبِعَ أحدًا منهم». رواه أبو داود. [٥٣٩٦]

٥٣٩٧ - * وعن أبى ذر، قال: كنت رديفًا خلف رسول الله ﷺ يومًا، على

تصبر عليه. ويدل على المعنى الأول، قوله فى الرواية الأخرى: «فتنة عمياء صماء، عليها دعاة على أبواب النار. فإن مت ياحذيفة! وأنت عاض على جذل، خير لك من أن تتبع أحدا منهم».

أقول: على الوجه الأول لفظه خبر ومعناه الأمر. وهو قسيم لقوله: «فإن كان للهفى الأرض خليفة». وعلى الثانى هو مسبب من قوله: «فأطعه».

قوله «ثم ينتج المهر فلا يركب». «تو»: ينتج من النتج لامن النتاج ولامن الإنتاج. يقال: نتجت الفرس أو الناقة على بناء مالم يسم فاعله نتاجا . ونتجها أهلها نتجا. والإنتاج اقتراب ولادها. وقيل: استبانة حملها. وقوله «فلا يركب» بكسر الكاف من قولهم اركب المهر إذا حان وقت ركوبه.

قوله «فتنة عمياء صماء». «قض» والمراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لايرى منها مخرج ولايوجد دونها مستغاثا، أو أن يقع فيها الناس على غرة من غير بصيرة فيعمون فيها ويصمون عن تأمل الحق واستماع النصح.

أقول: الوجه الأول من **الاستعارة المكنية** شبه الفتنة فى كونها لامخرج عنها ولامستغاث منها بامرأة عمياء صمَّاء. ثم نسب إليها ماهى من لوازم **المشبه به**. والوجه الثانى من **الإسناد المجازى**؛ لأن الفتنة ليست عمياء صماء بل صاحبها هو الأعمى والأصم . فأسند إليها لكونها سببا فيهما. ووصف الصاحب بالعمى والصمم أيضا ليس على الحقيقة؛ لأن المراد منه صممه عن استماع الحق وعماه عن النظر إلى الدلائل.

الحديث الخامس عن أبي ذر رضى الله عنه قوله: «خلف رسول الله ﷺ» ظرف ، وقع صفة

[٥٣٩٦] صحيح أبى داود بنحوه ٣٥٧١ وقد أطلت الكلام على تخريجه، وشرح ما يستفاد منه بالتفصيل، مع تنزيله على واقع المسلمين اليوم، وذلك فى كتابي: (دراسات حول الجماعة والجماعات) مكتبة الصحابة بجدة، والتابعين بالقاهرة.

حمار، فلما جاوزنا بيوت المدينة، قال «كيف بك يا أبا ذر! إذا كانَ بالمدينةِ جوعٌ تقوم عن فراشِك ولاتبلغ مسجدك حتى يُجهدك الجوع؟» قال: قلت: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «تعفَّفْ يا أبا ذر!». قال: «كيف بك يا أبا ذر! إذا كان بالمدينة موتٌ يبلغُ البيتُ العبد حتى إنه يباع القبر بالعبدِ؟». قال: قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم. قال «تصبر يا أبا ذر!». قال «كيف بك يا أبا ذر! إذا كان بالمدينة قَتْلٌ تَغْمرُ الدماء أحجار الزيت؟» قال: قلت: اللهُ ورسوله أعلم. قال «تأتى من أنت منه». قال: قلت:

مؤكدة لـ«رديفًا». قوله «تعفَّفْ» «نه»: هو الكف عن الحرام والسؤال من الناس. والمراد بـ«البيت» هاهنا القبر. وأراد أن مواضع القبور تضيق فيبتاعون موضع كل قبر بعبد. «تو»: وفيه نظر؛ لأن الموت وإن استمر بالأحياء وفشا فيهم كل الفشو، لم ينته بهم إلى ذلك. وقد وسع الله عليهم الأمكنة. انتهى كلامه. وأجيب بأن المراد بمواضع القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بأنهم لايتجاوزون عنها.

«حس»: قيل: معناه أن الناس يشتغلون عن دفن الموتى لما هم فيه، حتى لايوجد من يحفر قبر الميت فيدفنه إلا أن يعطى عبدًا أو قيمة عبد. وقيل: معناه أن لايبقى فى كل بيت كان فيه كثير من الناس إلا عبد يقوم بمصالح ضعفة أهل ذلك البيت.

«مظ»: يعنى يكون البيت رخيصًا فيباع بيت بعبد. أقول: وعلى الوجهين الأخيرين لايحسن موقع «حتى» حُسنها على الوجهين الأولين.

«خط»: قد يحتج بهذا الحديث من يذهب إلى وجوب قطع النباش. وذلك أن النبى ﷺ سمى القبر بيتا، فدل على أنه حرز كالبيوت. قوله: «أحجار الزيت» «تو» هى من الحرة التى كانت بها الوقعة زمن يزيد. والأمير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المري المستبيح لحرم رسول الله ﷺ . وكان نزوله بعسكره فى الحرة الغربية من المدينة، فاستباح حرمتها وقتل رجالها، وعاث فيها ثلاثة أيام. وقيل: خمسة . فلا جرم أنه انماع* كما ينماع الملح فى الماء، ولم يلبث أن أدركه الموت وهو بين الحرمين وخسر هنالك المبطلون (١).

قوله: «تأتى من أنت منه» خبر فى معنى الأمر. «قض» أى ارجع إلى من أنت جئت منه، وخرجت من عنده. يعنى أهلك وعشيرتك.

أقول: ولايطابق على هذا سؤاله بقوله «وألبس السلاح؟» والظاهر أن يقال: أن ترجع إلى إمامك ومن بايعته، فحينئذ يتوجه له أن يقول: وألبس السلاح وأقاتل معه؟. فقال: لا. أى:

---

(١) قال مصحح (ط) ولذلك سماه أهل الحجاز «مسرفًا» وسماه ابن حزم «مجرمًا» كما فى موجز تاريخ الإسلام له، ص: ٢٢.

* أى ذاب.

وأَلْبَسُ السلاح؟ قال: «شاركت القومَ إذًا». قلتُ: فكيف أصنع يارسول الله؟ قال: «إن خشيت أن يَبْهركَ شعاعُ السيفِ فَألْقِ ناحيةَ ثوبك على وجهك ليبوءَ بإثمك وإثمه». رواه أبوداود. [٥٣٩٧]

٥٣٩٨ - * وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كيف بك إذا أُبقيتَ فى حُثالةٍ من الناسِ مَرِجت عهودهم وأماناتهم؟ واختلفوا فكانوا هكذا؟» وشبَّك بين أصابعه. قال: فبم تأمرنى؟ قال «عليك بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصةِ نفسك، وإياك وعوامَّهم». وفى روايةٍ: «الزمْ بيتكَ، واملك عليك لسانك؛ وخذ ماتعرف، ودَعْ ما تنكر، وعليك بأمرِ خاصةِ نفسِك ودَع أمر العامَّة».. رواه الترمذى، وصححه. [٥٣٩٨]

كن معه ولاتقاتل؛ ولذلك عقبه بقوله: «إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف» وهو كناية عن سلامة نفسه لمن يقصده فيقتله. يدل عليه قوله «ليبوء بإثمك وإثمه» ونظيره: قوله فى حديث أبى بكرة فى الفصل الأول: «إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين» إلى قوله: «يبوء بإثمه وإثمك» كما قال هاهنا: «فألق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه» فإنه كناية عن التسليم. قيل: وهذا الكلام زجر منه ﷺ [للسعى]* على كثرة إراقة الدماء وإلا فمن المعلوم من أصل الشرع أن دفع الخصم واجب.

الحديث السادس عن عبدالله: قوله: «كيف بك؟» مبتدأ وخبر. والباء زائدة فى المبتدأ أى كيف أنت أى حالك؟. «نه»؛ «الحثالة» الردىء من كل شىء. ومنه حثالة التمر والأرز والشعير وكل ذى قشر.

قوله: «مرجت عهودهم» «تو»: أى اختلطت وفسدت فقلت فيهم أسباب الديانات. وقوله: «هكذا، وشبك بين أصابعه» أى يموج بعضهم فى بعض ويلتبس أمر دينهم، فلا يعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر. قوله «عليك بما تعرف» أى الزم وافعل ما تعرف كونه حقا، واترك ما تنكر أنه حق. «مظ»: «وعليك بخاصة نفسك» أى الزم. أمر نفسك واحفظ دينك، واترك الناس ولاتتبعهم. وهذا رخصة فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كثر الأشرار وضعف الأخيار. والإملاك: السد والإحكام، يعنى سد لسانك، ولاتتكلم فى أحوال الناس كيلا يؤذوك.

[٥٣٩٧] صحيح أبى داود بنحوه ح (٣٥٨٣).

[٥٣٩٨] صحيح الجامع بنحوه ح (٤٥٤٩) وقد تكلمنا على تخريج الحديث، وفقه وما يستفاد منه فى واقع المسلمين بشىء من التفصيل فى كتابنا: (دراسات حول الجماعة والجماعات). ط مكتبة، الصحابة جدة والتابعين بالقاهرة».

* فى «ط» بدونها، وفى «ك» كذلك ويمكن أن تكون «للنهى». والله أعلم.

٥٣٩٩ - * وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ ، أنه قال : إنَّ بينَ يَدَى الساعةِ فتنًا كقِطعِ الليل المظلم ، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسِروا فيها قسيَّكم، وقَطِّعوا فيها أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخِل على أحدٍ منكم فليكن كخير ابني آدم». رواه أبو داود. وفي رواية له: ذكر إلى قوله «خيرٌ من الساعي». ثم قالوا: فما تأمرنا؟ قال «كونوا أحلاس بيوتكم». وفي رواية الترمذي: أنَّ رسول الله ﷺ قال في الفتنة «كسروا فيها قِسيَّكم، وقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم». وقال هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.[٥٣٩٩]

٥٤٠٠ - * وعن أُمِّ مالك البَهْزية، قالت ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقرَّبها قلتُ: يارسول الله! منْ خيرُ الناس فيها؟ قال: «رجلٌ في ماشيته يؤدِّي حقها، ويعبدُ ربَّهُ، ورَجُل آخذٌ برأسِ فرسه يخيف العدوَّ ويخوفونه». رواه الترمذيُّ.[٥٤٠٠]

٥٤٠١ - * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فتنةٌ

الحديث السابع عن أبى موسى رضى الله عنه: قوله: «إن بين يدى الساعة» يريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها. قوله «كخيرابنى آدم» يعنى فليستسلم حتى يكون مقتولا كهابيل، ولاتكن قاتلا كقابيل، وأحلاس البيوت ما يبسط تحت حُرِّ الثياب، فلا تزال ملقاة تحتها.

الحديث الثامن عن أم مالك : قوله: «فقربها». «شف»: معناه وصفها للصحابة وصفا بليغًا؛ فإن من وصف عند أحد وصفًا بليغًا فكأنه قرب ذلك الشىء إليه. قوله «يخيف العدو» أى يرتبط فى بعض ثغور المسلمين يخيف الكفار ويخوفونه. «مظ»: يعنى رجل هرب من الفتن وقتال المسلمين، وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه.

الحديث التاسع عن عبدالله قوله «تستنظف العرب» «نه» أى تستوعبهم هلاكًا يقال: استنظفت الشىء إذا أخذته كله. ومنه قولهم : استنظفت الخراج، ولايقال: نظفته. قوله «قتلاها فى النار» مبتدأ وخبر. «قض»: والمراد بـ«قتلاها» من قتل فى تلك الفتنة. وإنما هم

[٥٣٩٩] صحيح أبى داود ٣٥٥٢ ، وابن ماجه ٣٩٦١

[٥٤٠٠] صحيح الترمذى ١٧٦٩ ، الصحيحة ٦٩٨.

تستنظف العربَ ، قتلاها في النار، اللسان فيها أشدُّ من وقْعِ السَّيف». رواه الترمذي، وابن ماجه.[٥٤٠١]

من أهل النار؛ لأنهم ما قصدوا بتلك المقاتلة والخروج إليها إعلاء دين، أو دفع ظالم أو إعانة حق. وإنما كان قصدهم التباغى والتشاجر طمعا فى المال والملك.

قوله: «اللسان فيها أشد» أى القول والتكلم فيها إطلاقا للمحل وإرادة الحال «مظ». يحتمل هذا احتمالين: أحدهما: أن من ذكر أهل تلك الحرب بسوء يكون كمن حاربهم لأنهم مسلمون. وغيبة المسلمين إثم . ولعل المراد بهذه الفتنة: الحرب التى وقعت بين أمير المؤمنين على رضى الله عنه وبين معاوية رضى الله عنه (١). ولاشك أن من ذكر أحدا من هذين الصدرين وأصحابهما يكون مبتدعا؛ لأن أكثرهم كانوا أصحاب رسول الله ﷺ. والثانى: أن المراد به أن من مد لسانه فيهم بشتم أو غيبة يقصدونه بالضرب والقتل. ويفعلون به ما يفعلون بمن حاربهم.

أقول: ويؤيد قوله: ولعل المراد بهذه الفتنة. . إلخ. ما روينا عن الأحنف بن قيس: قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقينى أبو بكرة، فقال: أين تريد؟ يا أحنف! قلت أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ قال: فقال يا أحنف! ارجع ؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا توجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار» قال: فقلت يارسول الله ! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ فقال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه». متفق عليه.

وأما قوله: «قتلاها فى النار» فللزجر والتوبيخ والتغليظ عليهم. وأما كف الألسنة عن الطعن فيهم؛ فإن كلا منهم مجتهد. وإن كان على رضى الله عنه مصيبًا، فلا يجوز الطعن فيهما. والأسلم للمؤمنين أن لايخوضوا فى أمرهما. قال عمر بن عبد العزيز تلك دماء طهر الله أيدينا منها . فلا نلوث ألسنتنا بها.

«مح» : كان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ؛ لأنه بالاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ فلا إثم عليه. وإن كان على رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب. هذا مذهب أهل السنة. وكانت القضايا مشتبهة حتى كان جماعة من الصحابة تحيروا فيها، فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا. ولو تيقنوا الصواب لم يتأخروا عن مساعدته.

[٥٤٠١] انظر ضعيف ابن ماجه ح (٨٥٩) وضعيف الجامع ح (٢٤٧٤).

(١) أقول: هذا الاحتمال بعيد ولا يساعده سياق الحديث، لأنه أخبر في صدر الحديث أن قتلى هذه الفتنة في النار، وجمهور أهل السنة على عدم الحكم على قتلى حرب صفين بأنهم في النار والله أعلم كذا قال مصحح(ط).

٥٤٠٢ - * وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ستكونُ فتنةٌ صمَّاءُ بكماء عمياءُ ، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف» رواه أبو داود. [٥٤٠٢]

٥٤٠٣ - * وعن عبدالله بن عمر، قال: كنا قعودًا عند النبي ﷺ فَذَكر الفِتَنَ ، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: ومافتنة الأحلاس؟ قال: «هي هرب وحرب، ثم فتنةُ السرَّاءِ دخنها من تحت قدميْ رجلٍ من أهل بيتي، يزعم أنَّه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلحُ الناسُ على رجلٍ كَورِكٍ على ضِلَعٍ، ثمَّ فتنة الدُّهَيماء لاتدَعُ أحدًا من هذه الأمةِ إلا لطمتْهُ لطمةً، فإذا قيل: انقضت

الحديث العاشر عن أبي.هريرة رضي الله عنه: قوله «إشراف اللسان» أى إطالة اللسان. ومعنى هذا مثل معنى قوله «اللسان فيها أشد من وقع السيف» على ما سبق.

الحديث الحادي عشر عن عبدالله رضي اللهعنه: قوله «فتنة الأحلاس». «نه»: الأحلاس جمع حلس ، وهو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القتب، شبهها به للزومها ودوامها. والحرب - بالتحريك - نهب مال الإنسان وتركه لا شئ له. قوله «فتنة السراء» مبتدأ وخبره الجملة بعده. والجملة معطوفة على «فتنة الأحلاس» من حيث المعنى. أى قال فتنة الأحلاس هرب وحرب. ثم قال: و«فتنة السراء دخنها» كذا. . وقوله: «لاتدع» خبر لـــ «فتنة الدُّهيماء» والجملة عطف على ما قبلها. «تو» يحتمل أن يكون سبب وقوع الناس في تلك الفتنة وابتلائهم بها أثر النعمة . فأضيفت إلى «السراء» ويحتمل أن يكون صفة لـ«فتنة» فأضيفت إليها إضافة مسجد الجامع ويراد منها سعتها لكثرة الشرور والمفاسد. ومن ذلك قولهم قناة سراء، إذا كانت وسعة. وقوله: «دخنها» أى إثارتها وهيجانها شبهها بالدخان الذي يرتفع. وإنما قال: «من تحت قدمي رجل» تنبيها على أنه هو الذي يسعى في إثارتها، أو إلى أنه يملك أمرها. قوله «كورك على ضلع». «نه»: أى يصطلحون على رجل لانظام له ولااستقامة؛ لأن الورك لايستقيم على الضلع. ولايتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده. «حس»: معناه: الأمر الذي لايثبت ولايستقيم. وذلك لأن الضلع لايقوم بالورك ولايحمله. وإنما يقال في باب الملاءمة والموافقة إذا وصفوا هو ككف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولامستقل به.

قوله «ثم فتنة الدهيماء». «نه»: هي تصغير الدهماء يريد الفتنة المظلمة، والتصغير فيها للتعظيم. وقيل: أراد بـــ «الدهيماء» الداهية. ومن أسماء الداهية: الدهيم. زعموا أن الدهيم اسم

[٥٤٠٢] سنن أبي داود ٤٢٦٤ بسند ضعيف.

تمادت، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، حتى يصيرَ الناسُ إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لانفاقٍ فيه، وفسطاط نفاقٍ لا إيمانَ فيه. فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده» رواه أبو داود. [٥٤٠٣]

٥٤٠٤ - * وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، أفلحَ منْ كفَّ يدَه». رواه أبو داود. [٥٤٠٤]

٥٤٠٥ - * وعن المقداد بن الأسود، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتنَ، إن السعيد لمن جُنب الفتن، إن السعيد لمن جُنبَ الفتن؛ ولمن ابتلي فصبر فوَاهًا» رواه أبو داود. [٥٤٠٥]

ناقة غزا عليها سبعة إخوة، فقتلوا عن آخرهم وحملوا عليها .. حتى رجعت بهم، فصارت مثلا في كل داهية. واللطم هو الضرب بالكف.

أقول: وهو **استعارة مكنية** . شبه الفتنة بإنسان ثم خيل لإصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به، وجعلها قرينة لها. و«الفسطاط» - بالضم والكسر- المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط. وإضافة الفسطاط إلى الإيمان. إما بجعل المؤمنين نفس الإيمان مبالغة وإما بجعل الفسطاط مستعارا للكنف والوقاية على المصرحة. أى هم في كنف الإيمان ووقايته.

الحديث الثاني عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله «من شر قد اقترب» أراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين، من وقعة عثمان رضي الله عنه وما وقع بين على رضي الله عنه ومعاوية.

الحديث الثالث عشر عن المقداد رضي الله عنه قوله: **«فواهًا» اسم صوت وضع موضع المصدر وسد مسد فعله** . «نه» : قيل معنى هذا التلهف. وقد يوضع موضع الإعجاب بالشيء. يقال: واها له. وقد يرد بمعنى التوجع . وقيل: يقال في التوجع: آهًا له . انتهى كلامه.

ويجوز أن يكون« فواهًا» خبرا لـ «من » على أن اللام مكسورة، والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، فعلى هذا فيه معنى التعجب. أى من ابتلي وصبر فطوبى له، وأن لايكون خبرا على أن اللام مفتوحة. ويكون قوله: «ولمن ابتلي» عطفا على قوله «لمن جنّب الفتن» فعلى هذا «واها» للتلهف والتحسر. أى فواها على من باشرها وسعى فيها.

[٥٤٠٣] صحيح (صحيح الجامع بنحوه ح٤١٩٤ .

[٥٤٠٤] صحيح (صحيح الجامع ٧١٣٥ .

[٥٤٠٥] صحيح (صحيح أبى داود ٤٢٦٣).

٥٤٠٦ - * وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا وضِع السيف في أُمَّتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولاتقومُ الساعة حتى تلحق قبائلُ من أمَّتي بالمشركين، وحتى تعبُدَ قبائلُ من أمتي الأوثان، وإنَّه سيكون في أمَّتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنَّه نبيٌّ الله، وأنا خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي، ولاتزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحق ظاهرين، لايضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» رواه أبو داود.[٥٤٠٦]

٥٤٠٧- * وعن عبدالله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أوستٍّ وثلاثين أو سبعٍ وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيلُ من هلك، وإنْ

الحديث الرابع عشر عن ثوبان رضي الله عنه: قوله: «على الحق» خبر لقوله «لايزال» أى ثابتين على الحق . وقوله: «ظاهرين» يجوز أن يكون خبرا بعد خبر. وأن يكون حالا من ضمير الفاعل في ثابتين أى ثابتين على الحق في حال كونهم غالبين على العدو.

الحديث الخامس عشر عن عبدالله قوله: «تدور رحى الإسلام» «قض»: دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدوارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس. قال الشاعر:

فدارت رحانا واستدارت رحاهم

«تو» إنهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى، ويقولون: دارت رحى الحرب، أى استتب أمرها ولم نجدهم استعملوا دوران الرحى في أمر الحرب من غير جريان ذكرها والإشارة إليها. وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب. وإنما قال: «رحى الإسلام». فالأشبه أنه أراد بذلك أن الإسلام يستتب أمره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث . ويصح أن يستعار دوران الرحى في الأمر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له، فإن الرحـــى توجد على نعـت الكمال ما دامت دائرة مستمرة. ويقال: فلان صاحب دارتهم إذا كان أمرهم يدور عليه. ورحى الغيث: معظمه.

ويؤيد ما ذهبنا إليه ما رواه الحربي في بعض طرقه: «تزول رحى الإسلام» مكان «تدور» ثم قال: كأن «تزول» أقرب ؛ لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها. وأشار بـ «السنين الثلاث» إلى الفتن الثلاث . مقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس وثلاثين. وحرب الجمل وكانت سنة ست، وحرب صفين وكانت سنة سبع، فإنها كانت متتابعة في تلك الأعوام الثلاثة . قوله: «فإن يهلكوا فسبيل من هلك» أى فسبيلهم سبيل من قد هلك من القرون السالفة.

[٥٤٠٦] صحيح أبي داود ٤٢٥٢ ـ والفقرة الأخيرة منه فى «صحيح مسلم».

يَقُم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا». قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال «مما مضى». رواه أبو داود. [٥٤٠٧]

قوله: «وإن يقم لهم دينهم» قال الخطابي: أراد بالدين الملك. وأنشد قول زهير:

لئن حللت بحر* في بني أسد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك

قال: ويشبه أن يكون أراد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس. وكان مابين استقرار الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان، وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه نحواً من سبعين سنة.

ويرحم الله أبا سليمان! فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه، لعلم أن النبي ﷺ لم يرد بذلك ملك بني أمية دون غيرهم من الأمة. بل أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم أنهم يلبثون على ماهم عليه خمسا وثلاثين سنة، أو ستا وثلاثين أو سبعا وثلاثين. ثم يشقون عصا الخلاف فتفترق كلمتهم. فإن هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم. وإن عاد أمرهم إلى ماكان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين . هذا مقتضى اللفظ .

ولو اقتضى اللفظ أيضا غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول؛ فإن الملك في بعض أيام العباسية لم يكن أقل استقامة في أيام المروانية، مع أن بقية الحديث تنقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا. وهي قول ابن مسعود: قلت : يارسول الله! أمما بقي أو مما مضى؟ يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها؟قال: مما مضى ، يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دولة الإسلام، لامن انقضاء خمس وثلاثين، أوست وثلاثين، أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين.

وفي جامع الأصول: قيل: إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى أن تنقضى مدة خمس وثلاثين سنة. ووجهه أن يكون قد قاله. وقد بقيت من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين، وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ. وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه. وإن كان سنة ست وثلاثين من الهجرة ففيها كانت وقعة الجمل. وإن كانت سنة سبع وثلاثين ، ففيها كانت وقعة صفين.

[٥٤٠٧] صحيح الجامع ٢٩٣٤.

* فى (ط) (نحو) ، وفى (ك) (بحر).

الفصل الثالث

٥٤٠٨ - * عن أبي واقد الليثي: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما خرجَ إلى غزوة حُنين مرَّ بشجرةٍ للمشركين كانوا يُعلِّقونَ عليها أسلحَتَهُم، يقال لها: ذاتُ أنواط . فقالوا: يارسولَ الله! اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهُم ذاتُ أنواط فقال رسول الله ﷺ : «سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهةٌ﴾[1] والذي نفسي بيده لتركبُنَّ سُنَنَ من كان قبلكم » رواه الترمذي.[٥٤٠٨]

٥٤٠٩ - * وعن ابن المسيب، قال: وقعت الفتنةُ الأولى - يعنى مقتل عثمان- فلم يبقَ من أصحابِ بدر أحدٌ ، ثم وقعت الفتنةُ الثانيةُ - يعني الحرة- فلم يبقَ من أصحابِ الحديبية أحدٌ، ثمَّ وقعت الفتنةُ الثالثةُ فلم ترتفع وبالناس طبَّاخٌ. رواه البخاري.

(١) باب الملاحم

الفصل الأول

٥٤١٠ - * عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال «لاتقومُ الساعةُ حتى تقتتِل

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي واقد: قوله: «ذات أنواط» . «نه»: هي جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط وهي هنا اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلقونه بها ويعكفون حولها فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.

الحديث الثاني عن ابن المسيب: قوله: «يعني الحرة» «نه»: الحرة هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. كانت الوقعة المشهورة في الإسلام أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين، وأمر عليه مسلم بن عقبة المري فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين بها. وأصل الطباخ القوة والسمن ثم استعمل في غيره. فقيل: فلان لاطباخ له، أى لاعقل له ولاخير عنده، أراد أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحداً.

باب الملاحم

«نه» : هى جمع الملحمة وهى الحرب وموضع القتال، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها، كاشتباك لحمة الثوب بالسدا. وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها.

[٥٤٠٨] صحيح الترمذى ١٧٧١

(١) الأعراف: ١٣٨ .

فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلةٌ عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يُبْعَثَ دجالونَ كذّابون، قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يزعم أنَّه رسولُ الله، وحتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، ويظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثرَ فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبلُ صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لاأَرَبَ لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين **﴿لاينفع نفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾**[1]، ولتَقومَنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهُما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبنِ لقحته فلا يطعمه، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حوضَه فلايسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يطعمها» متفق عليه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «دعواهما واحدة» أى كل واحدة من الفئتين تدعى الإسلام. قوله: «دجالون». «حس»: كل كذاب دجال. يقال: دجل فلان الحق بباطله، أى غطاه. ومنه: أخذ الدجال، ودجله سحره وكذبه. وقيل: سمى الدجال دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه. يقال: دجل إذا موه ولبس. قوله: «يتقارب الزمان» «خط»: أراد به زمان المهدى لوقوع الأمن في الأرض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فيستقصر مدته؛ لأنهم يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون مدة أيام الشدة وإن قصرت.

قوله: «حتى يهم» في جامع الأصول مقيد بضم الياء. و«رب المال» مفعوله والموصول مع صلته فاعله. وقوله: «حتى يعرضه» معطوف على مقدر المعنى: حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال في طلبه، حتى يجده وحتى يعرضه عليه. قوله: **﴿لا ينفعُ نفسًا إيمانُها﴾**[1]. معناه: لاينفع نفسا إيمانها حينئذ أوكسبها في إيمانها خيرًا لم تكن آمنت من قبل حينئذ أو كسبت في إيمانها خيرًا من قبل، فهو من اللف التقديرى.

قوله: «لقحته» «قض»: اللقحة: اللبون من النوق و«ليط الحوض» تطيينه. وأصله اللزق. والمعنى أن الساعة تأخذ الناس بغتة، تأتيهم وهم في أشغالهم فلا تمهلهم أن يتموها.

---

(١) الأنعام: ١٥٨، وهذا من الاقتباس.

٥٤١١ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا قومًا، نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذُلف الأنوفِ، كأن وجوههم المجانُّ المطرقة» متفق عليه.

٥٤١٢ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر» رواه البخاري.

٥٤١٣ - * وفي رواية له عن عمرو بن تغلب «عراض الوجوه».

٥٤١٤ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتقومُ الساعةُ حتى يُقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! ياعبدالله! هذا يهوديٌّ خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» رواه مسلم.

٥٤١٥ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتقومُ الساعةُ حتى يخرجَ رجلٌ من قحطانَ يسوقُ الناسَ بعصاه» متفق عليه.

الحديث الثاني والثالث عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «ذلف الأنوف». «قض»: ذلف جمع أذلف. وهو الذى يكون أنفه صغيرا ويكون في طرفه غلظ. و«المجان» - بفتح الميم - جمع مجن وهو الترس. والمطرق الذى أطرق أى جعل على ظهره طراق. وهو جلد يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره، شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها، وبالمطرق لغلظها وكثرة لحمها. وقد ورد ذلك في الحديث الذى بعده صفة لخوز وكرمان. ولو لم يكن ذلك من بعض الرواة، فلعل المراد بها صنفان من الترك. كأن أحد أصول أحدهما من خوز وأحد أصول الآخر من كرمان. فسماهم الرسول ﷺ باسمه وإن لم يشتهر ذلك عندنا، كما نسبهم إلى قنطوراء وهى أمة كانت لإبراهيم عليه السلام. وفيه فطس الأنوف بدل قوله: «ذلف الأنوف» وهو جمع أفطس من الفطس وهو تطامن قصبة الأنف وانتشارها. ولعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والترك.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «إلا الغرقد» «نه»* هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك. والغرقدة واحدته. ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة: بقيع الغرقد: لأنه كان فيه غرقد وقطع.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «قحطان» هو أبو اليمن وسوق الناس بعصاه عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعى الغنم بعصاه.

---

* سقطت من «ط».

٥٤١٦ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاهُ» وفي رواية: «حتى يملك رجلٌ من الموالي يقال له: الجَهجاه» رواه مسلم.

٥٤١٧ - * وعن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتفتحنَّ عصابةٌ من المسلمين كنزآلِ كسرى الذي في الأبيض» رواه مسلم.

٥٤١٨ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكَنَّ ثم لايكون قيصرُ بعده، ولتقسمنَّ كنوزهُما في سبيل الله» وسمى «الحرب خدْعة» متفق عليه.

الحديث السادس والسابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «الجهجاه». «مح»: هو بفتح الجيم وإسكان الهاء. وفي بعض النسخ: «الجهجها» بهائين. وفي بعضها: «الجهجا» بحذف الهاء التى بعد الألف. والأول هو المشهور. قوله: «لتفتحن». «تو»: وجدناه في أكثر نسخ المصابيح بتائين بعد الفاء. ونحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة وهو أمثل معنى؛ لأن الافتتاح أكثر ما يستعمل بمعنى الاستفتاح. فلا يقع موقع الفتح في تحقيق الأمر ووقوعه. والحديث إنما ورد في معنى الإخبار عن الكوائن.

«قض»: «الأبيض» قصر حصين كان بالمدائن. وكانت الفرس تسميه سفيد كوشك. والآن بنى مكانه مسجد مدائن. وقد أخرج كنزه في أيام عمر رضى الله عنه. وقيل: الحصن الذى بهمدان بناه [دار بن دارا]*.

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «ليهلكن» هلاك كسرى وقيصر كانا متوقعين. فأخبر عن هلاك كسرى بالماضى دلالة على أنه كالواقع بناء على إخبار الصادق. وأتى في الإخبار عن قيصر بلام القسم في المضارع. وبنى الكلام على المبتدأ والخبر. إشعارا بالاعتناء بشأنه وأنه [أطلب]** منه. وذلك أن الروم كانوا سكان الشام، وكان ﷺ في فتحه أشد رغبة؛ ومن ثمة غزا ﷺ تبوك، وهى من الشام.

فإن قلت: ماوجه المناسبة بين قوله: «وسمى الحرب خدعة» وبين الكلام السابق؟ قلت: هو وارد على سبيل الاستطراد؛ لأن أصل الكلام كان في ذكر الفتح، وكان حديثا مشتملا على الحرب. فأورده في الذكر كما ورد قوله تعالى: ﴿ومن كلٍ تأكلون لحمًا طريًا﴾(١) بعد قوله: ﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات﴾(١) والمراد منهما المؤمن والكافر.

---

(١) فاطر : ١٢.

* كذا فى «ط» وفى «ك» «دارا بن دارا».   ** كذا فى «ط» وفى «ك» «طلب».

٥٤١٩ - * وعن نافع بن عتبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثمَّ فارس فيفتحها الله، ثمَّ تغزونَ الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله» رواه مسلم.

٥٤٢٠ - * وعن عوف بن مالك، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبَّةٍ من أدَمٍ فقال: «اعدد ستًا بينَ يدي الساعة: موتي، ثمَّ فتح بيت المقدس، ثمَّ موتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم ثم استفاضةُ المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلُّ ساخطًا، ثمَّ فتنة لايبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثمَّ هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غايةً، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا» رواه البخاري.

٥٤٢١ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاتقومُ الساعةُ حتى ينزل الرومُ بالأعماق أو بدابق فيخرجُ إليهم جيشٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض

الحديث التاسع والعاشر عن عوف: قوله: «ثم موتان». «تو» أراد بالموتان الوباء وهو في الأصل موت يقع في الماشية، والميم منه مضمومة. واستعماله في الإنسان تنبيه على وقوعه فيهم وقوعه في الماشية؛ فإنها تسلب سلبا سريعا. وكان ذلك في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو أول طاعون وقع في الإسلام، مات منه سبعون ألفا في ثلاثة أيام. و«عمواس» قرية من قرى بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين. والقعاص: داء يأخذ الغنم فلا يلبثها أن تموت.

قوله: «ثم استفاضة المال». «حس»: هى كثرته، وأصله التفرق والانتشار. يقال: استفاض الحديث إذا انتشر. «نه»: هو من فاض الماء والدمع وغيرهما يفيض فيضا إذا كثر. انتهى كلامه. قوله: «فيظل ساخطًا» أى إنه يسخط استقلالاً للمبلغ المذكور وتحقيرا منه. والغاية والراية سواء ومن رواه بالباء الموحدة، أراد بها الأجمة. فشبه كثرة رماح العسكر بها وبنوه الأصفر الروم.

الحديث الحادى عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «بالأعماق». «تو»: العمق ما بعد من أطراف المفاوز. وليس «الأعماق» ها هنا بجمع. وإنما هو اسم موضع بعينه من أطراف المدينة. و«دابق» - بفتح الباء - دار نخلة موضع سوق بالمدينة. وقوله: «سَبَوا منا» على بناء الفعل يريدون بذلك محاملة المؤمنين بعضهم عن بعض. ويبغون به تفريق كلمتهم. والمرادون بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم. والأظهر أن هذا القول منهم يكون بعد الملحمة

يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خَلُّوا بيننَا وبينَ الذين سَبَوْا منَّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم، فيَنهزمُ ثُلثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبدًا، ويقتلُ ثُلثُهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلثُ لايفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية، فبيناهم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنَّ المسيحَ قد خَلَفَكُم في أَهْلِيكُم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشامَ خرجَ، فبيناهم يُعدُّونَ للقتالِ يسوُّون الصفوف، إذْ أُقيمت الصلاة، فينزل عيسى بنُ مريم، فأمَّهُم، فإذا رآه عدوُّ الله ذابَ كما يذوب الملح في الماءِ، فلو تركه لانذابَ حتى*يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حَربته» رواه مسلم.

٥٤٢٢ - * وعن عبدالله بن مسعود، قال: إنَّ الساعةَ لا تقومُ حتى لايُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفرحَ بغنيمةٍ. ثم قال: عدوٌّ يجمعون لأهلِ الشامِ ويجمع لهم أهلُ

الكبرى التى تدور رحاها بين الفئتين بعد المصالحة والمناجزة لقتال عدو يتوجه إلى المسلمين. وبعد [غدرة]* الروم بهم. وذلك قبل فتح قسطنطينة، فيطأ الروم أرض العرب حتى ينزل بالأعماق أو بدابق، فيسأل المسلمين أن يخلوا بينهم وبين من سبى من ذريتهم فيردون الجواب عليهم على ما ذكر في الحديث.

«مح»: قسطنطينة: هى بضم القاف وإسكان السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون، هكذا ضبطناه ها هنا وهو المشهور. ونقل القاضى في المشارق عن المتقنين زيادة ياء مشددة بعد النون، وهى مدينة مشهورة أعظم مدائن الروم.

قال الترمذى: والقسطنطينة قد فتحت(١) في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ وتفتح عند خروج الدجال. قوله: «لكن يقتله الله بيده» أى بيد عيسى عليه السلام. هذا الإسناد عند الموحدين حقيقى. وعند غيرهم مجازى. وفيه تصريح بأن فعل العبد مخلوق لله تعالى، وكسب للعبد على ما هو مذهب أهل الحق. وفي معنى الاستدراك سر. وذلك أنه لو تركه حتى انذاب وهلك لكان محض فعل الله وتقديره. ولم يكن لفعل العبد مدخل فيه. فأراد أن يظهر الحكمة في عالم الأسباب. فاستدركه بقوله: «ولكن يقتله الله». والله أعلم.

الحديث الثانى عشر عن عبدالله: قوله: «عدو» مبتدأ أى عدو كثير يجمعون لمقاتلة أهل الشام. قوله: «شرطة». «فا»: يقال: أشرط نفسه لكذا أى أعلمها له وأعدها. فحذف المفعول.

---

(١) كذا في الأصول ولعله أراد: «غزيت». والله أعلم.

* فى «ط» «غزوة» وما أثبتناه من «ك».

الإسلام، يعني الروم، فيتشرَّطُ المسلمون شُرْطَةً للموت لاترجعُ إلا غالبةً، فيقتتلون، حتى يحجزَ بينهم الليلُ، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلاَّ غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيءِ هؤلاءِ وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نَهَد إليهم بقيةُ أهلِ الإسلام فيجعلُ الله الدَبْرَةَ عليهم، فيقتلون مقتلة لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمرٌ بجنباتهم فلا يخلّفهم حتى يخرّ ميتًا، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أيّ ميراث يقسم؟ فبيناهم كذلك إِذ سمعوا ببأس هو أكبر من

والشرطة نخبة الجيش التى تشهد الوقعة أولا، سموا بذلك: لأنهم يشرطون أنفسهم للهلكة. «مح»: «الشرطة» ـ بضم الشين ـ طائفة من الجيش يتقدمون للقتال. وقوله: «يشترط» ضبطوه بوجهين: أحدهما: بياء مثناة تحت ثم شين ساكنة مثناة فوق. والثانى بياء مثناة تحت ثم تاء مثناة فوق، ثم شين مفتوحة وتشديد الراء.

«تو»: يشكل معنى هذا من بقيةالحديث، «فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة» فلو كانت الشرطة ها هنا على ما وصفوه في معنى قوله: «وتفنى الشرطة» وقد ذكر أن كل واحد من الفئتين يرجع غير غالب. والوجه في تصحيح هذه الرواية من طريق المعنى أن يقال: أراد بـ«من بقى» غير غالب معظم الجيش وصاحب رايتهم، لا النفر الذين تقدموا وهم الشرطة.

وقوله: «يتشرط» فإنه في الحديث كذلك، استعمل «يتشرط» مكان «اشترط» يقال: اشترط فلان بنفسه لأمر كذا، أى قدمها وأعدها وأعلمها. ولو وجدت الرواية بفتح الشين من الشرطة لكان معناه أوضح وأقوم مع قوله: «وتفنى الشرطة» أى يشترطون فيما بينهم شرطا أن لايرجعوا إلا غالبة، يعنى يومهم ذلك فإذا حجز بينهم الليل ارتفع الشرط الذى شرطوه. وإنما أدخل فيه التاء؛ ليدل على التوحيد أى يشترطون شرطة واحدة لا مثنوية فيها ولم يعرف ذلك من طريق الرواية.

أقول: إذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب إليها، والانحراف عن التحريف من ضم الشين إلى فتحها والتزام التكلف في تأويل التاء، والعدول عن الحقيقة في نفس الشرطة إلى ذلك المجاز البعيد. وأى مانع من أن يفرض أن الفئة العظيمة من المسلمين أفرزوا من بينهم طائفة تقدم الجيش للمقاتلة. واشترطوا عليها أن لاترجع إلا غالبة؛ فلذلك بذلوا جهدهم وصدقوا فيما عاهدوا، وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم. وهو المراد من قوله: «وتفنى الشرطة».

ذلك، فجاءهم الصريخ: أن الدجَّال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون فيبعثون عشر فوارِس طليعة». قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس، أو من خير فوارس، على ظهر الأرض يومئذ» رواه مسلم.

٥٤٢٣ - * وعن أبي هريرةَ، أن النبي ﷺ قال: «هل سمعتم بمدينة، جانبٌ منها في البرّ، وجانبٌ منها في البحر؟» قالوا: نَعَمْ يارسول الله قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إِله إِلا الله، والله أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها. قال ثَورُ بنُ زيد الراوي: لا أعلمه إلا قال ـ: «الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إِله إِلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إِله إِلا الله، والله أكبر، فيفرجُ لهم فيدخلونها فيغنمون، فبيناهُمْ يقتسمون المغانم إِذْ جاءَهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كلَّ شيء ويرجعون» رواه مسلم.

قال: الجوهري: قد شرط عليه كذا واشترط عليه يشترط. وقوله: «فيفيء هؤلاء وهؤلاء» المراد منهما الفئتان العظيمتان لا الشرطة. وقوله: «فبأى غنيمة يفرح» هو جزاء شرط محذوف أبهم أولا في قوله: «إن الساعة لا تقوم حتى لايقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة» حيث أطلقه ثم بين بقوله: «عدو» إلخ. بأن ذلك مقيد بهذه الصفة. فحينئذ يصح أن يقال: فإذا كان كذلك فبأى غنيمة يفرح:؟ إلخ. قوله: «نهد إليهم» «مح»: أى نهض وتقدم. «والدبرة» بفتح الدال والباء: الهزيمة. وقوله: «فلا يخلفهم» هو بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام المشددة أى يجاوزهم. قوله: «حتى يخرميتا» «مظ»: يعنى طار الطير على أولئك الموتى فما وصل إلى آخرهم حتى يخر ويسقط ميتا من نتنهم، أو من طول مسافة مسقط الموتى.

أقول المعنى الثانى ينظر إلى قول البحترى في وصف بركة:

لايبلغ السمك المحصور غايتها ... لبعد ما بين قاصيها ودانيها

«فيتعاد بنو الأب» يعنى تعد جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب فلم يبق من مائة إلا واحد قد خلفهم أى قعد مكانهم في أولادهم. و«**الصريخ» المستغيث فعيل من الصراخ.** و«الطليعة» هو الذى يبعث ليطلع على أحوال العدو.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «من بنى إسحاق». «مظ»: أى من أكراد الشام وهم من بنى إسحاق النبي عليه السلام وهم مسلمون. قوله: «قال ثور بن يزيد»، هذا إشارة إلى أن ما وقع في نسخ المصابيح من قوله: «الذى في البحر» مدرج من قول الراوى.

الفصل الثاني

٥٤٢٤ - * عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمران بيت المقدسِ خرابُ يثرب، وخرابُ يثرب خروج الملحمة، وخروجُ الملحمة فتح قسطنطينيَّةَ، وفتحُ قسطنطينيَّة خروج الدجال» رواه أبوداود. [٥٤٢٤]

٥٤٢٥ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهرٍ» رواه الترمذي، وأبوداود. [٥٤٢٥]

٥٤٢٦ - * وعن عبدالله بن بُسر، أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وفتح المدينة ستُّ سنين، ويخرج الدجال في السابعة» رواه أبوداود، وقال: هذا أصح. [٥٤٢٦]

٥٤٢٧ - * وعن ابن عمر، قال: يوشِكُ المسلمون أن يُحاصَروا إلى المدينةِ،

الفصل الثانى

الحديث الأول عن معاذ رضى الله عنه: قوله: «عمران بيت المقدس». «شف»: لمَّا كان عمران بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها أمارة مستعقبة لخراب يثرب. وهو أمارة مستعقبة لخروج الملحمة وهو أمارة مستعقبة لفتح قسطنطينية، وهو أمارة مستعقبة لخروج الدجال جعل النبي ﷺ كل واحد منها عين ما بعده وعبر به عنه. انتهى كلامه.

فإن قلت: قال ها هنا: «فتح قسطنطينية خروج الدجال». وفي الحديث السابق: «إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون، وذلك باطل» فكيف الجمع بينهما؟ قلت: إنه ﷺ جعل الفتح علامة لخروج الدجال لا أنها مستعقبة له من غير تراخ. وصراخ الشيطان كان للإيذان بأنه واقع ليشغلوا عن القسم وكان باطلا. يدل عليه الحديث الآتي: «الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر» والتعريف في الصارخ في هذا الحديث للعهد، والمعهود الشيطان.

الحديث الثانى إلى الرابع عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «أن يحاصروا إلى المدينة»

[٥٤٢٤] حسن (انظر صحيح أبى داود ٣٦٠٩)

[٥٤٢٥] ضعيف (انظر ضعيف الجامع ٥٩٥٧)

[٥٤٢٦] ضعيف (انظر ضعيف الجامع ٢٣٦٠)

حتى يكونَ أبعد مسالِحِهم سَلاح وسلاح قريب من خيبر. رواه أبوداود.[٥٤٢٧]

٥٤٢٨ - * وعن ذي مخبَرٍ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الرّوم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم، فتُنْصَرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرْجٍ ذي تُلول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصَّليبَ، فيقول: غَلَبَ الصليبُ، فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة». وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة». رواه أبوداود.[٥٤٢٨]

٥٤٢٩ - * وعن عبدالله بن عمرو. عن النبي ﷺ، قال: «اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لايستخرجُ كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة». رواه أبوداود.[٥٤٢٩]

أى يضطروا لمحاصرة العدو إياهم. المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة: لأنهم يكونون ذوى سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر. والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. و«سلاح» موضع قريب من خيبر.

الحديث الخامس عن ذى مخبر: قوله: «آمنًا» صفة «صلحا» أى ذا أمن أو جعل الصلح أمنا على الإسناد المجازى.

الحديث السادس والسابع عن عبدالله: قوله: «ذو السويقتين» «مح»: هما تصغير ساقى الإنسان لدقتها. وهى صفة سوق السودان غالبا. ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿حرمًا آمنا﴾(١) لأن معناه آمنًا إلى قرب القيامة وخراب الدنيا. وقيل يخص منه قضية ذى السويقتين. قال: القاضى عياض: القول الأول أظهر. «تو»: «ودعوكم» تركوكم، وقلما يستعملون الماضى منه إلا ما روى في بعض الأشعار، كقول القائل:

غاله في الحب حتى ودعه

[٥٤٢٧] انظر صحيح صحيح أبى داود ٤٢٥٠

[٥٤٢٨] انظر صحيح أبى داود ٤٢٩٢ ، و صحيح الجامع ٣١٦٢

[٥٤٢٩] انظر صحيح أبى داود ٤٣٠٩

(١) العنكبوت: ٦٧

٥٤٣٠ - * وعن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ قال: «دعوا الحبشة ماودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم». رواه أبوداود، والنسائي. [٥٤٣٠]

٥٤٣١ - * وعن بُريدةَ، عن النبي ﷺ في حديث: «يقاتلكم قومٌ صغار الأعين» يعني الترك. قال: «تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في

ويحتمل أن يكون الحديث: «ما وادعوكم» أى سالموكم فسقط الألف من قلم بعض الرواة.

أقول: لا افتقار إلى هذا الطعن مع وروده في التنزيل. الكشاف: في قوله تعالى: ﴿**ما ودعك ربك**﴾(١) وقرىء بالتخفيف يعنى ما تركك. قال:

ثُمَّ وَدعْنا آل عمرو وعامرٍ فرائس أطراف المثقَّفة السُّمرِ

ولأن لفظ الازدواج ورد العجز على الصدر يجوز؛ لذلك جاء في كلامهم: إنى لآتيه بالغدايا والعشايا. وقوله: «ارجعن مأزورات غير مأجورات». «مظ»: كلام النبي ﷺ متبوع لا تابع بل فصحاء العرب عن آخرهم بالإضافة إليه بأقل. وأيضا فلغات العرب مختلفة، منهم من انقرض لغته. فأتى النبي ﷺ بها. قال شمر: زعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدره وماضيه. والنبي ﷺ أفصح.

«خط»: اعلم أن الجمع بين قوله تعالى: ﴿**قاتلوا المشركين كافة**﴾(٢) وبين هذا الحديث - أن الآية مطلقة والحديث مقيد. فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصا لعموم الآية كما خص ذلك في حق المجوس فإنهم كفرة. ومع ذلك أخذ منهم الجزية؛ لقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب».

أقول: ويحتمل أن تكون الآية ناسخة للحديث لضعف الإسلام ثم قوته. وأما تخصيص الحبشة والتُرك بالتَرك والودع فلأن بلاد الحبشة وغيرها بين المسلمين وبينهم مهامة وقفار فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب وعظم المشقة. وأما الترك فبأسهم شديد، وبلادهم باردة. والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد، فلهذين السرين خصصهم. وأما إذا دخلوا بلاد المسلمين قهرا - والعياذ بالله - فلا يجوز لأحد ترك القتال؛ لأن الجهاد في هذه الحالة فرض عين. وفي الحالة الأولى فرض كفاية.

الحديث الثامن عن بريدة رضى الله عنه: قوله: «بجزيرة العرب» قيل: هى اسم لبلاد العرب

[٥٤٣٠] انظر صحيح أبى داود ٤٣٠٢

(١) الضحى: ٣. (٢) التوبة: ٣٦.

السياقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فَيُصْطَلَمُونَ» أو كما قال. رواه أبوداود. [٥٤٣١]

٥٤٣٢ - * وعن أبي بكرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ أناسٌ من أمتي بغائط، يسمونه البصرةَ، عند نهرٍ يقال له: دجلةُ، يكون عليه جِسْرٌ، يكثر أهلها، ويكون من أمصار المسلمين، وإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قَنْطُوراءَ عِراضُ الوجوه، صغارُ الأعين، حتى ينزلوا على شطٍّ النهر، فيتفرَّق أهلها ثلاث فِرَق، فرقةٌ يأخذون في أذناب البقر والبرية وهلكوا، وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم وهلكوا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظُهورهم ويُقاتلونهم وهم الشهداء». رواه أبوداود. [٥٤٣٢]

سميت بذلك لإحاطة البحار والأنهار بها: بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات. قال مالك: جزيرة العرب: الحجاز واليمامة واليمن ومالم يبلغه ملك فارس والروم. وقوله: «فيصطلمون» أي يحصدون بالسيف والاصطلام افتعال من الصلم وهو القطع المستأصل.

الحديث التاسع عن أبي بكرة رضى الله عنه: قوله: «بغائط». «فا»: الغائط: الوادى المطمئن. وغاط في الأرض يغوط ويغيط إذا غار. قوله: «عند نهر يقال له: دجلة» «شف»: أراد النبي ﷺ بهذه المدينة مدينة بغداد؛ فإن دجلة هى الشط، وجسرها في وسطها لا في وسط البصرة. وإنما عرفها النبي ﷺ ببصرة؛ لأن بغداد موضعا خارجا منه قريب من بابه يدعى بباب البصرة. فسمى النبي ﷺ بغداد باسم بعضها، أو على حذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿**واسأل القرية**﴾[1]. وبغداد ما كانت مبنية في عهد النبي ﷺ على هذه الهيئة ولا كان مصرا من الأمصار؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «ويكون من أمصار المسلمين» بلفظ المستقبل، بل كان في عهده ﷺ قرى متفرقة سورت بعد ما خربت مدائن كسرى منسوبة إلى البصرة محسوبة من أعمالها. وأن أحدا لم يسمع إلى زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل القتال والحرب. ومعنى الحديث أن بعضا من أمتي سينزلون عند دجلة فيتوطنون ثمة، ويصير ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين، وهو بغداد. فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء فتقاتل أهل بغداد. وقال بلفظ «جاء» دون يجيء إيذانا بوقوعه فكأنه قد وقع.

وقوله: «فرقة يأخذون في أذناب البقر» أى فرقة يعرضون عن المقاتلة هربًا منها وطلبًا للخلاص فيهيمون في البوادى ويهلكون فيها أى يعرضون عن المقاتلة، ويشتغلون بالزراعة

[٥٤٣١] سنن أبى داود ح (٤٣٠٥).

[٥٤٣٢] حسن انظر صحيح الجامع ٨١٧٠.

(١) يوسف: ٨٢.

٥٤٣٣ - * وعن أنسٍ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أنس! إنَّ الناس يمصِّرون أمصارًا، فإن مصرًا منها يقال له: البصرة؛ فإن أنتَ مررتَ بها أودخلتها. فإياك وسباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وبابَ أُمرائها، وعليكَ بضواحيها، فإنَّه يكونُ بها خَسْفٌ وقذفٌ ورجْفٌ وقومٌ يبيتون ويصبحونَ قردةً وخنازير». رواه [أبوداود]. [٥٤٣٣]

٥٤٣٤ - * وعن صالح بن درهم، يقول: انطلقنا حاجّين، فإذا رجلٌ فقال لنا:

ويتبعون البقر للحراثة. «وفرقة يأخذون لأنفسهم» أى يطلبون الأمان من بنى قنطوراء، وهلكوا بأيديهم.

ولعل المراد بهذه الفرقة «المستعصم بالله» ومن معه من المسلمين طلبوا الأمان لأنفسهم ولأهل بغداد، وهلكوا بأيديهم عن آخرهم. وفرقة ثالثة هم الغازية المجاهدة في سبيل الله قاتلوا الترك قبل ظهورهم على أهل الإسلام فاستشهد معظمهم، ونجت منهم شرذمة قليلون.

قوله: «وإذا كان في آخر الزمان» اسم «كان» مضمر يدل عليه الكلام السابق، نحو قولهم: إذا كان غدا فأتنى. قيل فيه: إذا تقدم أمر أو حال فهو المقدر. انتهى كلامه. قال: «يأخذون في أذناب البقر» على معنى يوقعون الأخذ في الأذناب كقولهم: تخرج في عراقيبها تصلى، كأنهم يبالغون في الاشتغال بالزرع ولا يعبأون بأمر آخر. ويتوغلون في السير خلفها إلى البلاد الشاسعة، فيهلكون.

الحديث العاشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «يمصِّرون أمصارًا» أى يتخذون بلادًا. والتمصير اتخاذ المصر. والسباخ جمع سبخة، وهى الأرض التى تعلوها الملوحة ولاتكاد تنبت إلا بعض الشجر. والضواحى جمع ضاحية. وهى الناحية البارزة. قوله: «بها خسف» «شف»: يريد به الخسف في الأرض. و«قذف» يريد به الريح الشديدة البارزة. أو قذف الأرض الموتى بعد الدفن، أو رمى أهلها بالحجارة بأن تمطر عليهم. والرجف الزلزلة، وقوله: «ويصبحون قردة وخنازير» المراد به المسخ، عبر عنه بما هو أشنع.

الحديث الحادى عشر عن صالح: قوله: «فإذا رجل» خبره محذوف. وقوله: «فقال» معطوف عليه أى فإذا رجل واقف. فقال. والمراد بالرجل أبوهريرة. «نه»: الأبلة ـ بضم الهمزة والباء وتشديد اللام ـ البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحرى.

[٥٤٣٣] صحيح انظر صحيح الجامع ٧٨٥٩.

إلى جنبكم قريةٌ يقال لها: الأُبُلَّة؟ قلنا: نعم. قال: من يضمنُ لي منكم أن يصليَ لي في مسجد العَشَّار ركعتين أو أربعًا، ويقول؛ هذه لأبي هريرة؟ سمعتُ خليلي أبا القاسم ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يبعث من مسجد العشَّار يوم القيامة شهداء لايقوم مع شهداءِ بدر غيرهم». رواه أبوداود وقال: هذا المسجدُ مما يلي النهر.

وسنذكر حديث أبي الدرداءِ: «إن فسطاط المسلمين» في باب: «ذكر اليمن والشام»، إن شاء الله تعالى. [٥٤٣٤]

قوله: «هذه لأبي هريرة» أى يقول: هذه الصلاة لأبي هريرة. قيل: فإن قيل: الصلاة عبادة بدنية لا تقبل النيابة، فما معنى قول أبي هريرة؟ قلنا: يحتمل أن يكون هذا مذهب أبي هريرة. قاس الصلاة على الحج وإن كان في الحج شائبة مالية. ويحتمل أن يكون معناه: ثواب هذه الصلاة لأبي هريرة؛ فإن ذلك جوزه بعضهم.

قوله: «سمعت خليلى» «تو»: قد سبق منه هذا القول في عدة أحاديث. وكأنه قول لم يصدر عن روية، بل كان الباعث عليه ماعرف من قبله من صدق المحبة. ولو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زائغا عن نهج الأدب. وقد قال ﷺ: «لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبابكر خليلا». وقال ﷺ: إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته فليس لأحد أن يدعى خلته مع براءته عن خلة كل خليل».

أقول: لو تأمل حق التأمل ما ذهب إلى ما ذهب إليه؛ لأن المحب من فرط المحبة وصدق الوداد قد يرفع الاحتشام من البين، لاسيما إذا امتد زمان المفارقة على أنه نسب الخلة إلى جانبه لا إلى الرسول ﷺ؛ لأنه رضى الله عنه مذ أسلم ما فارق حضرة الرسالة مع شدة احتياجه وفاقته. والناس مشتغلون بتجاراتهم وزروعهم. وقيل: إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه. فقال خليله: لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت، ولكنه يريدها للأضياف، فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس. فلما أخبروه أساءه الخبر، فحملته عيناه، وعمدت امرأته إلى غرارة منها. فأخرجت أحسن حوارى واختبزت وتنبه فاشتم رائحة الخبز. فقال: من أين لكم هذه؟ فقالت امرأته: من خليلك المصرى. فقال: بل من عند خليلى: الله، فسماه الله خليلا. هكذا ذكره في الكشاف. «مح»: أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء. وقيل: أصلها الانقطاع إلى من خاللت، مأخوذ

[٥٤٣٤] ضعيف انظر ضعيف الجامع ١٦٨٤

الفصل الثالث

٥٤٣٥ - * عن شقيق، عن حذيفة، قال: كنا عند عُمر فقال: أيُّكم يحفظُ حديثَ رسولِ الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظُ كما قال، قال: هاتِ، إنَّكَ لجريءٌ، وكيفَ؟ قال: قلتُ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «فتنةُ الرجل في أهلِه وماله ونفسه وولده وجاره يكفِّرها الصيامُ والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». فقال عُمر: ليس هذا أريدُ، إنما أريدُ التي تموج كموجِ البحرِ. قال: قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنينَ؟ إنْ بينَك وبينَها بابًا مُغْلَقًا. قال: فيكسرُ الباب أو يفتحُ؟ قال: قلتُ: لا؛ بل يُكْسَرُ. قال: ذاك أحرى أن لايُغْلَقَ أبدًا. قال: فقلنا لحذيفةَ:

من الخلة وهى الحاجة. فسمى إبراهيم عليه السلام بذلك؛ لأنه قصر حاجته على ربه سبحانه وتعالى. وقيل: الخلة صفاء المودة التى توجب تخلل الأسرار، وقيل: معناها المحبة والإلطاف. هذا كلام القاضي.

وقال ابن الأنبارى: الخليل معناه: المحب الكامل المحبة، والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة التى ليس فيها نقص ولا خلل. قال الواحدى: هذا القول هو الاختيار لأن الله تعالى خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله. ولا يجوز أن يقال: الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التى هى الحاجة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن شقيق: قوله: «كما قال» صفة مصدر محذوف، أى أنا أحفظ قوله ﷺ حفظا مماثلا لما قال. وقوله: «إنك لجرىء» من الجراءة الإقدام على الشيء. ومعناه أنك غير هائب وقد تجاسرت على ما لا أعرفه ولا يعرفه أصحابك. وادعيت أيضًا أنك عرفت صريح القول. ومن ثمة قال: «هات». قوله: «وكيف؟ قال» عطف على «هات» أى هات ما قال وبين كيفيته.

قوله: «ليس هذا أريد» وذلك أن عمر رضى الله عنه لما سأل: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ واحتمل أن يراد بالفتنة الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى: **﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾**(١) وأن يراد بها الوقعة والقتال. وكان سؤاله عن الثانى قال: ليس هذا أريد. وإنما أنث عمر رضى الله عنه المشار إليه بعد ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار إليه وأنها الداهية الدهماء.

قوله: «لا بل يكسر». فإن قلت: كان يكفي في الجواب أن يقول: يكسر، فلم أتى بـ«لا»

---

(١) البقرة: ١٥٥.

هل كان عمر يعلم مِنَ البابُ؟ قال: نعم كما يعلمُ أن دون غَدٍ ليلةً، إني حدثتُه حديثًا ليس بالأغاليط، قال: فَهِبنا أن نسأل حذيفةَ مَنِ البابُ؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله فقال: عمر. متفقٌ عليه.

٥٤٣٦ - * وعن أنسٍ، قال: فَتْحُ القسطنطينية مع قيام الساعة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريبٌ.[٥٤٣٦]

(٢) باب أشراط الساعة

الفصل الأول

٥٤٣٧ - * عن أنسٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ منْ أشراط السَّاعة أنْ يُرفعَ العلمُ، ويكثرَ الجهلُ، ويكثرَ الزِّنا، ويكثُرَ شُربُ الخمرِ، ويقِلَّ الرِّجالُ، وتكثُرَ النساءُ، حتى يكونَ لخمسينَ امرأةً القيّمُ الواحدُ». وفي رواية: «يقلَّ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ». متفق عليه.

٥٤٣٨ - * وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: إنَّ بينَ يدَي الساعةِ كذَّابينَ، فاحذَروهُم» رواه مسلم.

و«بل»؟ قلت: للتنبيه على أن هذا ليس من مقام التردد في الكسر لظهوره، فلا يسأل بأم المعادلة كما سبق مرارا. وإنما قال: «ذاك أحرى أن لايغلق أبداً»: لأن الفتح قد يرجى غلقه بخلاف الكسر، فإنه أبعد من الرجاء. وقوله: «من الباب؟» كان الظاهر أن «الأغاليط» أراد أن ما ذكرت له لم يكن مبهمًا محتملاً كالأغاليط بل صرحته تصريحًا. ولعل لهذا السر ما قال له عمر رضى الله عنه: «إنك لجرىء». والله أعلم.

باب أشراط الساعة

«نه»*: الأشراط: العلامات. واحدتها: شرط ـ بالتحريك ـ وبه سميت «شرط السلطان»؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها ـ هكذا قال أبو عبيدة ـ.

وحكى الخطابى عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير، وقال: أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة.

الفصل الأول

الحديث الأول والثاني: عن جابر رضى الله عنه قوله: «كذابين» «مظ»: المراد منه كثرة

[٥٤٣٦] صحيح الترمذى ١٨٢٤
* سقطت من «ط».

٥٤٣٩ - * وعن أبي هريرةَ، قال: بينما كانَ النبيُّ ﷺ يُحدِّثُ إذ جاءَ أعرابيٌّ فقال: متى السَّاعةُ؟ قال: «إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ». قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظرِ الساعةَ» رواه البخاري.

٥٤٤٠ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكثرَ المالُ ويفيضَ، حتى يُخرجَ الرجلُ زكاةَ مالِه فلا يجدُ أحدًا يقبلُها منه، وحتى تعودَ أرضُ العربِ مروجًا وأنهارًا». رواه مسلم. وفي رواية له: قال: «تبلغَ المساكنُ إهابَ أو يهاب»

الجهل، وقلة العلم، والإتيان بالموضوعات من الأحاديث، وما يفترونه على رسول الله ﷺ، ويمكن أن يراد به أدعياء النبوة، كما كان في زمانه وبعد زمانه، وأن يراد بهم جماعة يدعون إلى أهواء فاسدة ويسندون البدع واعتقادهم الباطل إليه ﷺ، كأهل البدع كلهم.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «إذا ضيعت الأمانة» «قض» أخرج الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد، ولأن السؤال الأول لما لم يكن مما يمكن أن يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه - لأن تأقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل. عدل عن الجواب إلى ما ذكر ما يدل على المسئول عنه دلالة من أمارتها، وسلك في الجواب الثاني مسلك الأول لينتسق الكلام.

قوله: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله» معناه: أن يلي الأمر من ليس له بأهل فتلقى له أحد وسادة الملك، وأراد بالأمر الخلافة وما ينضم إليها من قضاء وإمارة ونحوهما. والوسد أحد من الوسائد، يقال: وسدته الشيء ـ بالتخفيف ـ فتوسده، إذا جعله تحت رأسه.

ولفظة «إلى» فيها إشكال، إذ كان من حقه أن يقال: «وسد الأمر لغير أهله» فلعله أتى بها ليدل على إسناد الأمر إليه.

أقول: كان من حق الظاهر أن يكتفي في جواب السؤال الأول بقوله: «إذا ضيعت الأمانة» وأن يؤتي في السؤال الثاني بمتى ليطابق الجواب فزاد في الأول «فانتظر» لينبه على أن قوله: «إذا ضيعت الأمانة» ليس إبان الساعة بل من أماراتها فلا تكون «إذا» شرطية حينئذ.

وتأويل السؤال الثاني متى تضيع الأمانة؟ وكيف حصول التضييع؟ فقال: «إذا وسد الأمر» فأطنب في الأول لإفادة معني زائد، واختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه تفننًا، وإنما دل ذلك على دنو الساعة لأن تغير الولاة وفسادهم مستلزم لتغير الرعية، وقد قيل: «الناس على دين ملوكهم».

الحديث الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «مروجًا» النهاية: المرج الأرض

٥٤٤١ - * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يكونُ في آخرِ الزمانِ خليفة يقسِمُ المالَ ولايعدُّه». وفي رواية: قال: «يكونُ في آخرِ أُمتي خليفة يحثي المالَ حثْيًا، ولا يعدُّه عدًّا». رواه مسلم.

٥٤٤٢ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يوشِكُ الفراتُ أنْ يحسرَ عنْ كنزٍ منْ ذهبٍ، فمن حضرَ فلا يأخُذْ منه شيئًا» متفق عليه.

٥٤٤٣ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَحسِرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ، يقتتلُ النَّاسُ عليه، فيقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعونَ، ويقولُ كلُّ رجلٍ منهم: لعلي أكونُ أنا الذي أنجُو» رواه مسلم.

٥٤٤٤ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبِدِها أمثالَ

الواسعة ذات نبات كثير يمرح فيه الدواب، أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت.

قوله: «إهاب أويهاب». قال الشيخ محيي الدين: أما «إهاب» فبكسر الهمزة، وأما «يهاب» فبياء مثناة تحت مفتوحة ومكسورة، ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق إلا الكسر. وحكى القاضي عن بعضهم «نهاب» بالنون، والمشهور الأول. وقد ذكر في الكتاب لأنه موضع بقرب المدينة على أميال منها.

التوربشتي: يريد أن المدينة يكثر سوادها حتى يتصل مساكن أهلها بإهاب أويهاب ـ شك من الراوي في اسم الموضع، أو كان يدعى بكلا الاسمين فذكر وللتخيير بينهما.

الحديث الخامس: عن جابر رضي الله عنه: قوله: «يقسم المال ولايعده» قال الشيخ محيي الدين: الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه.

الحديث السادس والسابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «يحسر الفرات» نه: أي ينكشف، يقال حسرت العمامة عن رأسي وحسرت الثوب عن يدي أي: كشفتها.

وقوله: «أنا الذي أنجو» من باب قوله: «أنا الذي سمتني أمي حيدره» أي: أنا الذي ينجو، فنظر إلى المبتدأ فحمل الخبر عليه لا على الموصول. وفيه كناية لأن الأصل أن يقال: أنا الذي أفوز به، فعدل إلي: أنجو؛ لأنه إذا نجا من القتل [يفوز]* بالمال وملكه.

الحديث الثامن: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «تقيء الأرض»، «قض»: معناه أن الأرض يلقى من بطنها ما فيه من الكنوز، وقيل ما رسخ فيها من العروق المعدنية، ويدل عليه

---

* كذا في «ط» وفي «ك» «تفرد».

الأسطوانةِ منَ الذَّهبِ والفضَّةِ، فيجيءُ القاتلُ، فيقولُ: في هذا قَتلتُ. ويجيءُ القاطعُ فيقولُ: في هذا قطعتُ رَحمي. ويجيءُ السَّارقُ فيقول: في هذا قُطِعت يدِي، ثم يدَعونَه، فلا يأخذونَ منه شيئًا» رواه مسلم.

٥٤٤٥ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفْسي بيدِه، لا تذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبرِ فيتمرَّغ عليه، ويقولُ: ياليتني كنتُ مكانَ صاحبِ هذا القبر، وليسَ به الدِّينُ إلاَّ البلاء» رواه مسلم.

٥٤٤٦ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاتقومُ السَّاعةُ حتى تخرجَ نارٌ منْ أرضِ الحجازِ تضيءُ أعناقَ الإبلِ ببُصْرى» متفق عليه.

قوله: «أمثال الأسطوانة» وشبهها بالأكباد حبًا لأنها أحب ما هو مجني فيها، كما أن الكبد أطيب ما في بطن الجزور وأحبه إلى العرب، وبأفلاذها هيئة وشكلا كأنها قطع الكبد المقطوعة طولا، وقد حكي عن ابن الأعرابي أنه قال: الفلذة لاتكون إلا للبعير.

النهاية: سمى ما في بطن الأرض قطعًا تشبيهًا وتمثيلاً، واستعار القيء للإخراج.

أقول: قوله: «أفلاذ كبدها» **استعارة مكنية مستلزمة للتخييلية**، شبه الأرض بالحيوان ثم خيل لها ما يلازم الحيوان من الكبد، فأضاف إليها الكبد على التخييلية لتكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، ثم فرع على **الاستعارة القيء ترشيحا**، وقوله: «هذا» المشار إليه ليس عين ما قيل فيه، بل هو من جنسه: فيكون في الكلام **تشبيه** نحو قوله تعالى: ﴿**هذا الذي رزقنا من قبل**﴾[1] أي: مثل هذا.

الحديث التاسع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «الدين»، مظ: الدين هاهنا العادة، وليس في موضع الحال من الضمير في «يتمرغ» يعني: يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت في حالة وليس التمرغ من عادته وإنما يحمله عليه البلاء.

أقول: ويجوز أن يحمل الدين على حقيقته، أي ليس ذلك التمرغ والتمني لأمر أصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا، فيقيد «البلاء» المطلق بالدنيا بواسطة القرينة السابقة.

الحديث العاشر إلى الحادي عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «تضيء أعناق الإبل» قال الشيخ محيي الدين: هكذا الرواية بنصب «أعناق» وهو مفعول «تضيء» يقال: أضاءت النار وأضاءت غيرها.

---

(١) البقرة: ٢٥

٥٤٤٧ - * وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أولُ أشراطِ السَّاعةِ نارٌ تحشُرُ النَّاسَ منَ المشرقِ إلى المغربِ» رواه البخاري.

الفصل الثاني

٥٤٤٨ - * عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يتقاربَ الزَّمانُ، فتكونُ السَّنَةُ كالشهرِ، والشَّهرُ كالجمعةِ، وتكونُ الجمعةُ كاليومِ، ويكونُ اليومُ كالساعةِ، وتكونُ السَّاعةُ كالضَّرمةِ بالنَّارِ». رواه الترمذي.[٥٤٤٨]

و«بصرى» ـ بضم الباء ـ مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة. وكانت ناراً عظيمة خرجت من جانب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة، «تو»* ورأى هذه النار أهل المدينة ومن حولهم رؤية لا مرية فيها ولا خفاء، فإنها لبثت نحواً من خمسين يومًا تتقد وترمي بالأحجار المحمرة بالنار من باطن الأرض إلى ما حولها مشاكلة للوصف الذي ذكره الله تعالى في كتابه عن نار جهنم: ﴿**ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر**﴾[1] وقد سال من ينبوع تلك النار في تلك الصحاري مد عظيم شبيه بالصفر المذاب، فيجمد الشيء بعد الشيء فيوجد شبيها بخبث الحديد.

«قض»: فإن قلت كيف يصح أن يحمل هذا عليها، وقد روي في الحديث الذي يليه أنه ﷺ قال: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس» وهي لم تحدث بعد؟.

قلت: لعله لم يرد بذلك أول الأشراط مطلقا، بل الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على أنها تقوم عما قريب؛ فإن من الأشراط بعثة النبي ﷺ ولم تتقدمها تلك النار، أو: أراد بالنار نار الحرب والفتن، كفتنة الترك فإنها سارت من المشرق إلى المغرب.

الفصل الثاني

الحديث الأول: عن أنس رضي الله عنه: قوله: «السنة كالشهر» «تو»: يحمل ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته، أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام، لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم.

فإن قيل: إن العرب تستعمل قصر الأيام والليالي في المسرات وطولها في المكاره، قلنا: المعنى الذي يذهبون إليه في القصر والطول، مفارق للمعنى الذي يذهب إليه! فإن ذلك راجع

[٥٤٤٨] صحيح الجامع ٤٧٢٢

(١) المرسلات: ٣٢:٣٣.

* سقطت من «ط».

٥٤٤٩ - * وعن عبدِالله بنِ حوالةَ، قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئًا، وعرف الجُهدَ في وجوهِنا، فقامَ فينا فقال: «اللهُمَّ لاتكلْهُم إليَّ فأضعف عنهم، ولا تكلْهُم إلى أنفسِهم فيعجزوا عنها، ولا تكلْهُم إلى النَّاسِ فيستأثِروا عليهم» ثمَّ وضعَ يدَه على رأسي، ثمَّ قال: «يا ابنَ حَوالةَ! إذا رأيتَ الخلافةَ قد نزلت الأرضَ المقدَّسةَ، فقد دَنَتِ الزَّلازلُ والبلابلُ والأمورُ العظامُ، والسَّاعةُ يومئذٍ أقربُ من النَّاسِ منْ يدِي هذه إلى رأسِكَ» رواه [أبوداود]. [٥٤٤٩]

٥٤٥٠ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا اتخذَ الفيْءُ دولاً، والأمانةَ مغنَمًا، والزَّكاةَ مَغرَمًا، وتُعلِّمَ لغيرِ الدِّينِ، وأطاعَ الرجلُ امرأتَه، وعقَّ أُمَّه، وأدْنى صديقَه، وأقْصى أباهُ، وظهرتِ الأصواتُ في المساجدِ، وسادَ القبيلةَ فاسقُهم،

إلى تمني الإطالة للرخاء، أو إلى تمني القصر للشدة، والذي يذهب إليه راجع إلى زوال الاحساس بما مر عليهم من الزمان لشدة ما هم فيه وذلك أيضا صحيح.

«قض»: «كالضرمة بالنار» أي كزمان إيقاد الضرمة، وهي ما توقد به النار أولا كالقصب والكبريت.

الحديث الثاني: عن عبدالله بن حوالة رضي الله عنه: قوله: «على أقدامنا» حال من الضمير المفعول، أي بعثنا إلى جهة لنغزو ونغنم ماشين على أقدامنا.

وقوله: «فأضعف» جواب للنهي، أي: لاتفوض أمورهم إلى «فأضعف» عن كفاية مؤنتهم، وسد خلتهم، ولا تفوضهم إلى أنفسهم فيعجزوا عن أنفسهم لكثرة شهواتها وشرورها، ولا تفوضهم إلى الناس فيختاروا أنفسهم على هؤلاء فيضيعوا، بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد.

قوله: «البلابل» هي الهموم والأحزان، وبلبلة الصدر وسواسه.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «دولاً» «تو»* الدول جمع دولة، وهي اسم لكل ما يتداول من المال، يعني أن الأغنياء وأهل [الثروة]** يستأثرون بحقوق الفقراء، أو يكون المراد منه أموال الفيء تؤخذ عليه غلبة وأثرة صنيع أهل الجاهلية وذوي العدوان.

«والأمانة مغنمًا» أي يذهبون بها فيغنموها، يقال: فلا يغنم الأمر، أي: يحرص عليه كما يحرص على الغنائم والزكاة.

[٥٤٤٩] صحيح الجامع ٧٨٣٨

* سقطت من «ط». ** كذا فى «ط» وفى «ك» «الشرق».

وكانَ زعيمُ القومِ أرذَلَهم، وأُكرِمَ الرَّجلُ مخافةَ شرِّه، وظهرتِ القَيْناتُ والمعازِفُ، وشُرِبتِ الخمورُ، ولعنَ آخرُ هذه الأمَّة أوَّلَها؛ فارتقبوا عندَ ذلكَ ريحًا حمراءَ وزلزلةً وخسْفًا ومسْخًا، وقذْفًا، وآياتٍ تتابَعُ كنِظامٍ قُطعَ سِلكُه فتتابعَ» رواه الترمذي. [٥٤٥٠]

٥٤٥١ - * وعن عَليٍّ [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا فعلتْ أُمَّتي خمسَ عشرةَ خصْلَةً حلَّ بها البَلاءُ» وعدَّ هذه الخصالَ ولم يذكر «تُعلمَ لغيرِ الدِّينِ» قال: «وبَرَّ صديقَه، وجَفا أباهُ» وقال: «وشُربَ الخمرُ، ولُبسَ الحريرُ» رواه الترمذي. [٥٤٥١]

«والزكاة مغرمًا» أي: يشق عليهم أداؤها حتى يعدوها غرامة.

«وتعلم لغير الدين»: بالألف واللام كذا في «جامع الترمذي» و«جامع الأصول» وفي نسخ «المصابيح» بغير الألف واللام، والأولى أولى رواية ودراية، أي يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال، لا للدين ونشر الأحكام بين المسلمين لإظهار دين الله.

وقوله: «وأدنى صديقه وأقصى إباه» كلاهما قرينة لقوله: «وأطاع الرجل امرأته وعق أمه» لكن المذموم في الأولى الجمع بينهما، لأن إدناء الصديق محمود، بخلاف الثانية فإن الإفراد والجمع بينهما مذمومان.

«وأطاع الرجل امرأته» أي: فيما تهواه وتأمره.

«وعق أمه» أي: فيما تأمره، فرجح جانب الزوجة لأنها محل الشهوة، على جانب الأم، فإنها مرضاة للرب، وخص الأم بالذكر لزيادة حقها، وتأكد مشقتها في تربيته، فعقوقها أقبح من عقوق الأب.

«وأدنى صديقه» أي قربه إلى نفسه للمؤانسة والمجالسة.

«وأقصى أباه» أبعده ولم يصحبه ولم يستأنس به.

وقوله: «ولعن آخر هذه الأمة أولها»: أي: طعن الخلف في السلف وذكروهم بالسوء، ولم يقتدوا بهم في الأعمال الصالحة، فكأنه لعنهم.

الحديث الرابع: عن على رضي الله عنه: قوله: «ولم يذكر: تعلم لغير الدين» هذا كلام

[٥٤٥٠] ضعيف الجامع ٢٨٦ - الضعيفة ١٧٢٧

[٥٤٥١] ضعيف لجامع ٧٠٧

٥٤٥٢ - * وعن عبدالله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاتذهبُ الدنيا حتى يملِكَ العربَ رجلٌ منْ أهلِ بيتي، يُواطِىءُ اسمُه اسمي» رواه الترمذي، وأبوداود. وفي رواية له: قال: «لوْ لم يبقَ منْ الدُّنيا إلاَّ يومٌ لطوَّل اللهُ ذلك اليومَ حتى يبعثَ الله فيهِ رجلاً مني - أو من أهل بَيتي - يواطىء اسمه اسمي واسمُ أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجورًا» [٥٤٥٢]

٥٤٥٣ - * وعن أمِّ سلمة، قالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من أولادِ فاطمة» رواه أبوداود.[٥٤٥٣]

٥٤٥٤ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «المهديُّ مني، أجْلى الجبهة، أقْنى الأنف، يملأ الأرضَ قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجورًا، يملكُ سبعَ سنين» رواه أبوداود. [٥٤٥٤]

٥٤٥٥ - * وعنه، عن النبي ﷺ في قصَّة المهديّ قال: «فيجىء إليهِ الرجلُ فيقول: يا مهدي! أعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله». رواه الترمذيُّ. [٥٤٥٥]

صاحب المصابيح، وذلك أن الترمذي ذكر الحديثين على الولاء، وعد في كل واحد منهما الأعداد الخمسة عشر.

الحديث الخامس عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قوله: «يملك العرب» لم يذكر العجم وهم مرادون أيضًا لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم، وكانوا يدًا واحدة قهروا سائر الأمم، ويؤيده حديث أم سلمة بعد هذا.

الحديث السادس والسابع: عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «أجلى الجبهة» «النهاية»: الأجلى الخفيف الشعر ما بين [النزعتين]* من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته. والقنا: في الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه. يقال: رجل أقنى وامرأة قنواء.

[٥٤٥٢] صحيح الجامع ٧٢٧٥ - ولم يذكر (من المغرب) والحديث الثانى (لو لم) صحيح الجامع ٥٣٠٤
[٥٤٥٣] صحيح الجامع ٦٧٣٤
[٥٤٥٤] صحيح الجامع ٦٧٣٦
[٥٤٥٥] صحيح الترمذى ١٨٢٠ - ابن ماجه ٤٠٨٣.
* كذا فى «ط» وفى «ك» «النزعين».

٥٤٥٦ - * وعن أمِّ سلمةَ، عن النبي ﷺ، قال: «يكونُ اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رجلٌ من أهلِ المدينة هاربًا إِلى مكةَ، فيأتيه الناسُ من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعثُ إِليه بعثٌ من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناسُ ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق، فيبايعونه، ثم ينشأ رجلٌ من قريش، أخواله كلبٌ، فيبعث إِليهم بعثًا، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، ويعمل في الناس بسنَّة نبيِّهم، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون» رواه أبوداود. [٥٤٥٦]

الحديث الثامن والتاسع: عن أم سلمة رضي الله عنها: قوله: «فيخرج رجل من أهل المدينة» وهو «المهدي» بدليل إيراد هذا الحديث أبو داود في باب «المهدي».

قوله: «فيخسف بهم بالبيداء» «تو»* البيداء: أرض ملساء بين الحرمين، وفي الحديث: «يخسف بالبيداء بين المسجدين» وليست بالبيداء التي أمام ذي الحليفة وهي شرف من الأرض.

«نه»: أبدال الشام هم الأولياء والعباد، والواحد «بدل» كجمل، أو «بدل» كحمل، سموا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بدل بآخر.

قال الجوهري: الأبدال قوم من الصالحين لاتخلوا الدنيا منهم، إذا مات واحد بدل الله مكانه بآخر، قال ابن دريد: الواحد بديل.

«نه»* «العصائب»: جمع عصابة وهم جماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين؛ ولا واحد لها من لفظها، ومنه حديث على رضي الله عنه: «الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق» أراد أن التجمع للعروب يكون بالعراق، وقيل: أراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب؛ لأنه قرنهم بالأبدال والنجباء، ذكر أبونعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله عزوجل من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم. قالوا: يارسول الله دلنا على أعمالهم. قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله عزوجل».

وبإسناده أيضًا عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عزوجل في الخلق سبعة»

[٥٤٥٦] ضعيف الجامع ٦٤٥٦ - الضعيفة ١٩٦٥.

* سقطت من «ط».

٥٤٥٧ - * وعن أبي سعيد، قال: ذكرَ رسول الله ﷺ: «بلاءً يصيبُ هذه الأمةَ، حتى لايجدَ الرجلُ ملجأ يلجأ إليه منَ الظلم، فيبعثُ اللهُ رجلاً من عترتي وأهلِ بيتي، فيملأ به الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجوراً، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض، لاتدع السماءُ من قطرها شيئًا إلا صبَّته مدرارًا، ولا تدع الأرضُ من نباتها شيئًا إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياءُ الأمواتَ، يعيشُ في ذلك سبع سنين أو ثمانَ سنين أو تسع سنين» رواه ؟؟؟. [٥٤٥٧]

وساق الحديث إلى قوله ﷺ: «فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء» قيل لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه: كيف بهم يحيي ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله عزوجل إكثار الأمم فيكثرون، ويدعون على الجبابرة فيقصمون، ويستسقون فيسقون، ويسألون فتنبت لهم الأرض، ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء. والله أعلم بالصواب.

قوله: «رجل من قريش أخواله كلب» تو: يريد أن أم القرشي تكون كلبية، فينازع المهدي في أمره ويستعين عليه بأخواله من بني كلب.

«فيبعث إليهم» أي إلى المبايعين «بعثًا» فيظهر المبايعون على البعث الذي بعثه القرشي.

«بجرانه» نه: الجران باطن العنق ومنه الحديث: أن ناقته ﷺ وضعت جرانها، وحديث عائشة رضي الله عنها: «حتى ضرب الحق بجرانه» أي قر قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض.

[المظهر]*: «ضرب بجرانه» مثل للإسلام إذا استقر قراره فلم تكن فتنة ولاهيج وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل.

الحديث العاشر: عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «مدرارًا» «فا»: المدرار الكثير الدر، والمفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، كقولهم: امرأة معطار ومطفال، وهو منصوب على الحال من السماء.

قوله: «حتى يتمنى الأحياء الأموات» التوربشتي: «الأحياء» رفع بالفاعلية، وفي الكلام حذف، أي: يتمنون حياة الأموات أو كونهم أحياء، وإنما يتمنون ذلك ليروا ما هم فيه من الخير والأمن ويشاركوهم فيه، ومن زعم أن الصواب فيه «الأحياءَ» بالنصب من باب الإفعال، وفاعل «يتمنى» الأموات فقد أحال.

[٥٤٥٧] قال الشيخ كذا، بياض في الأصول كلها، وقد أخرجه الحاكم (٤/ ٤٦٥) وقال: «صحيح الإسناد» ورده الذهبي بقوله: «قلت: سنده مظلم». قلت: وفيه الحخماتي وهو ضعيف عن عمر (وفي التلخيص: عمرو» بن عبيدالله العدوي، ولم أعرفه. وهو في «المسند» (٣/ ٣٧) مختصراً من طريق أخرى، وفيها العلاء بن بشير وهو مجهول.

* كذا في «ط» وفي «ك» «خط» وهو رمز «للخطابي».

٥٤٥٨ - * وعن علي [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ رجلٌ من وراء النهرِ يقال له: الحارث، حرَّاث، على مقدمته رجل يقال له: منصور، يُوَطِّن أو يمكن لآل محمّد كما مكّنَتْ قريشُ لرسول الله، وجب على كل مؤمن نصره - أو قال: إجابته -» رواه أبوداود. [٥٤٥٨]

٥٤٥٩ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لاتقومُ الساعةُ حتى تُكلِّمَ السباعُ الإنس، وحتى تكلم الرجلَ عذبة سوطه، وشِراك نعله، ويُخبرُه فخذُه بما أحدَثَ أهلُه بعده» رواه الترمذي. [٥٤٥٩]

الفصل الثالث

٥٤٦٠ - * وعن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات بعد المائتين». رواه ابن ماجه. [٥٤٦٠]

الحديث الحادي عشر: عن علي رضي الله عنه: قوله: «الحارث» اسم لذلك الرجل. و: «حراث» صفته.

وقوله: «يمكن لآل محمد» أي في الأرض، كقوله تعالى: ﴿مكناهم في الأرض﴾(١) أي جعل له في الأرض مكانًا، وأما مكنه الأرض أثبته فيها. ومعناه جعلهم في الأرض ذوي بسطة في الأموال ونصرة على الأعداء.

وأراد بقوله: «كما مكنت لرسول الله ﷺ قريش» آخر أمرها، فإن قريشًا وإن أخرجوا رسول الله ﷺ أولاً من مكة لكن بقاياهم وأولادهم أسلموا ومكنوا محمدًا ﷺ وأصحابه في حياته وبعده إلى اليوم.

الحديث الثاني عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «عذبة سوطه» هو القذ الذي في طرفه، وعذبة كل شيء طرفه.

الفصل الثالث

الحديث الأول: عن أبي قتادة رضي الله عنه: قوله: «الآيات بعد المائتين» مبتدأ وخبر، أي

[٥٤٥٨] ضعيف الجامع ٦٤٣٥

[٥٤٥٩] صحيح الجامع ٧٠٨٣

[٥٤٦٠] ضعيف ابن ماجه ٨٧٩

(١) الأعراف: ١٠.

٥٤٦١ - * وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الراياتِ السُودَ قدْ جاءت من قِبَلِ خُراسان فأتوها فإنّ فيها خليفة الله المهدي» رواه أحمد، والبيهقي في «دلائل النبوّة». [٥٤٦١]

٥٤٦٢ - * وعن أبي إسحاق، قال: قال عليٌ ونظر إلى ابنه الحسن قال: إنَّ ابني هذا سيّدٌ كما سماه رسول الله ﷺ، وسيخرج من صُلْبه رجلٌ يسمى باسم نبيّكم، يُشبهه في الخُلق، ولا يشبهه في الخَلق، ـ ثم ذكر قصةً ـ يملأ الأرض عدلاً. رواه أبوداود ولم يذكر القصة. [٥٤٦٢]

٥٤٦٣ - * وعن جابر بن عبدالله، قال: فقد الجراد في سنة من سني عمر التي توفي فيها، فاهتم بذلك همًّا شديدًا، فبعث إلى اليمن راكبًا، وراكبًا إلى العراق، وراكبًا إلى الشام، يسأل عن الجراد، هل أري منه شيئًا، فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة فنثرها بين يديه، فلما رآها عمر كبَّر، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزَّوجل خَلَقَ ألف أمةٍ، ستُّمائةٍ منها في البحر، وأربعُمائةٍ في البر، فإن أوَّل هلاك هذه الأمة الجراد، فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم كنظام السلك» رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٥٤٦٣]

تتابع الآيات وظهور أشراط الساعة على التتابع والتتالي بعد المائتين، ويؤيده قوله في الحديث السابق: «وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع» والظاهر اعتبار المائتين بعد الإخبار.

الحديث الثاني والثالث: عن أبي إسحاق رضي الله عنه: قوله: «ولم يذكر القصة» التعريف فيه للعهد، هذا كلام صاحب جامع الأصول وليس في سنن أبي داود.

الحديث الرابع: عن جابر رضي الله عنه: قوله: «هلاك هذه الأمة» إشارة إلى قوله: «ألف أمة» والمراد بها كل جنس من أجناس الدواب، كما في قوله تعالي: **﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾**(١).

[٥٤٦١] ضعيف الجامع ٦٠٥ ،و الضعيفة ١٨٣

[٥٤٦٢] انظر صحيح أبي داود بنحوه ح (٣٦٠١ و ٣٦٠٢ و ٣٦٠٤).

[٥٤٦٣] شعب الإيمان ٧/ ٢٣٤ برقم ١٠١٣٢ وما بعده (١٠١٣٦) فيه محمد بن عيسى البصرى وهو منكر

(١) الأنعام: ٣٨.

(٣) باب العلامات بين يدي الساعة

ذكر الدجال

الفصل الأول

٥٤٦٤ - * عن حذيفةَ بن أُسيد الغفاري، قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: «ماتذكرون؟». قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقومَ حتى تَرَوا قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر الدّخان، والدجَّال، والدَّابة، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بِجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» وفي رواية: «نارٌ تخرجُ من قعر عدن تسوقُ الناس إلى المحشرِ» وفي روايةٍ في العاشرة «وريحٌ تُلقي الناسَ في البحرِ» رواه مسلم.

٥٤٦٥ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «بأدروا بالأعمال ستًا: الدخانَ، والدجالَ، ودابةَ الأرض، وطلوعَ الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخُوَيِّصة أحدِكم» رواه مسلم.

باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

أصل الدجل: الخلط، يقال: دجل إذا لبس وموه. و«الدجال» فعال من أبنية المبالغة أي: يكثر منه الكذب والتلبيس، وهو الذي يظهر في آخر الزمان ويدعي الإلهية.

الفصل الأول

الحديث الأول عن حذيفة رضي الله عنه: قوله: «فذكر الدخان» هو الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾(١) وذلك كان في عهد رسول الله ﷺ. والمراد من «الدابة» هو المذكور في قوله تعالى: ﴿**أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم**﴾(٢). قيل: المراد من «المحشر» أرض الشام: إذ صح في الخبر: «إن الحشر يكون في أرض الشام».

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «بادروا بالأعمال ستًا». [«فا»]*: معنى مبادرة الست بالأعمال: الانكماش في الأعمال الصالحة، والاهتمام قبل وقوعها. وتأنيث

---

(١) الدخان: ١٠.
(٢) النمل: ٨٢.

* كذا في «ط» وفي «ك» «نه».
** كذا في «ط» وفي «ك» «فا».

٥٤٦٦ - * وعن عبدِالله بنِ عمرو، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول الآيات خروجًا طلوع الشمسِ من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا» رواه مسلم.

٤٥٦٧ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن ﴿لاينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرًا﴾[1]: طلوعُ الشمسِ من مغربها، والدجالُ، ودابةُ الأرضِ» رواه مسلم.

«الست»؛ لأنها دواه ومصائب «قض» : أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات؛ فإنها إذا نزلت دهشتهم وشغلتهم عن الأعمال أو سد عليهم باب التوبة وقبول العمل.

و«أمر العامة» يريد به الفتنة التي تعم الناس، أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم. و«خويصة» تصغير خاصة، أي: الوقعة التي تخص أحدكم، يريد بها الموت، أو ما تعلق الإنسان في نفسه وأهله وماله فتشغله عن غيره. والله أعلم.

الحديث الثالث عن عبدالله بن عمرو: قوله: «إن أول الآيات» فإن قيل: طلوع الشمس ليس بأول الآيات: لأن الدخان والدجال قبله؟.

أجيب بأن الآيات إما أمارات دالة على قرب قيام الساعة، وإما أمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها. ومن الأول الدخان وخروج الدجال ونحوهما. ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها، [والرجفة]*،وبس الجبال، وخروج النار وطردها الناس إلى المحشر. وإنما سمي أولا؛ لأنه مبدأ القسم الثاني؛ ويؤيده حديث أبي هريرة بعده: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها»[2] حيث جعل طلوع الشمس من مغربها غاية لعدم قيام الساعة، وينصره أيضا ما رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور عن الإمام الحاكم أبي عبدالله الحليمي: «إن أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها» وذلك أن الكفار يسلمون في زمان عيسى حتى تكون الدعوة واحدة، ولو كان طلوع الشمس من مغربها قبل خروج الدجال ونزول عيسى، لم ينفع الكفار إيمانهم أيام عيسى، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحدا.

---

(١) الأنعام:١٥٨

(٢) الحديث الذي يشير إليه العلامة الطيبي لم يخرجه صاحب المشكاة، وإنما أخرجه صاحب المصابيح رقمه: ٤٢٢٢ج٣ طبع بيروت سنة ١٤٠٧هـ

* زيادة من «ط» ليست في «ك».

٥٤٦٨ - * وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: «أين تذهب؟». قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: «فإنها تذهبُ حتى تسجدَ تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، ولا يقبل منها، وتستأذن فلايؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيثُ جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: **﴿والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها﴾**(١) قال: «مستقرها تحت العرش» متفق عليه.

٥٤٦٩ - * وعن عمران بن حصين، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما بينَ خلْقِ آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبرَ من الدجال» رواه مسلم.

٥٤٧٠ - * وعن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لايخفى عليكم، إن اللهَ تعالى ليسَ بأعْوَر وإنَّ المسيحَ الدجال أعورُ عين اليمنى، كأنَّ عينَه عِنَبة طافيةٌ» متفق عليه.

الحديث الرابع إلى السادس عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: «لمستقر لها» «خط»: قال بعض أهل التفسير: معناه: أن الشمس تجري لأجل قدر لها معين إلى انقطاع مدة بقاء العالم. وقال بعضهم: مستقرها من غاية ما تنتهي إليه في صعودها وارتفاعها لأطول يوم من الصيف، ثم تأخذ في النزول إلى أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة. وأما قوله: «مستقرها تحت العرش» فلا ينكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لاندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به.

الحاديث السابع والثامن عن عبدالله؛ قوله: «إن الله لايخفى عليكم» جملة موطئة لقوله: «إن الله ليس بأعور» للتنزيه كما في وسط قوله: «سبحانه» في قوله: **﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾**(٢).

قوله: «عين اليمنى» أي عين الجنبة اليمنى أو الجهة اليمنى. قوله: «عنبة طافية» الطافية هي الناتئة عن حد أخواتها من الطفو، وهو أن يعلو الماء ما وقع فيه. «تو»: وفي الأحاديث التي وردت في وصف الدجال، وما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها، ونحن نسأل الله التوفيق في التوفيق بينها، وسنبين كلا منها على حدته في الحديث الذي ذكره فيه أو تعلق به، ففي هذا الحديث أنها طافية، وفي آخر أنه جاحظ العين كأنها كوكب، وفي آخر أنها ليست بناتئة ولا حجراء.

---

(١) يس: ٣٨ (٢) النحل: ٥٧

٥٤٧١ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما منْ نبيٍّ إلا أنذرَ أمتَه الأعورَ الكذَّاب، ألا إِنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ، مكتوبٌ بينَ عينيه: ك ف ر» متفق عليه.

٥٤٧٢ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُحدِّثُكم حديثًا عن الدجال ما حدَّثَ به نبيٌّ قومَه؟: إنَّه أعورَ؛ وإنَّه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول: إِنها الجنة، هي النار، وإني أنذركم كما أنذر بِهِ نوحٌ قومه» متفق عليه.

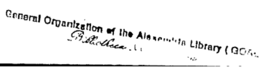
والسبيل في التوفيق بينها أن نقول: إنما اختلف الوصفان بحسب اختلاف العينين؛ ويؤيد ذلك ما في حديث ابن عمر هذا: «إنه أعور عين اليمنى» وفي حديث حذيفة: «إنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة» وفي حديثه أيضًا. «إنه أعور عين اليسرى». ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة أن يقدر فيها أن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة، فيصح أن يقال: لكل واحدة عوراء: إذ الأصل في العور العيب. وذكر نحوه الشيخ محيي الدين.

الحديث التاسع عن أنس رضي الله عنه: قوله: «مكتوب بين عينيه ك ف ر» لعل المراد بالتنصيص أن لا يتوهم فيها السيماء من حيث المعنى. «مح»: هو بيان علامة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل أحد، ولم يقتصر على كونه جسما أو غير ذلك من الدلائل القطعية؛ ليكون بعض العقول قد لا يهتدي إليها.

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «عن الدجال» «مح»: هذه الأحاديث حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، وظهور زهرة الدنيا والخصب معه، واتباع كنوز الأرض له، وأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالي ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويقتله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا.

وفتنته عظيمة جدا، تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص، فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة؛ ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله عليهم من فتنته، ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. أما أهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون بما فيه: لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله.

قوله: «كما أنذر به نوح قومه» فإن قيل: لم خص نوحًا عليه السلام بالذكر؟. قلت: لأن نوحا عليه السلام مقدم المشاهير من الأنبياء، كما خصه بالتقديم في قوله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**﴾(١).



(١) الشورى: ١٣.

٥٤٧٣ - * وعن حذيفةَ، عن النبي ﷺ قال: «إن الدجالَ يخرجُ وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذبٌ، فمن أدركَ ذلكَ منكم فليقعْ في الذي يراه نارًا؛ فإنه ماءٌ عذبٌ طيِّب» متفق عليه. وزاد مسلم: «وإن الدجال مَمسوحُ العينِ، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتبٌ وغيرُ كاتب».

٥٤٧٤ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجالُ أعورُ العينِ اليُسْرى، جُفالُ الشعرِ، معه جنَّتُه ونارُه، فنارُه جنَّة، وجنتُه نارٌ» رواه مسلم.

٥٤٧٥ - * وعن النوَّاس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: «إن يخرجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم، وإن يخرجْ ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه، واللهُ خليفتي على كل مسلم، إنَّهُ شابٌ قَطَط، عينه طافية، كأني أُشبِّهُه بعَبْد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فلْيقرأ عليه فواتح سورة الكهف» وفي رواية «فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف، فإنها جواركُم من فتنته، إنه خارج خَلَّةً بين الشامِ والعراقِ، فعاث يمينًا، وعاث شمالاً، ياعبادَ الله فاثبتوا» قلنا: يارسول الله! ومالَبْثُه

الحديث الحادي عشر عن حذيفة رضي الله عنه: قوله: «ممسوح العين» «قض»: أي ممسوح إحدى عينيه للحديث السابق ونظائره. و«الظفرة» بالتحريك لحمة تنبت عند الماقين من كثرة البكاء أو الماء. وقيل: جلدة تخرج من العين من الجانب الذي يلي الأنف، وهي يحتمل أن تكون في العين الممسوحة. وأن تكون في العين الأخرى، ولا تواري الحدقة بأسرها لتعميها.

الحديث الثاني عشر عن حذيفة رضي الله عنه: قوله: «جفال الشعر» «فا»: هو الكثير الشعر مجتمعه، ومنه الجفالة الجماعة من الناس.

الحديث الثالث عشر عن النواس: قوله: «حجيجه» «نه»: أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة الدليل والبرهان يقال: حاججته حجاجا ومحاجة فأنا حجيج فعيل بمعنى فاعل. قوله: «دونكم» فيه إرشاد إلى أنه ﷺ كان في المحاجة معه غير محتاج إلى معاونة معاون من أمته في غلبته عليه بالحجة.

«تو»: فإن قيل: أو ليس قد ثبت في أحاديث الدجال أنه يخرج بعد خروج المهدي، وأن عيسى عليه السلام يقتله إلى غير ذلك من الوقائع الدالة على أنه لايخرج ونبي الله ﷺ بين أظهرهم، بل لا تراه القرون الأولى من هذه الأمة. فما وجه قوله: «إن يخرج وأنا فيكم»؟.

في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يارسول الله! فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال:

قلنا: إنما سلك هذا المسلك من التورية؛ لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنته واللجأ إلى الله تعالى من شره، لينالوا بذلك الفضل من الله ويتحققوا بالشح على دينهم.

«مظ»: يحتمل أن يريد به تحقيق خروجه، يعني لاتشكوا في خروجه؛ فإنه سيخرج لامحالة. وأن يريد به عدم علمه بوقت خروجه، كما أنه كان لايدري متى الساعة.

أقول: الوجه الثاني من الوجهين هو الصواب: لأنه يمكن ان يكون قوله هذا قبل علمه ﷺ بذلك.

وقوله: «فامرؤ حجيج نفسه» أي وكل امرىء يحاجه ويحاوره، والدليل على عمومه قوله: «والله خليفتي على كل مسلم». قوله: «قطط» «مح»: هو بفتح القاف والطاء، أي شديد جعودة الشعر.

قوله: «كأني أشبهه بعبد العزى» لم يقل: كأنه عبدالعزى؛ لأنه ﷺ لم يكن جازما في تشبيهه به. قيل: إنه كان يهوديا ولعل الظاهر أنه مشرك؛ لأن العزى اسم صنم، يؤيده ما جاء في بعض الحواشي: هو رجل من خزاعة، هلك في الجاهلية.

قوله: «فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف» فإن الله تعالى يؤمنه من فتنة الدجال كما أمن أولئك الفتية من فتنة الدقيانوس الجبار. قوله: «خلة بين الشام والعراق» «نه»: أي من طريق بينهما. وقيل للطريق والسبيل خلة: لأنه خل ما بين البلدين، أي أخذ محيط ما بينهما.

«مح»: هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح الخاء المعجمة وتنوين التاء. وقال القاضي: المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني غير منونة. معناه سمت ذلك وقبالته، وفي كتاب العين: الحلة موضع حزن وصخور. قال: ورواه بعضهم «حله» بضم اللام وبهاء الضمير أي نزوله وحلوله. قال وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضا ببلادنا.

وقوله: «فعاث» هو بعين مهملة وثاء مثلثة من العيث وهو أشد الفساد والإسراع فيه. وحكى القاضي: أنه رواه بعضهم: «فعاث» على صيغة اسم الفاعل.

«شف»: قيل: الصواب فيه «فعاث» بصيغة اسم الفاعل؛ لكونه عطفًا على اسم فاعل قبله وهو قوله: «خارج». «تو»: وإنما قال: «يمينا» و«شمالا»؛ إشارة إلى أنه لايكتفي بالإفساد في ما يطؤه من البلاد ويتوجه له من الأغوار والأنجاد. بل يبعث سراياه يمينًا وشمالا فلا يأمن شره مؤمن ولا يخلو من فتنته موطن.

قوله: «يا عباد الله» من الخطاب العام أراد به من يدرك الدجال من أمته. قيل: هذا القول

«لا، اقْدُرُوا له قَدَرَه». قلنا: يارسولَ اللهِ! وما إِسراعُه في الأرضِ؟ قال: «كالغيثِ استدْبرَتْه الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم فيؤمنون به، فيأمر السماءَ فتمطر، والأرض فتنبت، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرىً، وأسبغه ضروعًا، وأمدهّ خواصِرَ، ثم يأتي القوم فيدعُوهم، فيردّون عليه قوله: فينصرف عنهم،

منه استمالة لقلوب أمته، وتثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال، وتوطينهم على ما هم فيه من الإيمان بالله تعالى والاعتقاد به، والتصديق بما جاء به الرسول ﷺ.

«تو»: ويشكل من هذا الفصل قوله ﷺ: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة» مع قوله: «وسائر أيامه كأيامكم» ولا سبيل إلى تأويل امتداد تلك الأيام على أنها وصفت بالطول والامتداد؛ لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأساء والضراء؛ لأنهم قالوا: «يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا». . . الحديث.

فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة: وقد تبين لنا بإخبار الصادق المصدوق ﷺ: أن الدجال يبعث معه من الشبهات، ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم، ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم، فمن ذلك تسخير الشياطين له، ومجيئه بجنة ونار وإحياء الميت على حسب ما يدعيه، وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب، وتارة بالأزمة والجدب. ثم لا خفاء بأنه أسحر الناس، فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا بأن نقول إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم، حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة، إسفار بلا ظلام وصباح بلا مساء، ويحسبون أن الليل لايمد عليهم رواقه، وأن الشمس لاتطوي عليهم ضياءها، فيقعون في حيرة والتباس من امتداد الزمان، وتدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختفاء* الليل والنهار، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة، هذا الذي اهتدينا إليه من التأويل، والله الموفق لإصابة الحق.

«مح»: قالوا: هذا على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث، يدل عليه قوله: «وسائر أيامه كأيامكم». وأما قوله ﷺ: «اقدروا له قدره» فقال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا، اقتصرنا على الصلوات عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعناه: إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر في كل يوم، فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر، فصلوا العصر، فإذا مضى بعدها قدر ما يكون

---

* هكذا في «ك» وفي «ط» [اختلاف].

فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئا شبابًا، فيضربه بالسيف

بينها وبين المغرب، فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهر، والثالث الذي كجمعة، فيقاس على اليوم الأول في أنه يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرنا. والله أعلم.

قوله: «أربعون يوما» وفي رواية المالكي: «أربعين يوما» وقال: أضمر: «يلبث» ونصب به أربعين اكتفاء بالمعنى، ولو قصد تكميل المطابقة لقيل: أربعون يوما، بالرفع؛ لأن الاسم المستفهم به في موضع رفع.

أقول: الفرق بين الجوابين: أن الرفع يدل على أن الجواب لم يكن عن تفكر وروية، فلما سألوا أطبق الجواب عليه، وأن النصب كان عن توقف وتفكر؛ حيث أنه كرر الفعل، ونحوه قوله تعالى: ﴿**قالوا أساطير الأولين**﴾(1) أي قال المشركون. و﴿**قالوا خيرا**﴾(2) أي المسلمون في جواب قوله: ﴿**ماذا أنزل ربكم**﴾(2).

قوله: «وما إسراعه» لعلهم علموا أن له إسراعا في الأرض، فسألوا عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه في الأرض فسألوا عن كميته بقولهم: «مالبثه؟» أي ما مدة لبثه؟. والمراد بالغيث هنا الغيم إطلاقا للمسبب على السبب. أي يسرع في الأرض إسراع الغيم إذا استدبرته الريح.

قوله: «فتروح عليهم سارحتهم» أي ترجع آخر النهار. «نه»: السارحة والسارح والسرح سواء الماشية، يقال: سرحت الماشية تسرح فهي سارحة، وسرحتها يتعدى ولايتعدى. و«ذري» جمع ذروة وهي أعلى سنام البعير، وذروة كل شيء أعلاه. و«الخواصر جمع خاصرة، ومدها **كناية** عن الامتلاء وكثرة الأكل.

قوله: «ممحلين» «تو»: أمحل القوم أصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ. «مح»: «اليعاسيب» ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي: المراد جماعة النحل لاذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار اتبعته جماعته.

«شف»: معناه يتبع الدجال كنوز الأرض كما تتبع اليعسوب النحل، فقوله: «كاليعاسيب» حال من الدجال، ويمكن أن يكون حالا من «الكنوز» أي كائنة كاليعاسيب، وهو **كناية** عن سرعة اتباعه، أي تتبعه الكنوز بالسرعة.

---

(1) النحل: ٢٤ (2) النحل: ٣٠.

فيقطعه جزلَتين رميةَ الغَرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذْ بعثَ اللهُ المسيحَ بنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقيّ دمشق بين مهروذتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطَأ رأسَه قطَر، وإذا رفعه تحدَّر منه مثل جُمان كاللؤلؤ، فلايحل لكافرٍ يجدُ مِنْ ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيثُ

أقول: إذا كان قوله: «كاليعاسيب» حالا من الدجال فـ«الخربة» صفة البقاع، وإذا كان حالا من الكنوز فيجوز أن يكون الموصوف جمعا أو مفردا، و«الممتلىء شبابا» هو الذي يكون في غاية الشباب ونضرة مائه.

«مح»: «جزلتين» هو بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها، أي قطعتين. ويعني برمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض، هذا هو الظاهر المشهور. وحكى القاضي هذا ثم قال: وعندي أن فيه تقديما وتأخيرا، وتقديره: فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول. «تو»: أراد برمية الغرض إما سرعة نفوذ السيف فيه، وإما إصابة المحز.

أقول: يؤيد تأويل محيي الدين قوله في الحديث الذي يليه: «ثم يمشي الدجال بين القطعتين.

قوله: «يتهلل وجهه» أي يتلألأ ويضيىء ويجيب ضاحكًا بالدجال ويقول: كيف يصلح هذا إلهًا!. قوله: «بين مهروذتين» «مح»: روي بالدال المهملة، والذال المعجمة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة، معناه: لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم الزعفران. و«الجمان» بضم الجيم وتخفيف الميم حب يتخذ من الفضة على هيئة اللآلىء الكبار.

أقول: شبهه بالجمان في الكبر، ثم شبه الجمان باللؤلؤ في الصفاء والحسن، فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن.

قوله: «فلا يحل» «مح»: بكسر الحاء، أي لايمكن ولايقع. قال القاضي: معناه عندي حق واجب. قال: ورواه بعضهم بضم الحاء، وهو وهم وغلط. و«نفسه» بفتح الفاء.

أقول: معناه لايحصل أو لا يحق، أن يجد من ريح نفسه وله حال من الأحوال إلا حال الموت. فقوله: «يجد» مع ما في سياقه فاعل يحل على تقدير أن.

قوله: «بباب لد» «مح»: هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف، وهو بلدة قريبة من بيت المقدس. وهذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره، فيمسح وجوههم تبركا، أو أنه إشارة إلى كشف مايكونون فيه من الشدة والخوف.

ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدٍّ فيقتُلُه، ثم يأتي عيسى إلى قومٍ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لايدانِ لأحدٍ بقتالهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطور، ويبعث اللهُ يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدبٍ ينسلون﴾[1]، فيمرُ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرُهم ويقول: لقد كانَ بهذه مرّة ماءٌ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون لقد قتلنا منّ فى الأرض، هلمَّ فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشَّابهم إلى السماء، فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبةً دمًا، ويُحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم

وقوله: «لا يدان» معناه لاقدرة ولا طاقة؛ لأن المباشرة والدفاع إنما يكون باليد، وثنى مبالغة كأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه. ومعنى «فحرز عبادي» أي ضمهم واجعل لهم حرزا. و«الحدب» بالتحريك ما ارتفع من الأرض. و«النسل» الإسراع.

«نه»: الخمر بالخاء المعجمة والميم الشجر الملتف، وفسر فى الحديث: أنه جبل ببيت المقدس، لكثرة شجره، وهو كل ما يسترك من شجر أو بناء أو غيره. و«هلم» معناه: تعال، وفيه لغتان: فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، وبنوتميم تثني وتجمع وتؤنث، تقول: هلم وهلمي وهلما وهلموا.

قوله: «رأس الثور» «تو»: أى تبلغ الفاقة بهم إلى هذا الحد. وإنما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه فى القيمة. قوله: «فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه» «قض»: أي يرغبون إلى الله تعالى فى إهلاكهم وإنجائهم عن مكابدة بلائهم، ويتضرعون إلى الله فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف. «تو»: النغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم. و«فرسى» جمع فريس، كقتيل وقتلى، من فرس الذئب الشاة إذا كسرها وقتلها، ومنه: فريسة الأسد.

يريد أن القهر الإلهى الغالب على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى. وقد نبه بالكلمتين – أعنى النغف وفرسى- على أنه سبحانه يهلكهم من أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف، فيفرسهم فرس السبع فريسة، بعد أن طارت نعرة البغي في رءوسهم، فظنوا أنهم قاتلوا من فى السماء.

(١) الأنبياء : ٩٦.

النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموتِ نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون فى الأرض موضعَ شبر إلا ملأه زَهَمُهم ونَتَنُهُمْ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسلُ الله طيرًا كأعناقِ البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله» وفى رواية «تطرحهم بالنهبل، ويستوقد المسلمون من قسيِّهم ونُشَّابِهم وجعابهم سبع سنين، ثم يرسل الله مَطرًا لا يَكُنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسلُ الأرضَ حتى يتركَهَا كالزَّلَفةَ، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتكِ ورُدِّي بركتك، فيومَئذٍ تأكل العصابةُ من الرُّمانة ويستظلون بقحفِها ويبارك في الرسْلِ، حتى إن اللقحةَ من الإبِل لتكفى الفِئامَ من الناس، واللحقة من البقرِ لتكفي القبيلةَ من

و«الزهم» بالتحريك مصدر قولك: زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة أي دسمة، وعليه أكثر الروايات فيما أعلم، وفيه من طريق المعنى وهن، وضم الزاى مع فتح الهاء أصح معنى، وهو جمع زهمة وهو الريح المنتنة.

قوله: «طيرا كأعناق البخت» أى طيرا أعناقهم كأعناق البخت. والنهبل اسم موضع. «مح»: «لايكن» أى لا يمنع من نزول الماء بيت. «المدر» وهو الطين الصلب. «قض»: أى لا يحول بينه وبين مكان ما حائل، بل يعم الأماكن كلها فيغسلها.

قوله: «كالزلفة» روى بفتح الزاى واللام، وبالفاء وبالقاف، وروى بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء. قال القاضي: روي بالفاء والقاف، وبفتح اللام وإسكانها، كلها صحيحة، واختلفوا فى معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا، شبهها بالمرآة فى صفائها ونظافتها، وقيل: معناه كمصانع الماء، أى أن الماء يستنقع فيها، حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. قال أبو عبيدة: معناه الإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل : كالروضة.

و«العصابة» الجماعة. و«قحفها» بكسر القاف وهو مقعر قشرها، شبهها بقحف الآدمي وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. و«الرسل» بكسر الراء وإسكان السين هو اللبن. و«اللقحة» بكسر اللام وفتحها مشهورتان، والكسر أشهر، وهي القريبة العهد بالولادة، وجمعها لقح بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك، و«اللقوح» ذات اللبن.

و«الفئام» بكسر الفاء وبعدها همزة ممدوة هي الجماعة الكثيرة، هذا هو المشهور والمعروف فى اللغة، ورواية الحديث بكسر الفاء والهمزة. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء، وقال في المشارق: وحكاه الخليل بفتح الفاء، قال: وذكر صاحب العين غير

الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخْذَ من الناس، فبيناهم كذلك إذ بعثَ اللهُ ريحًا طيبة فتأخذُهم تحت آباطهم، فتقبض رُوحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمر، فعليهم تقومُ الساعة» رواه مسلم إلا الرواية الثانية وهي قوله: «تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين» رواها الترمذيُّ.[٥٤٧٥]

٥٤٧٦- * وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ الدجالُ، فيتوجَّه قِبَلَه رجلٌ من المؤمنين، فيلقاه المسالحُ مسالِحُ الدجال. فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرجَ. قال: فيقولونَ له: أوَ ما تؤمنُ بربنا؟ فيقول: ما بربّنا خفاءٌ، فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحدًا دونه» قال: «فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمنُ قال: يأيُّها الناس! هذا الدجالُ الذي ذكرَ رسولُ الله ﷺ» قال: «فيأمر الدجال به فَيُشَبَّحُ.

مهموز، وادخله في حرف الياء، وحكى الخطابى أن بعضهم ذكره بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش، والفخذ الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

قال القاضي عياض: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال بإسكانها، بخلاف الفخذ التى هى العضو؛ فإنها تكسر وتسكن. قوله: «وكل مسلم» هكذا هو فى جميع النسخ بالواو. وأقول: أراد بالتكرار ها هنا الاستيعاب أى يقبض روح خيار الناس كلهم.

قولهم : «يتهارجون» «مح»: أى يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعله الحمير، ولا يكترثون لذلك. و«الهرج» بإسكان الراء الجماع. يقال: هرج زوجته أى جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها.

الحديث الرابع عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه قوله: «مسالح الدجال» «قض»: المسالح جمع مسلحة وهي قوم ذو سلاح، ولعل المراد به هاهنا مقدمة جيشه، وأصلها موضع السلاح، ثم استعمل للثغر؛ فإنه تعد فيه الأسلحة، ثم للجند المترصدين، ثم لمقدمة الجيش؛ فإنهم من الجيش كأصحاب الثغور ممن وراءهم من المسلمين.

قوله: «ما بربنا خفاء» هذا تكذيب لهم وبيان لتمويههم وتلبيسهم. «أو ما تؤمن بربنا» كما قال ﷺ: إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور.

[٥٤٧٥] صحيح الترمذى ١٨٢٥ ،والصحيحة ٤٨١ ، وهو فى صحيح أبى داود (٤٣٢١) مختصراً

فيقول: خذوه وشُجُّوه، فيُوسَعُ ظهرُه وبَطْنُهُ ضربًا». قال: «فيقول: أوَما تؤمنُ بي؟» قال: «فيقول: أنت المسيحُ الكذَّابُ». قال: «فيؤمر به فَيُؤشَرُ بالمئشار من مَفرِقه حتى يُفَرَّق بين رجليه». قال: «ثم يمشي الدجال بين القطعتينِ، ثم يقولُ له: قمْ، فيستوى قائما، ثم يقول له: أتؤمنُ بي؟ فيقول: ما ازددتُ إلا بصيرةً». قال: «ثم يقولُ: يأيُّها الناس! إنه لا يفعَلُ بعدي بأحد من الناس». قال: «فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجْعَلُ ما بينَ رقبته إلى تَرقوته نُحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً». قال: «فيأخذه بيديه ورجليه، فيقذفُ بِهِ، فيحسبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي فى الجنة» فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظمُ الناسِ شهادة عند ربِّ العالمين» رواه مسلم.

٥٤٧٧- * وعن أمّ شريكٍ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «ليَفِرنَّ الناس من الدجال حتى يلحقوا بالجبال». قالتْ أم شريك: قلتُ: يا رسول الله! فأين العربُ يومئذٍ؟ قال: «هم قليل» رواه مسلم.

قوله: «فيشبح» «مح»: بشين معجمة ثم باء موحدة وحاء مهملة، أى مدوه على بطنه و«شجوه» بجيم مشددة من الشج، وهو الجرح فى الرأس، ثم قال: وهذه الرواية أصح عندنا وقوله: «فيوسع» بإسكان الواو وفتح السين. وقوله: «فيؤشر» الرواية فيه بالهمزة و«المنشار» بهمزة بعد الميم وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما فيجعل فى الأول واوا وفى الثاني ياء، ويجوز المنشار بالنون، وعلى هذا يقال نشرت الخشبة. و«مفرقه» بكسر الراء وسطه. و«الترقوة» بفتح [التاء وضم][1] القاف، العظم الذي بين نقرة النحر والعاتق.

قوله: «لايفعل بعدي» مفعوله محذوف، أي ما فعل بي. وقوله: «فيجعل» أي الله تعالى كالنحاس لا يعمل فيه السيف. «حس»: قال معمر: بلغني أنه يجعل على حلقه صفحة نحاس. وقوله: «فيحسب الناس» أى يحسبون أن الدجال قذفه فيما زعم أنه ناره، وإنما ألقي فى الجنة وهى دار الثواب؛ يدل عليه قوله: «هذا أعظم الناس شهادة» نحو قوله تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾**[2] أي يسرحون فى ثمار الجنة.

الحديث الخامس عشر عن أم شريك: قوله: «فأين العرب يومئذ» الفاء فيه جزاء شرط

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط فى النسخ الموجودة عندنا، وإنما زدناه من شرح النووي على صحيح مسلم.
(٢) آل عمران: ١٦٩ : ١٧٠ .

٥٤٧٨ - * وعن أنسٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدجالَ من يهود أصفَهانَ سبعونَ ألفًا، عليهم الطيالسة» رواه مسلم.

٥٤٧٩ - * وعن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى الدجالُ وهو مُحرَّمٌ عليه أن يدخلَ نِقاب المدينة، فينزلُ بعضَ السِباخ التى تلى المدينة، فيخرجُ إليه رجل وهو خير الناس، أو من خيار الناس، فيقول: أشهدُ أنَّك الدجالُ الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييته، هل تشكُّون فى الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: واللهِ ما كنتُ فيكَ أشدَّ بصيرةً منى اليوم، فيريد الدجال أن يقتلَه، فلا يُسلَّطُ عليه» متفق عليه.

محذوف أى إذا كان حال الناس هذا، فأين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الإسلام، المانعون عن أهله صولة أعداء الله ، فكنى عنهم بها، قال: أنا الذاب الحامى الذمار، وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى.

الحديث السادس عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «أصبهان» «مح»: يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالباء والفاء.

الحديث السابع عشر عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه: قوله: «نقاب المدينة» «مح»: هو بكسر النون. «نه»: هو جمع نقب وهو الطريق بين الجبلين، والأنقاب جمع قلة له. قوله: «خير الناس» «حس»: قال معمر: بلغنى أن الرجل الذى يقتله الدجال الخضر عليه السلام.

قوله: «حديثه» جار على قوله: الدجال؛ لأن المظهر غائب، لاعلى ضمير المخاطب وعكسه قوله:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة

قوله: «فيقولون لا» «مح»: أما قول الدجال: «أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر، فيقولون: لا» فقد يشكل ؛ لأن ما أظهره الدجال لا دلالة له فيه على ربوبيته؛ لظهور النقص عليه، ودلائل الحديث، وتشويه الذات، وشهادة كذبه، وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك.

ويجاب بأنه : لعلهم قالوه خوفا منه لاتصديقا ، ويحتمل أنهم قصدوا: لانشك فى كذبك وكفرك فإن من شك فى كفره وكذبه كفر، وخادعوه بهذه التورية خوفا منه، ويحتمل أن الذين قالوا: لانشك، هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله تعالى شقاوته.

٥٤٨٠ - * وعن أبى هريرةَ، عن رسول الله ﷺ قال: «يأتى المسيحُ منْ قبَل المشرقِ همَّتُهُ المدينة، حتى ينزلَ دُبرَ أُحُدٍ، ثم تَصرِفُ الملائكةُ وجهه قِبَلَ الشام، وهنالك يهلكُ» متفق عليه.

٥٤٨١ - * وعن أبى بكرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «لايدخلُ المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجَّال، لها يومئذٍ سبعةُ أبواب، على كلِّ باب ملكان» رواه البخارى.

٥٤٨٢ - * وعن فاطمة بنت قيس، قالتْ: سمعتُ منادى رسول الله ﷺ ينادى: الصلاة جامعة؛ فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ، فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك؛ فقال: «ليلزمْ كلٌّ إنسان مصلاه» ثم قال: «هل تدرون لم جمعتكم؟». قالوا: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «إنى واللهِ ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأنَّ تميمًا الدارى كان رجلاً نصرانيًا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثًا وافق الذى كنت أُحدثُكمْ به عن المسيح الدجال، حدَّثنى أنه رَكِبَ فى سفينةٍ بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخْمٍ وجُذام، فلعب بهم الموج شهرًا فى البحر،

الحديث الثامن عشر والتاسع عشر عن فاطمة: قوله: «الصلاة جامعة» «مح»: هو بنصب الصلاة وجامعة ، الأول على الإغراء، والثانى على الحال. «تو»: وجه الرواية بالرفع أن يقدر «هذه» أى هذه الصلاة جامعة. ويجوز أن ينتصب جامعة على الحال، ولما كان هذا القول للدعاء إليها والحث عليها، كان النصب أجود وأشبه بالمعنى المراد منه.

قوله: «ما جمعتكم لرغبة» أى فى أمر مرغوب من نحو عطاء، «ولا لرهبة» أى من خوف عدو. وقوله: «سفينة بحرية» أى كبيرة لا زورقا نهريًا. و«لخم» بالخاء المعجمة، و«جذام» بالجيم قبيلتان. قوله: «تميمًا الدارى» كذا هو فى جامع الأصول وأكثر نسخ المصابيح، وتميم الدارى من غير تنوين فى كتاب الحميدى وبعض نسخ المصابيح، وفى بعض نسخ المصابيح وفى مسلم: «لأن تميما الدارى».

قوله: «فلعب بهم الموج» «فا»: سمى اضطراب أمواج البحر. لعبا؛ لما يسير بهم إلى الوجه الذى ما أرادوه ، يقال لكل من عمل عملا لايجدى عليه نفعا: إنما أنت لاعب. قوله: «فأرفئوا» «تو»: قال الأصمعى أرفأت السفينة أرفئها إرفاء أى قربتها من الشط. وبعضهم يقول: أرفيها بالياء على الإبدال، وهذا مرفأ السفن أى الموضع الذى تشد إليه وتوقف عنده.

فأرفئوا إلى جزيرة حين تغرب الشمس، فجلسوا فى أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابةٌ ، أهلبُ كثير الشعر، لايدرون ماقبُلهُ من دُبُرِه من كثرةِ الشعر، قالوا: ويلَكِ ما أنت؟ قالتْ: أنا الجسَّاسةُ قالوا: وما لجساسةُ ؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سَمَّتْ لنا رجلاً فرقنا منها أن تكونَ شيطانةً قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قطُّ خَلْقًا، وأشَدُّهُ وثاقًا، مجموعة يده إلى عُنُقِه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويْلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى، فأخبرونى ما أنْتم؟ قالوا: نحن أناس من العربِ، ركبنا فى سفينةٍ بحرية، فلعِبَ بنا البحر شهرًا، فدخلنا

«مح»: «أقرب السفينة» هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها، وهى سفينة صغيرة، تكون مع الكبيرة كالجنيبة، يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم.

«نه»: أما أقرُب فلعله جمع قارب، وليس بمعروف فى جمع فاعل أفعل، وقد أشار الحميدى فى غريبه إلى إنكار ذلك، وقال الخطابى: إنه جمع على غير قياس.

والهلب الشعر، وقيل ما برز من الشعر وغيره، وذكر الصفة؛ لأن لفظ «الدابة» يقع على الذكر والأنثى . قوله: «ما قبله» ما استفهامية، و«يدرون» بمعنى يعلمون ؛ لمجيىء الاستفهام تعليقا، ولابد من تقدير المضاف بعد حرف الاستفهام، أى ما نسبة قبله من دبره. «مح»: الجساسة هى بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى، قيل سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال. وقوله: «فى الدير » حال والعامل فيه اسم الإشارة.

قوله: «إلى خبركم بالأشواق» «تو»: أى شديد نزاع النفس إلى ما عندكم من الخبر حتى كان الأشواق ملصقة به، أو كأنه مهتم بها. انتهى كلامه. و«فرقنا» أى خفنا. وقوله: «أن تكون شيطانة»بدل من الضمير المجرور. قوله: «ما رأيناه قط» «شف» ضمير المفعول راجع إلى الأعظم، أى «ما» رأينا قط أعظم الإنسان خلقا، وخلقا نصب على التمييز من «أعظم الإنسان».

أقول: ويحتمل أن يقدر مضاف، أى ما رأينا مثل ذلك الأعظم. و«أشده» مرفوع عطف على الأعظم هذا. وإن لفظة «ما» ليست فى صحيح مسلم ولافى كتاب الحميدى ولافى جامع الأصول ولافى أكثر نسخ المصابيح، ولعل من زادها نظر إلى لفظ «قط» حيث يكون فى الماضى المنفى، والوجه أن يكون مرادا كما جاء فى قول القائل:

لله يبقى على الأيام ذو حيد

البيت. وقوله: «مابين ركبتيه إلى كعبيه» ما موصولة مرفوعة المحل، المعنى مجموعة ساقاه

الجزيرة، فلقيتْنا دابةٌ أهلبُ، فقالت: أنا الجسَّاسة، اعمِدُوا إلى هذا فى الدَّيْر، فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها. ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال: أخبرونى عن نخل بَيْسان قلنا: عن أى شأنها تستخبرُ؟ قال: أسألكم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا: نعمْ. قال: أما إنها توشِكُ أن لاتثمرَ. قال: أخبرونى عن بُحيرةِ الطبريَّةِ قلنا: عن أى شأنِها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ قلنا هى كثيرةُ الماء. قال أما إنَّ ماءَها يوشِكُ أن يذهبَ. قال: أخبرونى عن عينِ زُغَرَ. قالوا: وعن أىِّ شأنِها تستخبرُ؟ قال: هل فى العين ماءٌ؟ وهل يزرعُ أهلُها بماءِ العينِ؟ قلنا له: نعم، هى كثيرةُ الماءِ، وأهلُها يزرعونَ من مائِها. قال: أخبرونى عن نبى الأميينَ ما فعل؟ قُلنا: قد خرجَ من مكةَ ونزلَ يثرِبَ. قال: أقاتلَه العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيفَ صنعَ بهم؟ فأخبرناه أنَّه قد ظهرَ على من يَليه من العربِ، وأطاعوهُ. قال لهم: قد كانَ ذلك؟ قلنا : نعم. قال: أما إنَّ ذلك خيرٌ لهم أن يُطيعوه وإنى مخبرُكم عنى: إنى أنا المسيحُ الدجال. وإنى يوشكُ أن

بالحديد، وحذف «مجموعة» فى الثانى؛ لدلالة الأولى عليها. وقوله: «ما أنت» كأنهم لما رأوا خلقا عجيبا خارجًا عما عهدوه خفى عليهم حاله فقالوا: ما أنت مكان: من أنت، وكذلك قوله لهم: ما أنتم؛ لأنه ما عهد أن إنسانا يطرق ذلك المكان، نظيره فى حديث أم زرع: زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع..

قوله: «قد قدرتم على خبرى» «قض»: أى تمكنتم من خبرى، فإنى لا أخفيه عنكم، فأحدث لكم عن حالى فأخبرونى عن حالكم، وما أسأله عنكم أولا. و«بيسان» بالباء المفتوحة قرية بالشام. «مح»: «زغر» بزاى مضمومة ثم غين معجمة ثم راء. وهى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام.

قوله: «إن ذلك خير لهم أن يطيعوه» المشار إليه مايفهم من قوله: «وأطاعوه» وقوله: «أن يطيعوه» جاء لمزيد البيان، ويجوز أن يكون المشار إليه رسول الله ﷺ و«خير» إما خبر لـ «ذلك» مسند إلى «أن يطيعوه» وعلى هذا لايكون بمعنى التفضيل. أو يكون« أن يطيعوه» مبتدأ، و«خير» خبره مقدما عليه، والجملة خبر إن.

«تو: : فإن قيل: يشبه هذا القول قول من عرف الحق، والمخذول من البعد من الله بمكان لم ير له فيه مساهم، فما وجه قوله هذا.

قلنا: يحتمل أنه أراد به الخير فى الدنيا، أى طاعتهم له خير لهم؛ فإنهم إن خالفوه

يؤذن لى فى الخروج فأخرُج، فأسير فى الأرض، فلا أدع قريةً إلا هبطتُها فى أربعين ليلةً، غير مكةَ وطيبةَ، هما مُحرَّمتان عَلَىَّ كلتاهُما، كلما أردتُ أن أدخُلَ واحدةً أو واحدًا منهمُا استقبلنى ملَكٌ بيدِه السيفُ صَلَتًا يصدُّنى عنها، وإنَّ على كلِّ نقْبٍ منها ملائكةَ يحرسونها.» قال رسولُ الله ﷺ - وطعنَ بمخْصَرَته فى المنبر: «هذه طيبةُ، هذه طيبةُ، هذه طيبةُ» يعنى المدينةَ «ألا هلْ كنتُ حدَّثْتُكم؟» فقال الناسُ: نعم، «فإنه أعجبنى حديثُ تميمٍ أنه وافقَ الذى كنتُ أحدِّثُكم عنه وعن المدينةِ ومكةَ. ألا إنه فى بحر الشَّأمِ أو بحرِ اليمنِ، لابل من قبل المشرقِ ماهو، منْ قبَل المشرق ماهو، منْ قبَلِ المشرقِ ماهوَ» وأومأ بيده إلى المشرق رواه مسلم.

اجتاحهم واستئصلهم، ويحتمل أنه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه وتفوه بما ذكر عنه كالمغلوب عليه والمأخوذ عليه فلم يستطع أن يتكلم بغيره تأييدا لنبيه ﷺ، والفضل ما شهدت به الأعداء.

قوله: «صلتا» «نه»: أى مجردا، يقال: أصلت السيف إذا جرده من غمده وضربه بالسيف صلتا. قوله: «بمخصرته» «فا»: هو قضيب يشير به الخطيب أو الملك إذا خاطب.

«فا»: المخصرة كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصى ونحوها فهو مخصرة. وقوله: «هذه طيبة» لما وافق هذا القول ماكان حدثهم به أعجبه ذلك وسر به فقال . . . وقوله: «أو بحر اليمن» لما حدثهم بقول تميم الدارى لم يرَ أن يبين لهم موطنه ومجلسه كل التبيين؛ لما رأى فى الالتباس من المصلحة، فرد الأمر فيه إلى التردد بين كونه فى بحر الشام أو بحر اليمن، ولم تكن العرب يومئذ تسافر إلا فى هذين البحرين. ويحتمل أنه أراد ببحر الشام ما يلى الجانب الشامى، وببحر اليمن ما يلى الجانب اليمانى، والبحر بحر واحد. وهو الممتد على أحد جوانب جزيرة العرب، ثم أضرب عن القولين مع حصول اليقين فى أحدهما فقال: لابل من قبل المشرق.

«شف»: يمكن أنه ﷺ كان شاكًا فى موضعه، وكان فى ظنه أنه لايخلو عن هذه المواضع الثلاثة، فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن، تيقن له من جهة الوحى أو غلب على ظنه، أنه من قبل المشرق، فنفى الأولين وأضرب عنهما وحقق الثالث.

قوله: «ما هو» «مح»: قال القاضى: لفظة ما ها هنا زائدة، صلة للكلام وليست بنافية، والمراد إثبات أنه فى جهة المشرق. «تو»: ويحتمل أن يكون خبرا، أى الذى هو فيه، أوالذى

٥٤٨٣ - * وعن عبدالله بنُ عمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُنى الليلةَ عندَ الكعبةِ، فرأيتُ رجلا آدَم كأحسن ما أنتَ راءٍ من أدْم الرجال، له لِمَّةٌ كأحسنِ ما أنتَ راءٍ من اللمم قدْ رجَّلَها، فهى تقطر ماءً، متكئًا على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم». قال: «ثم إذا أنا برجلٍ جعدٍ قططٍ، أعورِ العينِ اليمنى، كأنَّ عينه عنبةٌ طافية، كأشبه من رأيتُ من الناس بابن قطَن واضعًا يديه على منكبى رجلين، يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدجَّال» متفق عليه. وفى رواية: قال فى الدجال: «رجل أحمر جسيمٌ، جعدُ الرأس، أعورُ عينِ اليمنى، أقربُ الناس به شَبَهًا ابنُ قطَنٍ».

وذكر حديث أبى هريرة: «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» فى «باب الملاحم».

وسنذكر حديث ابن عمر: قام رسول الله ﷺ فى الناس فى «باب قصة ابن صياد» إن شاء الله تعالى.

هو يخرج منه، وفى كتب أهل اللغة فى ذكر ابن قترة: حية خبيثة إلى الصغر ماهى، ومن مصطلح الأطباء فى ذكر طباع العقاقير ووصف طعم الأدوية: إلى الحرارة ماهو، إلى اليبوسة ما هو، إلى العفوصة ماهو، أى الذى طبعه وطعمه كذا. أى أمر ظهوره من قبل المشرق، وابن قيرة بالياء وكسر القاف كنية نوع من الحيات.

الحديث العشرون عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: قوله: «هذا المسيح الدجال» «تو»: طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر، مؤول بأن رؤيا النبى ﷺ من مكاشفاته، كوشف بأن عيسى عليه السلام فى صورته الحسنة التى ينزل عليها، يطوف حول الدين لإقامة أوده وإصلاح فساده، وأن الدجال فى صورته الكريهة التى ستظهر يطوف حول الدين يبغى العوج والفساد.

ووجه تسميته بالمسيح فى أحب الوجوه إلينا: أن الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة، كما أن الشر مسح عن مسيح الهداية عليه السلام. وقيل: سمى عيسى به؛ لأنه كان لايمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، وقيل: لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له. وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن. وقيل: لأنه كان يمسح الأرض. أى يقطعها. وقيل: المسيح الصديق، وسمى الدجال به؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة لايبصر بها، والأعور يسمى مسيحا.

الفصل الثانى

٥٤٨٤ - * عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ فى حديث تميم الدارى: قالت قال: «فإذا أنا بامرأة تجرُّ شعرها قال: ما أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسة، اذهبْ إلى ذلك القصر، فأتيتُه، فإذا رجلٌ يجرُّ شعره، مسلسلٌ فى الأغلال، ينزو فيما بين السماء والأرض. فقلت: من أنت؟ قال: أنا الدجال». رواه أبو داود.[٥٤٨٤]

٥٤٨٥ - * وعن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ قال: «إنى حدثتكم عن الدجَّال حتى خشيتُ أن لاتعقلوا. إنَّ المسيحَ الدجَّال قصيرٌ، أفحج، جَعْدٌ، أعورُ، مطموسُ العين، ليست بناتئة ولا حَجْراء فإنْ أُلبِس عليكم فاعلموا أن ربَّكم ليس بأعور» رواه أبو داود.[٥٤٨٥]

الفصل الثانى

الحديث الأول عن فاطمة رضى الله عنها: قوله: «فإذا أنا بامرأة» قال فى الحديث السابق: «فلقيتهم دابة أهلب» وها هنا: «فإذا أنا بامرأة» قيل : يحتمل أن للدجال جساستين: إحداهما الدابة، والثانية امرأة، ويحتمل أن الجساسة كانت شيطانة، تمثلت مرة فى صورة دابة، وأخرى فى صورة امرأة، وللشيطان التشكل بأى شكل أراد، ويحتمل أن تسمى المرأة دابة مجازا: قال تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم﴾ (١).

قوله : «ينزو» «نه»: يقال: نزوت على الشيء أنزوا نزوًا إذا وثب عليه، وقد يكون فى الأجسام والمعانى.

الحديث الثانى عن عبادة قوله: «حتى خشيت» حتى غاية «حدثتكم» أى حدثتكم أحاديث شتى حتى خشيت أن يلتبس عليكم الأمر فاعقلوا. وقوله: «إن المسيح الدجال» استئناف وقع تأكيدا لما عسى أن يلتبس عليهم. قوله: «قصير» وجه الجمع بينه وبين قوله فى الحديث السابق: «أعظم إنسان رأيناه» أنه لايبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة، ويحتمل أن الله تعالى يغيره عند الخروج.

[٥٤٨٤] صحيح أبى داود ٤٣٢٥.

[٥٤٨٥] صحيح أبى داود ٤٣٢٠.

(١) الأنفال: ٢٢

٥٤٨٦ - * وعن أبى عبيدة بنِ الجرَّاح، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يكن نبيٌّ بعدَ نوحٍ إلا قد أنذرَ الدجالَ قومَه، وإنى أنذركموه» فوصَفَه لنا قال: «لعلَّه سيدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى». قالوا: يارسول الله! فكيف قلوبنا يومئذ؟ قال: «مثلها» يعنى اليوم« أو خيرٌ» رواه الترمذى، وأبو داود.[٥٤٨٦]

٥٤٨٧ - * وعن عمرو بن حُريثٍ، عن أبى بكر الصدِّيق، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجَّال يخرج من أرضٍ بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأنَّ وجوههم المَجانْ المطرقة» رواه الترمذى.[٥٤٨٧]

٥٤٨٨ - * وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجَّال فلْينْأ منه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ، فيتبعه مما يُبعثُ به من الشبهات» رواه أبو داود.[٥٤٨٨]

قوله: «أفحج» «نه»: الفحج تباعد مابين الفخذين. و«مطموس العين» أى ممسوحها، والطمس استئصال أثر الشيء. وقوله: «ولاحجراء» معناه لاغائرة منحجرة فى نقرتها.

الحديث الثالث عن أبى عبيدة: قوله: «أنذر الدجال قومه» قدم المفعول الثانى على الأول اهتماما بشأنه، فلما حصل علم المخاطبين بالاهتمام نسق الكلام على الأصل فى «أنذركموه» ولم يقدم الثانى على الأول.

فإن قلت: قوله: «بعد نوح» يشعر بأنه غير منذر، وهو مخالف للحديث السابق: «لقد أنذر نوح قومه».

قلت: غير مخالف؛ لأن الظرف أعنى بعد نوح لم يؤت به للتمييز والتفضلة بل للبيان، فلا يشعر بأنه لم ينذر ، فبين بالحديث السابق أنه أيضا منذر.

الحديث الرابع والخامس عن عمران: قوله: «مما يبعث به» يعنى يحسب الشخص أن نفسه مؤمن، فيتبعه لأجل ما يثيره من الشبهات، أى السحر وإحياء الميت وغير ذلك، فيصير كافرا وهو لايدرى.

[٥٤٨٦] ضعيف، انظرضعيف الجامع ٢٠٧٣

[٥٤٨٧] صحيح، انظر صحيح الترمذى ١٨٢٤ - ابن ماجه ٤٠٧٢

[٥٤٨٨] صحيح، انظر صحيح أبى داود ٤٣١٩

٥٤٨٩ - * وعن أسماء بنت يزيد بن السَّكن، قالت: قال النبى ﷺ : «يمكثُ الدَّجالُ فى الأرضِ أربعينَ سنةً، السنةُ كالشَّهرِ، والشهرُ كالجمعة، والجمعةُ كاليومِ، واليومُ كاضطرامِ السَّعَفةِ فى النارِ» رواه فى «شرح السنة». [٥٤٨٩]

٥٤٩٠ - * وعن أبى سعيدٍ الخُدرىِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «يتَّبعُ الدَّجالَ من أُمَّتى سبعونَ ألفًا عليهم السيجانُ» رواه فى «شرح السنَّة». [٥٤٩٠]

٥٤٩١ - * وعن أسماء بنتِ يزيدَ، قالتْ كانَ رسول الله ﷺ فى بيتى، فذكرَ الدجَّالَ، فقال: «إنَّ بين يديه ثلاثَ سنينَ: سنةٌ تُمسكُ السماءُ فيها ثُلُثَ قطرها، والأرضُ ثُلُث نباتِها. والثانية تمسكُ السماءُ ثلُثى قطرِها، والأرضُ ثلُثى نباتها. والثالثةُ تمسكُ السماءُ قطرَها كلَّه، والأرض نباتَها كلَّه، فلا يبقى ذاتُ ظلفٍ ولاذاتُ ضرسٍ منَ البهائمِ إلا هلَكَ، وإنَّ من أشدِّ فتنته أنَّه يأتى الأعرابىَّ فيقول: أرأيتَ إنْ أحيَيتُ لك إبلكَ! ألستَ تعلمُ أنى ربُّكَ؟ فيقول: بَلى، فيمثلُ له الشيطان نحْوَ إبله كأحسنِ ما يكونُ ضُروعًا، وأعظمه أسنمةً». قال: ويأتى الرجلَ قدْ ماتَ أخوهُ، ومات أبوهُ، فيقولُ: أرأيت إنْ أحيَيتُ لكَ أباكَ وأخاكَ ألستَ تعلمُ أنى ربُّكَ؟ فيقول: بَلى، فيُمثِلُ له الشياطين نحوَ أبيه ونحوَ أخيه». قالتْ: ثمَّ خرجَ رسولُ الله ﷺ لحاجته، ثمَّ رجعَ والقومُ فى اهتمامٍ وغمٍ ممَّا حدثَّهم. قالت: فأخذَ بلحمتَى البابِ فقال: «مَهيَم

الحديث السادس عن أسماء: قوله: «السعفة» هو بفتح العين واحدة السعف، وهو غصن النخل ، والكلام محمول على سرعة انقضاء تلك السنين.

الحديث السابع عن أبى سعيد رضى الله عنه قوله: «السيجان» «تو»: السيحان جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، وقيل: هو الطيلسان الأخضر المنقوش بنسج، كذلك كانت القلانس كانت تعمل منها، أو من نوعها. ومنهم من يجعل ألفها منقلبة عن الواو، ومنهم من يجعلها عن الياء.

الحديث الثامن عن أسماء: **قوله: «بلحمتى الباب» «تو»: الصواب : فأخذ بلجفتى الباب**، أريد بهما العضادتان، وقد فسر بجانبيه، ومنه ألجاف السرير أى جوانبها، وفى كتاب المصابيح: بلحمتى الباب، وليس بشىء، ولم يعرف ذلك من كتب أصحاب الحديث إلا على ما ذكرنا.

[٥٤٨٩] شرح السنة ٤٢٦٤ (١٥/ ٦٢) وقال ضعيف

[٥٤٩٠] شرح السنة ٤٢٦٥ (١٥/ ٦٢) وقال ضعيف جداً

أسماءُ؟» قلتُ: يارسولَ الله! لقد خلعت أفئدَتنا بذكرِ الدَّجال. قال: : «إنْ يخرجْ وأنا حيٌّ، فأنا حجيجُه، وإلا فإنّ ربى خليفَتى على كلِّ مُؤمنٍ». فقلتُ: يارسولَ الله! والله إنا لنعجنُ عجينَنا فما نخبزه حتى نجوعَ، فكيف بالمؤمنينَ يومئذ؟ قال: «يُجزئُهم ما يُجْزِئ أهل السماءِ من التسبيحِ والتقديسِ» رواه أحمد .[٥٤٩١]

الفصل الثالث

٥٤٩٢ - * عن المغيرة بن شعبةَ، قال: ما سأل أحدٌ رسولَ الله ﷺ عن الدجال أكثرَ ممَّا سألتُه، وإنه قال لى: «ما يضرُّكَ؟» قلتُ: إنهم يقولون: إن معه جبلَ خبز ونهْرَ ماء. قال: هوَ أهونُ على الله منْ ذلك» متفق عليه.

«قض»: «مهيم» كلمة يمانية، ومعناه: ما الحال وما الخبر؟. وأسماء منادى حذف منه حرف النداء. قوله: «لنعجن عجيننا معناه: إنا نعد العجين لنخبزه فلا نقدر على خبزه لما فينا من خوف الدجال حين خلعت أفئدتنا بذكره، فكيف حال من ابتلى بزمانه. فمعنى قوله: «يجزئهم» إن الله تعالى يسليهم ببركة التسبيح والتقديس.

«مظ»: «يجزئهم» أى يكفيهم ما يكفى الملأ الأعلى من التسبيح والتقديس، يعنى من ابتلى بزمانة فى ذلك اليوم لايحتاج إلى الأكل والشرب، كما لايحتاج الملأ الأعلى إليهما. قوله:

«إلا هلك» حال، يعنى لاتبقى ذات ظلف فى حال من الأحوال إلا فى حال الهلاك.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن المغيرة: قوله: «وإنه قال لى ما يضرك» حال أى كنت مولعا بالسؤال عن الدجال، مع أنه ﷺ قال: ما يضرك؛ فإن الله تعالى كافيك شره، وقوله: «قلت: إنهم يقولون» استئناف جواب عن سؤال مقدر، أى سألته يومًا عنه، فقال: ما يضرك، أى مايضلك، قلت: كيف ما يضلنى وإنهم يقولون أن معه جبل خبز؟. قوله: «هو أهون» «مح»: قال القاضى: معناه: هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم، بل إنما جعله الله ليزداد الذين آمنوا إيمانا، ويلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه أنه ليس معه شىء من ذلك.

[٥٤٩١] شرح السنة ٤٢٦٣ (١٥/ ٦٠) وقال ضعيف

٥٤٩٣ - * وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يخرجُ الدَّجالُ على حمارٍ أقمرَ مابينَ أذنَيه سبعونَ باعًا». رواه البيهقي في «كتاب البعث والنشور».

(٤) باب قصة ابن صياد

الفصل الأول

٥٤٩٤ - * عن عبدالله بن عُمرَ: أنَّ عُمرَ بن الخطابِ انطلقَ مع رسول الله ﷺ، في رهطٍ من أصحابه قِبَلِ ابن الصياد، حتى وجدوهُ يلعبُ مع الصبيانِ في أُطُمِ بني مغالة، وقد قاربَ ابنُ صيَّادٍ يومئذ الحلُمَ، فلم يشعرْ حتى ضربَ رسولُ الله ﷺ ظهرَه بيده، ثمَّ قال: «أتشهدُ أني رسولُ الله؟» فنظر إليه، فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ الأميينَ.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «على حمار أقمر» «نه»: هو الشديد البياض. انتهى كلامه. «مابين أذنيه» وقعت صفة أخرى لحمار.

باب قصة ابن الصياد

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قوله: «في أطم بني مغالة » «نه»: الأطم بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام[مح]*: المشهور مغالة بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة. قوله: «رسول الأميين» «قض»: يريد بهم العرب؛ لأن أكثرهم كانوا لايقرءون ولايكتبون، وما ذكره وإن كان حقا من قبل المنطوق، لكنه يشعر بباطل من حيث المفهوم، وهو أنه مخصوص بالعرب غير مبعوث إلى العجم، كما زعمه بعض اليهود، وهو إن قصد به ذلك فهو من جملة ما يلقى إليه الكاذب الذي يأتيه وهو شيطانه.

قوله: «فرصة» «مح»: قال الخطابي في غريبه: «فرصه» بصاد مهملة، أي ضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض ، ومنه قوله تعالى: ﴿بنيان مرصوص﴾ [١] قال الشيخ محيي الدين: هو في أكثر نسخ بلادنا: «فرضه» بالفاء والضاد المعجمة ومعناه ترك سؤاله عن الإسلام ليأسه منه حينئذ، ثم شرع في سؤاله بقوله: ماذا ترى؟. قوله: «ثم قال» عطف على «فرصه» وثم للتراخي في الرتبة، والكلام خارج على إرخاء العنان. أي آمنت بالله ورسله، فتفكر هل أنت منهم؟.

---

(١) الصف: ٤.

* من «ك» وسقطت من «ط».

ثمَّ قال ابن صياد: أتشهدُ أني رسول الله ؟ فرصَّه النبيُّ ﷺ ثمَّ قال: «آمنتُ بالله وبرسله» ثمَّ قال لابن صيَّاد: «ماذا ترى؟» قال: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ. قال رسولُ الله ﷺ: «خُلط عليك الأمرُ». قال رسولُ الله ﷺ: «إني خبَّأتُ لكَ خَبيئًا». وخبأ له: ﴿يومَ تأتي السَّماءُ بدُخانٍ مُبينٍ﴾ (1). فقال : هوَ الدُّخُّ. فقال: «اخسأ فلن تعدُوَ قدركَ». قال عمرُ: يا رسول الله! أتأذنُ لي فيه أن أضربَ عنُقه؟ قال رسولُ الله ﷺ: «إنْ يكن هوَ لا تُسلَّط عليه، وإنْ لم يكنْ هو فلا خير لك في قتله». قال ابنُ عمر: انطلقَ بعد ذلك رسولُ الله ﷺ وأبيُّ بن كعبٍ الأنصاريُّ يؤمَّانِ النخلَ التي فيها ابنُ

قوله: «خلط» «مح»: أي ما يأتي به شيطانك مخلط. «خط»: معناه : أنه كان له تارات يثيب في بعضها ويخطئ في بعضها، فلذلك التبس عليه الأمر. «مح»: «الدخ» بضم الدال وتشديد الخاء وهي لغة في الدخان. ومعنى «خبأت» أضمرت لك اسم الدخان، والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾**(1).

قال القاضي: وأصح الأقوال أنه لم يأت من الآية التي أضمرها النبي ﷺ إلا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب؛ ويدل عليه قوله ﷺ : «اخسأ فلن تعدو قدرك» أي القدر الذي يدركه الكهان من الاهتداء [أي]* بعض الشيء.

أقول: [يعني]* قدرك أن لا تتجاوز عن إظهار الخبيئات على هذا الوجه كما هو دأب الكهنة، فلا تتجاوز منها إلى دعوى النبوة، فتقول: أشهد أني رسول الله، فهنا نكتة سنذكرها في الحديث الذي يتلوه «تو»: «اخسأ» كلمة زجر واستهانة أي اسكت صاغرا مدحورا.

قوله: «إن يكن هو لاتسلط عليه» «قض»: «إن يكن هو» الضمير للدجال ويدل عليه ما روى أنه ﷺ قال : «إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى بن مريم عليه السلام، وإن لايكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد» وهو خبر كان واسمه مستكن فيه، وكان حقه: إن يكنه، فوضع المرفوع المنفصل موضع المرفوع المتصل عكس قولهم: لولاه. ويحتمل أن يكون تأكيدا للمستكن، والخبر محذوفا على تقدير: إن يكن هو هذا.

أقول: ويجوز أن يقدر: إن يكن هو الدجال، و«هو» ضمير فصل أو مبتدأ والدجال خبره والجملة خبر كان.

---

(1) الدخان: ١٠

* من «ك» وفي «ط» «إلى». ** زيادة من «ك».

صيادٍ، فطفقَ رسولُ الله ﷺ يتقى بجذوعِ النخل وهوَ يختلُ أنْ يسمعَ من ابن صيَّادٍ شيئًا قبل أنْ يراهُ، وابنُ صياد مضطجعٌ على فراشِه فى قطيفةٍ، له فيها زمزمةٌ، فرأت أمُّ ابن صيادٍ النبىَّ ﷺ وهو يتَّقى بجذوعِ النخلِ. فقالت: أى صافُ - وهو اسمُه- هذا محمَّدٌ . فتناهى ابنُ صياد. قال رسول الله ﷺ : «لو تركتْه بَيَّنَ». قال عبدُالله بنُ عمرَ: قامَ رسولُ الله ﷺ فى الناسِ، فأثنى على الله بما هوَ أهلُه، ثمَّ ذكر الدَّجالَ

قوله : «وهو يختل» «مح» هو بكسر التاء أى يخدع ابن صياد ليسمع من كلامه ويعلم هو والصحابة حاله فى أنه كاهن أم ساحر ونحوهما. وفيه جواز كشف أحوال ما تخاف مفسدته، وكشف الإمام الأمور المبهمة بنفسه. وقوله: [زمزمة]* «هو فى معظم نسخ مسلم بزايين معجمتين، وفى بعضها برائين مهملتين، ووقع فى البخارى بالوجهين: وهو صوت خفى لايكاد يفهم أو لا يفهم.

قوله: «فتناهى» تناهى عما كان فيه وسكت. وقوله: «لو تركته بين» أى بين لكم باختلاف كلامه مايهون عليكم شأنه. «حس»: أى بين مافى نفسه.

قوله: «لم يقله نبى لقومه» «تو»: يحتمل أن أحدا من الأنبياء لم يكاشف أو لم يخبر بأنه أعور، ويحتمل أنه أخبر ولم يقدر له أن يخبر عنه كرامة لنبينا ﷺ حتى يكون هو الذى يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة، فيبصر بأمره جهال العوام فضلا عن ذوى الألباب والأفهام.

«مح»: قصته مشكلة، وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال أم غيره، ولاشك أنه دجال من الدجاجلة. قالوا: وظاهر الأحاديث أنه ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولاغيره، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال. وكان لابن الصياد قرائن محتملة، فلذلك كان ﷺ لايقطع بأنه الدجال ولاغيره؛ ولهذا قال لعمر رضى الله عنه: «إن يكن هو فلن تستطيع قتله» . وأما [احتجاجه هو] [(١)] بأنه مسلم والدجال كافر، وبأنه لايولد للدجال وقد ولد له، وأن لايدخل مكة والمدينة وابن صياد قد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه؛ لأن النبى ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه فى الأرض.

قال الخطابى: واختلف السلف فى أمره بعد كبره، فروى عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة، وأنه لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى يراه الناس، وقيل لهم: اشهدوا. قال: وكان ابن عمر وجابر يحلفان أن ابن الصياد هو الدجال لايشكان فيه، فقيل لجابر: إنه

(١) قال مصحح «ط»: كذافى شرح النووى. وأما فى النسخ الموجودة عندنا: وأما احتجاج بعضهم بأنه مسلم. . . إلخ. لعله تصحيف كما فى شرح النووى: ويؤيده الحديث الآتى لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

* من «ك» وسقطت من «ط».

فقال: «إنى أنذركموهُ، وما من نبى إلا وقد أنذرَ قومه، لقدْ أنذرَ نوحٌ قومَه، ولكنى سأقولُ لكم فيهِ قولاً لم يقلْه نبيٌّ لقومِه ، تعلمونَ أنَّه أعوَرُ، وأنَّ اللهَ ليسَ بأعورٍ».
متفق عليه.

أسلم، فقال: وإن أسلم. فقيل: إنه دخل مكة، وكان بالمدينة، فقال: وإن دخل. وروى أبو داود فى سننه بإسناد صحيح عن جابر: قال: فقدنا ابن صياد يوم حرة، وهذا يبطل رواية من يرى أنه مات بالمدينةوصلى عليه، وقد روى مسلم فى هذه الأحاديث أن جابراً حلف بالله تعالى أن ابن الصياد هو الدجال، وأنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحلف على ذلك عند النبى ﷺ ولم ينكره .

قال البيهقى فى كتابه «البعث والنشور» : اختلفوا فى أمر ابن الصياد اختلافا كثيرا: هل هو الدجال؟ . فمن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الدارى فى قصة الجساسة، ويجوز أن تتوافق صفة ابن الصياد وصفة الدجال كما ثبت فى الصحيح: أن أشبه الناس بالدجال عبدالعزى بن قطن وليس هو هو. قال: وكان أمر ابن الصياد فتنة ابتلى الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها. قال: وليس فى حديث جابر أكثر من سكوت النبى ﷺ عن قول عمر، فيحتمل أنه ﷺ كالمتوقف فى أمره ثم جاءه البيان أنه غيره. كما صح به فى حديث تميم. هذا كلام البيهقى فقد اختار أنه غيره. وقد قدمنا أنه صح عن عمر وابن عمر وجابر أنه الدجال، فإن قيل: لم لم يقتله النبى ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة؟.

فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقى وغيره أحدهما: أنه كان غير بالغ، واختار القاضى عياض هذا الجواب. والثانى: أنه كان فى أيام مهادنة اليهود وحلفائهم، وجزم الخطابى بالجواب الثانى؛ قال : لأن النبى ﷺ بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب الصلح على أن يتركوا على حالهم، وكان ابن الصياد منهم، أو دخيلا فيهم.

قال الخطابى: وأما امتحان النبى ﷺ بما خبأ له من آية الدخان؛ فلأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الكلام فى الغيب، فامتحنه ليعلم حقيقة [حاله]*، ويظهر إبطال حاله للصحابة، فإنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقى على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة، فامتحنه ثم قال: «فلن تعدو قدرك» أى لا تتجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة. بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فإنهم يوحى الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحى، فيكون واضحا جليا كاملا، وبخلاف ما يلهم الله تعالى الأولياء من الكرامات والله أعلم.

---

* من «ك» وفى «ط» : «هذه».

٥٤٩٥ - * وعن أبى سعيد الخدرى، قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر - يعنى ابن صيَّاد- فى بعضِ طرق المدينة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أتشهد أنى رسولُ الله؟» فقال هو: أتشهد أنى رسولُ الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسلهِ ، ماذا ترى». قال: أرى عرشًا على الماء . فقال رسول الله ﷺ: «ترى عرش إبليسَ على البحر وماترى؟» قال: أرى صادقَين وكاذبًا، أو كاذبَين وصادقًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «لَبس عليه، فدعوه». رواه مسلم.

٥٤٩٦ - * وعنه، أنَّ ابنَ صيَّاد سألَ النبىَّ ﷺ عن تُربة الجنةِ. فقال: «درْمكةٌ بيضاءُ مسك خالصٌ». رواه مسلم.

٥٤٩٧ - * وعن نافع، قال: لقى ابنُ عمر ابنَ صيَّادٍ فى بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابنُ عمر على حفصة وقد بلغها، فقالتْ له: رحمك الله ما أردت من ابن صيَّاد؟ أمَا علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يخرجُ من غضبةٍ يغضبها». رواه مسلم.

الحديث الثانى عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «آمنت بالله » فإن قلت: كيف طابق هذا الجواب قوله: «أتشهد أنى رسول الله؟». قلت: لما أراد ﷺ أن يلزمه ويفحمه فيه، ويظهر للقوم أنه كاذب فى دعوى الرسالة، أخرج الكلام مخرج الاستدراج. والكلام المنصف، يعنى: آمنت بالله ورسله، فإن كنت رسولا صادقًا فى دعواك غير ملتبس عليك الأمر كسائر الرسل فأومن بك، وإن كنت كاذبا ولبس عليك الأمر فأنت كاهن كسائر الكهان، فاخسأ ولا تعد طورك فتدعى الرسالة، ولو أجيب بقوله: «اخسأ ولا تعد طورك» ابتداء لم يقع هذا الموقع. وهذه النكتة الموعودة فى الحديث السابق.

«مح»: «لبس» بضم اللام وتخفيف الباء، خلط عليه أمره.

الحديث الثالث عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «درمكة» «نه»: الدرمكة الدقيق الحوارى، شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها، وبالمسك لطيبها.

الحديث الرابع عن نافع: قوله: «من غضبة يغضبها» قيل: «يغضبها» فى محل الجر صفة غضبة، والضمير فى موضع النصب، أى أنه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبته فيدعى النبوة، فلا تغضبه يا عبدالله، ولا تتكلم معه لئلا يخرج، فيظهر الفتن. «مظ» يعنى إنما يخرج الدجال حين يغضب .

٥٤٩٨ - * وعن أبى سعيد الخدرى، قال: صحبْتُ ابنَ صيَّاد إلى مكةَ، فقال لى: ما لقيتُ من الناس؟! يزعمون أنى الدجال، ألستَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّه لايولد به»؟. وقد ولِدَ لى. أليس قد قال: «هو كافر»؟ وأنا مسلم، أو ليس قد قال: «لايدخل المدينة ولا مكة»؟ وقد أقبلتُ من المدينةِ وأنا أريدُ مكة. ثم قال لى فى آخر قوله: أما والله إنى لأعلم مولده ومكانه وأين هو، وأعرف أباه وأمَّه قال: فلبَّسنى، قال: قلت له: تبًا لك سائرَ اليوم. قال: وقيل له : أيسرُّكَ أنك ذاكَ الرجل؟ قال: فقال : لو عُرِض عليَّ ما كرهتُ . رواه مسلم.

٥٤٩٩ - * وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: لقيتُه وقد نَفرَت عينه فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى. قلت لاتدرى وهى فى رأسك؟ قال: إنْ شاءَ الله خلقها فى عصاك. قال: فَنَخَرَ كأشدِّ نخيرِ حمارٍ سمعتُ . رواه مسلم.

الحديث الخامس عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «يزعمون» استئناف كأنه لما قال: «ما لقيت» أىْ أى شىء لقيت من الناس، قال: ماذا تشكو منهم؟ فقال: يزعمون. . . ويجوز أن يكون حالا من فاعل لقيت، يعنى أى شىء لقيت من الناس وإنهم يزعمون كذا، حتى ترددت فى أمرى وشككت فيه، ألست سمعت. . إلخ. ويجوز بفتح التاء على الخطاب، أى أى شىء لقيت أبا سعيد من الناس، و«يزعمون» على هذا بيان، والهمزة مقدرة.

قوله: «فلبسنى» «مح»: هو بالتخفيف أى جعلنى ألتبس فى أمرى وأشك فيه. قوله: «لو عرض على ما كرهت» . «مظ»: يعنى لو عرض على ما جبل فى الدجال من الإغواء والخديعة والتلبيس وغير ذلك لما كرهت بل قبلت، وهذا دليل واضح على كفره.

الحديث السادس عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «وقد نفرت عينه» «مح» هو بفتح النون والفاء، أى ورمت ونتأت. وذكر القاضى عياض وجوها أخر والظاهر أنها تصحيف. «قض» قول ابن صياد «إن شاء الله خلقها فى عصاك» فى جواب قوله: «لاتدرى وهى فى رأسك» إشارة إلى أنه يمكن أن تكون العين بحال لايكون له شعار بحالها، فلم لايجوز أن يكون الإنسان مستغرقًا فى أفكاره بحيث يشغله عن الإحساس بها والتذكر لأحوالها. قوله: «كأشد نخير» صفة مصدر محذوف ، أى نخر نخرة.

٥٥٠٠ - * وعن محمد بن المنكدر، قال: رأيتُ جابر بن عبدالله يحلفُ بالله أنَّ ابنَ الصياد الدجالُ. قلتُ: تحلف بالله؟ قال: إنى سمعتُ عمر يحلِفُ على ذلك عند النبى ﷺ، فلم ينكره النبىُّ ﷺ. متفق عليه.

الفصل الثانى

٥٥٠١ * عن نافعٍ، قال: كان ابنُ عُمرَ يقول: : واللهِ ما أشكُّ أنّ المسيحَ الدجال ابنُ صيَّادٍ. رواه أبو داود، والبيهقى فى «كتاب البعث والنشور».[٥٥٠١]

٥٥٠٢ - * وعن جابر رضى الله عنه. قال: قد فقدنا ابنَ صياد يومَ الحرة. رواه أبو داود. [٥٥٠٢]

٥٥٠٣ - * وعن أبى بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكثُ أبو الدجال ثلاثينَ عامًا، لايولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلامٌ أعورُ أضرَسُ، وأقلُّهُ منفعةً، تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبه». ثم نعت لنا رسول اللهﷺ أبويه فقال: «أبوه طوال ضرب اللحم

الحديث السابع عن محمد: قوله: «سمعت عمر يحلف» لعل عمر أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوة، أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم، لا أنه المسيح الدجال.

الفصل الثانى

الحديث الأول والثانى عن جابر رضى الله عنه: قوله: «يوم الحرة» هو غلبة يزيد بن معاوية على أهل المدينة، ومحاربته إياهم. قيل: هذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة وليس بمخالف.

الحديث الثالث عن أبى بكرة: قوله: «أضرس» «قض»: هو عظيم السن. و«أقله» أى أقل غلام منفعة. و«لاينام قلبه» أى لاتنقطع أفكاره الفاسدة عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقى الشيطان إليه، كما لم يكن ينام قلب النبى ﷺ من كثرة أفكاره الصالحة، بسبب ما تواتر عليه من الوحى والإلهام.

«طوال» بالضم والتخفيف مبالغة طويل، [والمشدد]* أكثر مبالغة. و«الفرضاخية» بكسر الفاء وتشديد الياء الضخمة العظيمة. «فا»: هى صفة بالضخم. وقيل: بالطول والياء مزيدة فيه للمبالغة، كما فى أحمرى.

[٥٥٠١] صحيح أبى داود ٣٦٤١.   [٥٥٠٢] قال الشيخ: أخرجه أبو داود «بسند صحيح».

* من «ك» وتصحفت فى «ط» إلى: «والكشدد».

كأن أنفه منقار، وأمُّه امرأة فِرضاخية طويلة اليدين». فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود، فذهبتُ أنا والزبيرُ بنُ العوام، حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعتُ رسولِ الله ﷺ فيهما، فقلنا: هل لكما ولدٌ؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عامًا، لايولدُ لنا ولد، ثُمَّ وُلِد لنا غلام أعورُ أضرس، وأقلُّه منفعةً، تنامُ عيناه ولا ينام قلبُه. قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو منجدل في الشمسِ في قطيفة، وله هَمْهَمَةٌ ، فكشفَ عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قُلْنا؟ قال: نعم، تنامُ عيناي ولاينامُ قلبي .رواه الترمذي. [٥٥٠٣]

٥٥٠٤ - * وعن جابر ، أنَّ امرأةً من اليهودِ بالمدينة ولَدتْ غلامًا ممسوحةً عينُه طالعةً نابُهُ ، فأشفقَ رسولُ الله ﷺ أن يكونَ الدجالَ، فوجدهَ تحت قطيفة يُهمْهِم: فآذنته أُمُّه فقالت: ياعبدالله !هذا أبو القاسم فَخَرجَ مِنَ القطيفة فقال رسولُ الله ﷺ: ومالها قاتلها الله؟ لو تركته لبيَّن». فذكر مثل معنى حديث ابنِ عمر، فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي يارسول الله! فأقتُلَه فقال رسول الله ، :« إن يكن هو فَلَسْت صاحبَه، إنما صاحبُه عيسى بنُ مريم، وإلا يكن هو فليس لكَ أن تَقتُلَ رجلاً من أهل العهد». فلم يزل رسول الله ﷺ مشفقًا أنه هو الدجال. رواه في «شرح السنة». [٥٥٠٤]

[وهذا الباب خال عن: **الفصل الثالث**]

«نه»: «ضرب اللحم» هو الخفيف اللحم المستدق، وفي صفة موسى عليه السلام أنه ضرب من الرجال. وقوله: «منجدل في الشمس» أي ملقى على الجدالة وهي الأرض، ومنه الحديث: «أنا خاتم الأنبياء في أم الكتاب ولآدم منجدل في طينته»*.

الحديث الرابع عن جابر رضي الله عنه: قوله: «طالعة نابه» هكذا هو في شرح السنة، والظاهر: طالعا نابه، إلا أن يراد به الجنس، والتعدد فيه على التمحل.

قوله: «يهمهم» «نه»: أي كلام خفي لايفهم، وأصل الهمهمة صوت البقر. قوله: «أن يكون» هو خبر اسمه مستكن فيه، وخبره هو، وضع الضمير المرفوع موضع المنصوب وذلك شائع. ويحتمل أن يكون «هو» تأكيدا للمستكن، وخبره محذوف، أي إن يكن هو ذلك الدجال. ويحتمل أن يكون هو مبتدأ وخبره محذوفا والجملة خبر كان.

[٥٥٠٣] انظر ضعيف الجامع (٦٤٦٢)

[٥٥٠٤] انظر شرح السنة ١٥ / ٧٨ ح ٤٢٧٤.

* الحديث أورده الشيخ الألباني في الصحيحة بلفظ «كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد» وصححه، الصحيحة (١٨٥٦)، وصحيح الجامع (٤٥٨١).

(٥) باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الأول

٥٥٠٥ - * عن أبى هُريرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ليوشكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم، حكمًا عَدْلا، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويفيض المال حتى لايقبله أحدٌ، حتى تكونَ السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا ومافيها». ثم يقول أبو هريرة: فاقرءوا إن شئتم: **﴿وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾** (١) الآية. متفق عليه.

٥٥٠٦ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «واللهِ لينزلَنَّ ابنُ مريم حكمًا عادلا، فلَيكسِرنَّ الصليبَ ولَيقتُلَنَّ الخنزير، وليضَعَنَّ الجزيةَ، وليَتركن القلاص، فلا

باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فيكسر الصليب» الفاء فيه تفصيلية: لقوله «حكمًا عدلا». «حس»: يريد بقوله: يكسر الصليب إبطال النصرانية والحكم بشرع الإسلام. ومعنى «قتل الخنزير» تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، وفيه بيان أن أعيانها نجسة؛ لأن عيسى عليه السلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشىء الطاهر المنتفع به لايباح إتلافه. ومعنى «يضع الجزية» أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام. انتهى كلامه. وحتى الأولى متعلقة بقوله: «ويفيض المال»، والثانية غاية لمفهوم قوله: «فيكسر الصليب.. إلخ.

«تو»: لم تزل السجدة الواحدة فى الحقيقة كذلك، وإنما أراد بذلك أن الناس يرغبون فى أمر الله ويزهدون فى الدنيا، حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا ومافيها. قوله: «فاقرءوا إن شئتم» استدل بالآية على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان مصداقا للحديث، وتحريره أن الضميرين فى «به» و«قبل موته» لعيسى بمعنى: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله، فتكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قوله: «وليتركن القلاص» «نه»: هى فى الأصل

---

(١) النساء: ١٥٩

يسمى عليها، ولتذهبنَّ الشحناءُ والتباغُضُ والتحاسدُ، وليَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ». رواه مسلم. وفي رواية لهما قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟».

٥٥٠٧ - * وعن جابرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتزالُ طائفةٌ من أمتى يقاتلون ظاهرين إلى يوم القيامة». قال: «فينزل عيسى بنُ مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء ، تكرمةَ اللهِ هذه الأمة». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن : **الفصل الثانى**

الفصل الثالث

٥٥٠٨ - * عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «ينزلُ عيسى بنُ مريمَ إلى الأرضِ، فيتزوَّجُ، ويولدُ له، ويمكثُ خمسًا وأربعينَ سنةً، ثمَّ يموتُ ، فيُدفَنُ معى فى قبرى، فأقومُ أنا وعيسى بنُ مريمَ فى قبرٍ واحدٍ بين أبى بكرٍ وعمر». رواه ابنُ الجوزى فى «كتاب الوفاء».

جمع قلوص، وهى الناقة الشابة. «مظ»: يعنى ليتركن عيسى عليه السلام إبل الصدقة، ولا يأمر أحدًا أن يسعى عليها ويأخذها؛ لأنه لايجد من يقبلها لاستغناء الناس، والمراد بالسعى العمل.

أقول: ويجوز أن يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب فى الأرض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج إليه لاستغنائهم.

«نه»: «الشحناء» هى العداوة، والتشاحن تفاعل منه. «شف»: إنما تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ؛ لأن جميع الخلق يكونون على ملة واحدة، وهى الإسلام، وأعلى أسباب التباغض وأكثرها هو اختلاف الأديان. قوله: «وإمامكم منكم» «حس»: قال معمر: «وأمكم وإمامكم منكم» وقال ابن أبى ذئب عن ابن شهاب قال ابن أبى ئب فى معناه: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه.

أقول: فالضمير فى« أمكم» لعيسى، و«منكم» حال، أى يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم. ويحتمل أن يكون معنى: «إمامكم منكم» كيف حالكم وأنتم مكرمون عند الله تعالى، والحال أن عيسى ينزل فيكم وعيسى يقتدى بإمامكم، ويشهد له الحديث الآتى.

الحديث الثالث عن جابر رضى الله عنه: قوله: «تكرمة الله» نصب على المفعول لأجله

(٦) باب قرب الساعة وأن من مات
فقد قامت قيامته
الفصل الأول

٥٥٠٩ - * عن شعبةَ، عن قتادة، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ، : «بُعثتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين». قال شعبةُ: وسمعتُ قتادةَ يقولُ فى قَصصِه: كفضلِ إحداهُما على الأخرى، فلا أدرى أذكرَه عن أنس أو قاله قتادةُ؟. متفق عليه.

٥٥١٠ - * وعن جابرٍ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ قبل أنْ يموتَ بشهرٍ: «تسألونى عن الساعة؟ وإنما علمُها عندَ الله، وأقسمُ بالله ماعلى الأرضِ من نفْسٍ منفوسةٍ يأتى عليها مائةُ سنةٍ وهى حيَّةٌ يومئذٍ». رواه مسلم.

والعامل محذوف، والمعنى: شرع الله أن يكون إمام المسلمين منهم وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيما لشأنهم، أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله.

باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته

«تو» : الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبر بها عن القيامة، وقد ورد فى كتاب الله وسنة رسوله على أقسام ثلاث: القيامة الكبرى وهى بعث الناس للجزاء، والقيامة الوسطى وهى انقراض القرن الواحد بالموت، والقيامة الصغرى وهى موت الإنسان. والمراد ها هنا هذه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «والساعة» «مح»: روى بنصب الساعةورفعها. «قض»: معناه: أن نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى. «تو»: ويحتمل وجها آخر، وهو أن يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة، لاتفترق إحداهما عن الأخرى،كما أن السبابة لاتفترق عن الوسطى،ولايوجد بينهما ما ليس [منهما]*.

أقول: يؤيد الوجه الأول الحديث [الآتى]**لمستورد بن[شداد]***. وقوله: «كفضل إحداهما» بدل من قوله: «كهاتين»، وموضح له، وهو يؤيد الوجه الأول، والرفع على العطف، والمعنى: بعثت أنا والساعة بعثا متفاضلا مثل فضل إحداهما، ومعنى النصب لا يستقيم على هذا.

الحديث الثانى عن جابر رضى الله عنه : قوله: «وإنما علمها عند الله» حال مقررة لجهة

---

* فى «ط» «عنهما».
** سقطت من «ط».
*** فى «ط» و«ك» الشداد والصواب بغير «أل» كما فى الإصابة والتهذيب.

٥٥١١ - * وعن أبى سعيدٍ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «لا يأتى مائةُ سنة وعلى الأرضِ نفْسٌ منفوسةٌ اليوم». رواه مسلم.

٥٥١٢ - * وعن عائشةَ، قالت: كانَ رجالٌ من الأعراب يأتونَ النبىَّ ﷺ فيسألونَه عن الساعةِ، فكان ينظرُ إلى أصغرِهم فيقول: «إنْ يعشْ هذا لايدركه الهرمُ حتى تقومَ عليكم ساعتُكم». متفق عليه.

الفصل الثانى

٥٥١٣ - * عن المستوردِ بن شدَّادٍ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «بُعثتُ فى نَفَسِ الساعةِ، فسبقتُها كما سبقَتْ هذِه هذِه» وأشار بأصبعيهِ السبَّابةِ والوسطى. رواه الترمذى. [٥٥١٣]

٥٥١٤ - * وعن سعدِ بن أبى وقاصٍ، عن النبىِّ ﷺ ، قال: «إنى لأرجو أنْ

الإشكال، أنكر عليهم سؤالهم وأكده بقوله: «وإنما علمها عند الله». وقوله: «وأقسم بالله» مقررة له، يعنى تسألونى عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله وما أعلمه هو القيامة الصغرى.

«فا»: المنفوسة المولدة يقال: نفست المرأة ونفست إذا ولدت نفسا فهى نافس ونفساء والولد منفوس؛ قال الشاعر:

كما سقط [المنفوس]* بين القوابل

«شف»: معناه: ما تبقى نفس مولودة اليوم إلى مائة سنة، أراد به موت الصحابة رضى الله عنهم. وقال ﷺ هذا على الغالب، وإلا فقد عاش بعض الصحابة أكثر من مائة سنة.

الحديث الثالث عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «اليوم» هو ظرف منفوسة.

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «عليكم ساعتكم» «قض»: أراد بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم؛ ولذلك أضاف إليهم.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن المستورد: قوله: «فى نفس الساعة» «تو»: نفس بالتحريك لاغير، أراد به قربها، أى حين تنفست، وتنفُسها ظهور أشراطها، وبعثة النبى ﷺ أول أشراطها.

الحديث الثانى عن سعد: قوله: «أن لاتعجز أمتى» عدم العجز كناية عن التمكن من القربة، والمكانة عند الله تعالى. مثال ذلك قول المقرب عند السلطان: إنى لا أعجز أن يولينى الملك كذا وكذا. يعنى به أن لى عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما أرجوه عنده، فالمعنى: إنى أرجو

[٥٥١٣] ضعيف الجامع ٢٣٣٨

* فى «ط» «النفوس» وهو خطأ، والتصويب من اللسان، والمنفوس: المولود، وهذه الكلمة سقطت من «ك».

لاتعجزَ أمتى عندَ ربِّها أن يؤَخرَهم نصفَ يومٍ». قيل لسعْدٍ: وكم نصف يومٍ؟ قال: خمسمائةِ سنة. رواه أبو داود.[٥٥١٤]

الفصل الثالث

٥٥١٥ - * عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثلُ هذه الدُّنيا مثَلُ ثوبٍ شُقَّ منْ أوَّله إلى آخره، فبقى متعلقًا بخيطٍ فى آخرِه، فيوشكُ ذلك الخيطُ أن ينقطعَ». رواه البيهقى فى شعب الإيمان».[٥٥١٥]

(٧) باب لاتقوم الساعة إلا على شرار الناس

الفصل الأول

٥٥١٦ - * عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لاتقومُ الساعةُ حتى لا يقال فى

أن يكون لأمتى عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زمانى هذا إلى انتهاء خمسمائة سنة، بحيث لايكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة.

وإنما فسر الراوى نصف اليوم بخمسمائة نظرا إلى قوله تعالى: «﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض [ثم يعرج إليه]* فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾(٢).

وإنما عبر رسول الله ﷺ عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلا لبغيتهم، ورفعا لمنزلتهم، أى لايناقشهم فى هذا المقدار القليل، بل يزيدهم من فضله. وقد وهم بعضهم ونزل الحديث على أمر القيامة، وحمل اليوم على يوم المحشر، فهب أنه غفل عما حققناه ونبهنا عليه، فهلا انتبه لمكان الحديث وأنه من أى باب من أبواب الكتاب فإنه مكتوب فى باب قرب الساعة، فأين هو منه ، فقوله: «أن لاتعجز» مفعول أرجو، و«أن يؤخرهم » من صلة العجز، وحذف عنه« عن» والله أعلم.

باب لاتقوم الساعة إلا على شرار الناس

هذه الجملة محكية مضاف إليها ترجمة الباب وهو من باب تسمية الشيء بالجمل على سبيل الحكاية؛ كما سموا: تأبط شرا، وبرق نحره، وشاب قرناها، وكما لو سمى بـ «زيد منطلق» أو بـ «بيت شعر».

[٥٥١٤] صحيح الجامع ٢٤٨١ — [٥٥١٥] صحيح الجامع ٥٦٢٥٥

(١) الحج: ٤٧ — (٢) السجدة: ٥.

* سقطت من «ط».

الأرض: اللهُ اللهُ». وفى رواية قال: «لا تقوم الساعةُ على أحدٍ يقولُ: اللهُ الله».
رواه مسلم.

٥٥١٧ - * وعن عبدِالله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاتقومُ الساعةُ إلا على شرارِ الخلقِ». رواه مسلم.

٥٥١٨ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاتقومُ الساعةُ حتى تضطربَ أَلياتُ نساءِ دوْس حولَ ذى الخلَصةِ». وذو الخلَصةِ: طاغيةُ دوسٍ التى كانوا يعبدُونَ فى الجاهلية. متفق عليه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «حتى لايقال» أى حتى لايذكر اسم الله ولا يعبد، وإليه ينظر قوله تعالى: ﴿**ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا**﴾(١) يعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة، بل خلقته لتذكر فيها وتعبد. فإذا لم يذكر ولم يعبد فيها فبالحرى أن [يخرب]* فتقوم الساعة.

«مظ» هذا دليل على أن بركة العلماء والصلحاء تصل إلى من فى العالم من الإنس والجن وغيرهما من الحيوانات والجمادات.

الحديث الثانى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: قوله: «لاتقوم الساعة» الحديث فإن قيل: ما وجه التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق: «لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

قلنا: السابق مستغرق للأزمنة عام فيها، والثانى مخصص له، كما [سينبئ] عليه حديث عبدالله بن عمر بعيد هذا.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أليات نساء دوس» هى جمع ألية، وهى فى الأصل اللحمة التى تكون فى أصل العضو. «نه»: الخلصة هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم. وقيل: ذو الخلصة الكعبة اليمانية التى كانت باليمن، فأنفذ إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله فخربها. وقيل: ذو الخلصة اسم الصنم نفسه، وفيه نظر؛ لأن ذو لايضاف إلا إلى اسم الجنس، والمعنى: أنهم يرتدون إلى جاهليتهم فى عبادة الأوثان، فتسعى نساء دوس طائفات حول ذى الخلصة، فترتج أعجازهن.

---

(١) آل عمران: ١٩١

* فى «ك» «يحرق».

٥٥١٩ - * وعن عائشة، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لايذهبُ الليلُ والنهارُ حتى يُعبدَ اللاّتُ والعُزَّى». فقلتُ: يارسولَ الله! إنْ كنتُ لأظنُّ حينَ أنزلَ اللهُ: ﴿هو الذى أرسلَ رسولَه بالهُدى ودين الحق ليُظْهرَه على الدِّين كله ولو كرهَ المشركون﴾ أنَّ ذلكَ تامًا . قال: «إنَّه سيكونُ منْ ذلكَ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ يبعثُ اللهُ ريحًا طيبةً، فتُوفى كلُّ من كانَ فى قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمان، فيبقى مَن لاخيرَ فيهِ، فيرجعونَ إلى دِين آبائهم». رواه مسلم.

٥٥٢٠ - * وعن عبدالله بن عَمْرو، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «يخرجُ الدَّجالُ فيمكثُ أربعينَ» لا أدرى أَربعينَ يومًا أو شهرًا أو عـامًا «فيبعثُ الله عيسى بنَ مريم كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ ، فيطلبُه فيهلكُه ، ثمَّ يمكثُ فى الناسِ سبع سنين، ليسَ بينَ اثنينِ عداوةٌ، ثمَّ يرسِلُ اللهُ ريحًا باردةً من قبل الشامِ، فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ فى قلبه مثقالُ ذرَّةٍ منْ خيرٍ أو إيمان إلا قبضتْه، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ فى كبدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه» قال: «فيبقى شرارُ الناس فى خفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرفونَ معروفًا، ولاينكرونَ منكرًا، فيَتَمثَّل لهمُ الشيطانَ، فيقول: ألا

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «إن كنت لأظن» إن هى المخففة من الثقيلة، واللام هى الفارقة. وقوله: «تاما» هو بالرفع فى الحميدى على أنه خبر إن، وفى صحيح مسلم وشرح السنة: بالنصب. فعلى هذا هو إما حال والعامل اسم الإشارة، والخبر محذوف، أو خبر لكان المقدر، أى ظنت من مفهوم الآية أن ملة الإسلام ظاهرة على الأديان كلها، غالبة عليها غير مغلوبة، فكيف تعبد اللات والعزى؟.

وجوابه ﷺ بقوله: «فتوفى كل من كان فى قلبه» نظيره قوله ﷺ : «إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا»*.

الحديث الخامس عن عبدالله: قوله: «لا أدرى أربعين يوما» «تو»: «لا أدرى» إلى قوله: «فيبعث الله عيسى»، من قول الراوى، أى لم يزدنى على أربعين شيئا يبين المراد منها، فلا أدرى أيا أراد به من هذه الثلاثة، وكبد الشيء وسطه ، ومنه كبد السماء.

قوله: «فى خفة الطير» «الشيء»: المراد بخفة الطير اضطرابها ونفرها بأدنى توهم ، شبه حال الأشرار فى تهتكهم، وعدم وقارهم، وثباتهم، واختلال رأيهم، وميلهم إلى الفجور والفساد، بحال الطير. قوله: «إلا أصغى ليتا» «تو»: أى أمال صفحة عنقه، والمراد منه ها هنا

---

* صحيح أخرجه أحمد ولترمذى وابن ماجه عن ابن عمر. وانظر صحيح الجامع (١٨٥٤).

تستجيبون؟ فيقولونَ: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلكَ دارٌ رزقُهم، حسَنٌ عيشُهم، ثمَّ يُنفخُ في الصور، فلا يسمعُه أحدٌ إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا» قال: «وأولُ من يسمعُه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبله، فيصعقُ ويصعقُ النَّاسُ، ثمَّ يُرسلُ الله مطرًا كأنَّه الطلُّ، فينبُتُ منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنفخُ فيهِ أخرى فإذا هُم قيامٌ ينظرونَ، ثمَّ يقالُ: يأيُّها الناسُ! هَلُمَّ إلى ربكم، وقفوهُم إنَّهم مسئولونَ. فيقالُ أخرِجوا بعثَ النارِ. فيقال: من كم؟ فيقال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ» قال: «فذلك يوم يجعلُ الولدانَ شيبًا، وذلك يومَ يُكشفُ عن ساقٍ». رواه مسلم.

وذكر حديث معاوية: «لاتنقطعُ الهِجرة» في «باب التَّوبة».

أن السامع يصعق، فيصغى ليتا ويرفع ليتا، وكذا شأن من يصيبه صيحة، فيشق قلبه، فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين، فأسند الإصغاء إليه إسناد الفعل الاختيارى.

قوله: «وقفوهم» عطف على قوله تعالى على سبيل التقدير ، أى يقال للناس: هلم ويقال للملائكة: وقفوهم، وفى بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستئناف.

قوله: «بعث النار» أى مبعوثها فيقال: «من كم» أى يسأل المخاطبون [عن]* كمية العدد البعوث إلى النار، فيقولون : كم عددا نخرجه من كم عدد. فيقال لهم: أخرجوا من كل ألف تسعمائة [وتسعة]** وتسعين . قوله: ﴿**يوم يجعل الولدان**﴾[1]يحتمل أن يكون يوم مرفوعًا ، ويجعل الولدان صفة له، فيكون الإسناد مجازيا، وأن يكون مضافا مفتوحا، فيكون الإسناد حينئذ حقيقيا، والأول أبلغ وأوفق لما ورد فى التنزيل.

قوله: «يوم يكشف عن ساق» «خط»: هذا مما هاب القول فيه شيوخنا، وأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل مالا يحيط [العلم]*** بكنهه من هذا الباب. أما من تأوله فقال: ذاك يوم يكشف عن شدة عظيمة وأمر فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهابها وذهاب الدنيا، ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه: كشف عن ساقه، وهذا جائز فى اللغة، وإن لم يكن للأمر ساق. والله أعلم بالصواب.[1]

---

(١) قلت: قد ثبت في السنة أنها ساق الرحمن جل وعلا، فوجب المصير إلى هذا التفسير، وهذا الذى عليه أئمة السلف، والقول فى الساق كالقول فى سائر الصفات بأن تثبت من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

* فى «ط» و«ك» : «من».

** فى «ط» : «وتسع».

*** سقطت من «ط».

كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق

(١) باب النفخ فى الصور

الفصل الأول

٥٥٢١ ـ * عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ النَّفختين أربعونَ» قالوا: يا أبا هريرةَ! أربعونَ يومًا؟ قال: أبيتُ. قالوا: أربعونَ شهرًا؟ قال: أبيتُ. قالوا: أربعونَ سنةً؟ قال: أبيتُ «ثمَّ يُنزلُ الله منَ السَّماء ماءً فينبتون كما ينبتُ البقلُ» قال: «وليسَ من الإنسانِ شىءٌ لا يَبْلى إلاَّ عظمًا واحدًا، وهوَ عَجْبُ الذَّنبِ، ومنه يُركَّب الخلقُ يومَ القيامةِ». متفق عليه. وفى رواية لمسلم، قال: «كلُّ ابنِ آدم يأكلُه الترابُ إلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خُلِقَ، وفيهِ يُركَّبُ».

كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق

باب النفخ فى الصور

نه: هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى إلى الحشر.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «أبيت» «قض»: أى لا أدرى أن الأربعين الفاصل بين النفختين أى شىء: أيامًا، أو شهورًا، أو أعوامًا، وأمتنع عن الكذب على النبى ﷺ والإخبار عما لا أعلم.

قوله: «إلا عظمًا» قيل: هو منصوب لأنه استثناء من موجب، لأن قوله: «ليس شىء من الإنسان لا يبلى إلا عظمًا» نفى النفى، ونفى النفى إثبات، فيكون تقديره: كل شىء منه يبلى إلا عظمًا فإنه لا يبلى.

ويحتمل أن يكون منصوبًا على أنه خبر «ليس» لأن اسمه موصوف، كقولك: ليس زيد إلا قائمًا.

وقوله: «عجب الذنب» هو بفتح العين وإسكان الجيم، وهو العظم بين الألتين يقال: إنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى، ويقال له: «العجم» أيضًا.

«مظ»: المراد طول بقائه لا أنه لا يبلى أصلا فإنه خلاف المحسوس، وأنه ورد: «أول ما يخلق وآخر ما يبلى» والحكمة فيه أنه قاعدة بدن الإنسان وأسه الذى يبتنى عليه، فبالحرى أن

٥٥٢٢ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقبضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ، ويطوى السَّماءَ بيَمينهِ، ثمَّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ مُلوكُ الأرض؟» متفق عليه.

٥٥٢٣ - * وعن عبدالله بنِ عُمر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يطوى اللهُ السموات يوم القيامةِ، ثمَّ يأخذُهنَّ بيده اليُمنى، ثمَّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبّارونَ؟ أينَ المتكبّرونَ؟ ثمَّ يطْوى الأرَضينَ بشماله - وفى رواية: يأخذهنَّ بيدهِ الأخرى - ثم يقولُ: أنا الملكُ، أين الجبَّارونَ؟ أينَ المتكبرونَ؟». رواه مسلم.

٥٥٢٤ - * وعن عبدالله بن مسعودٍ، قال: جاء حَبْرٌ منَ اليهودِ إلى النبىِّ ﷺ، فقال: يا محمَّدُ! إنَّ اللهَ يُمسكُ السَّماواتِ يومَ القيامةِ على أصبعٍ، والأرضينَ على أصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على أصبعٍ، والماءَ والثَّرى على أصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على

يكون أصلب من الجميع كقاعدة الجدار وأسه، وإذا كان أصلب كان أطول بقاء.

«مح»: هذا خصوص، فيخص منه الأنبياء عليهم السلام فإن الله حرم على الأرض أجسادهم كما صرح به فى الحديث.

الحديث الثانى والثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «يقبض الله الأرض يوم القيامة» «قض»: عبر عن إفناء الله تعالى هذه المظلة والمقلة ورفعهما من البين وإخراجهما من أن يكونا مأوى ومنزلا لبنى آدم بقدرته الباهرة التى تهون عليها الأفعال العظام التى تتضاءل دونها القوى وتتحير فيها الأفهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل، وأضاف فى الحديث الذى يليه طى السموات وقبضها إلى اليمين، وطى الأرض على الشمال تشبيها وتخييلا لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل.

التوربشتى: اعلم أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الحدوث وصفة الأجسام، وكل ما ورد فى القرآن والأحاديث فى صفاته مما ينبىء عن الجهة والفوقية والاستقرار والإتيان والنزول، فلا نخوض فى تأويله، بل نؤمن بما هو مدلول تلك الألفاظ على المعنى الذى أراده الله سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية.

الحديث الرابع عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه:

قوله: «يمسك السموات يوم القيامة على أصبع» التوربشتى: السبيل فى هذا الحديث أن يحمل على نوع من المجاز، أو ضرب من التمثيل، والمراد منه تصوير عظمته، [والتوقيف]* على جلالة شأنه، وأنه سبحانه يتصرف فى المخلوقات تصرف أقوى قادر على أدنى مقدور،

---

* من «ك» وفى «ط»: «التوفيق».

أصبعٍ، ثمَّ يهزُّهنَّ فيقولُ: أنا الملكُ، أنا اللهُ. فضحكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا ممَّا قال الحَبرُ تصديقًا له. ثمَّ قرأ: ﴿وما قدَروا اللهَ حقَّ قدْره والأرضُ جميعًا قبضتُه يومَ القيامةِ والسَّماواتُ مطويَّاتٌ بيَمينه سبُحانه وتعالى عمَّا يَشركونَ﴾[1]. متفق عليه.

تقول العرب فى سهولة المطلب وقرب [المتناول ووفور]* القدرة وسعة الاستطاعة: هو منى على حبل الذراع، وإنى أعالج ذلك ببعض كفى، واستقله بفرد إصبع، ونحو ذلك من الألفاظ، استهانة بالشيء واستظهاراً فى القدرة عليه، والمتورع عن الخوض فى تأويل أمثال هذا الحديث فى فسحة من دينه، إذا لم ينزلها فى ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس.

قوله: «فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا» الكشاف: إنما ضحك أفصح العرب وتعجب؛ لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك، ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التى تتحير فيها الأذهان، ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هونًا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة فى مثل هذه الطريقة من التخييل، ولا ترى بابًا فى علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطى المتشابهات من كلام الله فى القرآن وسائر كتب الله السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره وغلبته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديمًا، وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن فى عداد العلوم الدقيقة علمًا لو قدروه حق قدره لما خفى عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه، وعيال عليه، إذ لا يحل عقدها المؤذية، ولا يفك قيودها المكربة إلا هو، وكم من آية من آيات التنزيل، وحديث من أحاديث الرسول ﷺ قد ضيم وسيم بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة؛ لأن من تأويل ليس من هذا العلم فى عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلا من دبير، وأنا أتعجب من مثل الشيخ التوربشتى رحمه الله، مع جلالته ووقوفه على هذا الأسلوب الغريب والفن العجيب كيف ينقل كلام الخطابى وإطنابه فى الطعن على هذا الحديث المقطوع بصحته ثمَّ نصره بحديث ليس فى منزلته، مع أنه محتمل ويتفق مع من يتجاسر على الطعن على أولئك السادة والتقاة الثقات المتقنين مع ما بلغ هذا الحديث الدرجة القصيا فى الصحة، وذهب الشيخ بقية السلف خاتم المحدثين «ابن الصلاح» إلى أن ما اتفق عليه الشيخان بمنزلة المتواتر[2] ـ عفا الله عنا وعنه.

---

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) يشير إلى قول ابن الصلاح فى علوم الحديث: «وهذا القسم ـ أى المتفق عليه ـ مقطوع بصحته والعلم اليقينى النظرى واقع به» [علوم الحديث: ٢٢٠ بتحقيق د. نور الدين عتر]. ووافقه على ذلك عدد من الحفاظ أمثال: البلقينى، وابن حجر، وابن كثير، والسيوطى. وانظر [تدريب الراوى: ١/ ١٠٤ ـ ١٠٦ بتحقيق د. أحمد عمر هاشم]. أ.هـ مصحح (ط) وما أشار إليه صحيح، ولو وقف العلم اليقيني علي المتواتر لما كان لنا من اليقين شئ ذا بال من سنة الحبيب محمد ﷺ.

* فى «ط»: «التناول ووفرة».

٥٥٢٥ ـ * وعن عائشةَ، قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن قولِه: (يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسَّماوات)(١)، فأينَ يكونُ الناسُ يومئذ؟ قال: «على الصراطِ». رواه مسلم.

٥٥٢٦ ـ * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمسُ والقمرُ مكوّران يوم القيامة». رواه البخارى.

الحديث الخامس عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: ﴿يوم تبدل الأرض﴾(١) معناه: يوم تبدل هذه الأرض التى تعرفونها أرضًا أخرى غير هذه، وكذلك السماوات. والتبديل: التغيير، وقد يكون فى الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنانير، وفى الأوصاف كقولك: بدلت الحلقة خاتمًا ـ إذا أذبتها وسويتها خاتمًا ـ واختلف فى تبديل الأرض والسماوات، فقيل: تبدل أوصافها فتسير على الأرض جبالها، وتفجر بحارها، وتجعل مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا. وتبدل السماوات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها، وخسوف قمرها.

وقيل: يخلق بدلها أرضًا وسماوات أخر، وعن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما: «ويحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة».

والظاهر من قولها أنها فهمت من التبديل تغيير الذات، فلهذا سألت: «فأين يكون الناس يومئذ؟» وكذا من جوابه ﷺ: «على الصراط» المعهود عند المسلمين أو جنس الصراط.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «الشمس والقر مكوران» «تو»: يحتمل أنه من التكوير الذى هو بمعنى اللف، والجمع، أى يلف، صورهما لفًا يُذهب انبساطها فى الآفاق.

ويحتمل أن يراد به رفعها؛ لأن الثواب إذا طوى رفع.

ويحتمل أن يكون من قوله: «طعنه فكوره» إذا ألقاه، أى لقيان فلكهما، وهذا التفسير أشبه بنسق الحديث لما فى بعض طرقه: «مكوران فى النار» فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار لاسيما عباد الأنوار، ولا يعذبان فى النار فإنهما بمعزل عن التكليف، بل سبيلهما فى النار سبيل نفسها، وسبيل الملائكة الوكيلين بها.

---

(١) إبراهيم: ٤٨.

الفصل الثانى

٥٥٢٧ ـ * عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحبُ الصور قد التقمه وأصغى سمعه، وحنى جبهته يَنْتظرُ متى يؤمرُ بالنفخِ؟». فقالوا: يا رسول اللهِ! وما تأمرنا! قال: «قولوا: حسبُنا اللهُ ونعِمَ الوكيل». رواه الترمذى. [٥٥٢٧]

٥٥٢٨ ـ * وعن عبدالله بن عَمْرو، عن النبى ﷺ قال: «الصورُ قرنٌ ينفخُ فيه». رواه الترمذى، وأبو داود، والدارمى. [٥٥٢٨]

الفصل الثالث

٥٥٢٩ ـ * عن ابن عبَّاس، قال فى قوله تعالى: (**فإذا نُقر فى النَّاقور**)(١): الصور قال: و(**الراجفة**)(٢): النفخة الأولى، و(**الرادفة**)(٢): الثانية. رواه البخارى فى ترجمة بابٍ.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، والثانى عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما:

قوله: «كيف أنعم؟» «نه»: النَعمة بالفتح، وهى المسرة والفرح والترفه.

«قض»: معناه: كيف يطيب عيشى وقد قرب أن ينفخ فى الصور؟ فكنى عن ذلك بأن صاحب الصور وضع رأس الصور فى فمه وهو مترصد مترقب لأن يؤمر فينفخ فيه، والله أعلم.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «والراجفة» الواقعة التى ترجف عندها الأرض والجبال، وهى النفخة الأولى، وصفت بما يحدث بحدوثها.

«والرادفة» الواقعة التى تردف الأولى، وهى النفخة الثانية.

[٥٥٢٧] صحيح الجامع بنحوه ٤٥٩٢.

[٥٥٢٨] صحيح الجامع ٣٨٦٣.

(١) المدثر: ٨.

(٢) النازعات: ٦, ٧ وهما بتما مهما: «يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة».

٥٥٣٠ ـ * وعن أبي سعيد، قال: ذكرَ رسولُ الله ﷺ صاحبَ الصُّور، وقال: «عن يمينه جبريل، وعن يساره ميكائيل».

٥٥٣١ ـ * وعن أبي رَزين العقيلي، قال: قلتُ: يا رسول الله! كيف يُعيدُ الله الخلقَ؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أما مررتَ بوادي قومكَ جَدْبًا ثم مررتَ به يهتز خَضِرًا؟». قلت: نعم، قال: «فتلك آيةُ اللهِ في خلقه، (**كذلك يحيي اللهُ الموتى**)[(١)]». رواهما رزين.

(٢) باب الحشر

الفصل الأول

٥٥٣٢ ـ * عن سهل بن سعد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُحشرُ النَّاسُ يومَ

الحديث الثاني والثالث عن أبي ذر رضي الله عنه:

قوله: «يهتز خضرًا» جملة حالية، و«خضرًا» نصب على التمييز، **استعار** الاهتزاز لأشجار الوادي تصويرًا لحسنها وبهجتها، ويقال: اهتز فلان فرحًا، أي خف له، وكل من خف لأمر وارتاح له فقد اهتز له.

قوله: «فتلك آية الله في خلقه» أي: في المخلوقات، أي ليس فرق بين إنشاء الخلق وإعادتهم، والتشبيه في قوله: ﴿**كذلك يحيي الله الموتى**﴾[(١)] **بيان للتسوية** نحو قوله تعالى: ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾[(٢)] أي بكل خلق عن الإنشاء والإعادة عليم، ونظير هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى: ﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير**﴾[(٣)] يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم، وهو على كل شيء من المقدرات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

باب الحشر

الفصل الأول

الحديث الأول عن سهل بن سعد:

---

(١) البقرة: ٧٣. (٢) يس: ٧٩.

(٣) الروم: ٥٠.

القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراء، كَقُرصَةِ* النقْى ليس فيها عَلَم لأحدٍ». متفقٌ عليه.

٥٥٣٣ ـ * وعن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خبزةً واحدةً، يتكفَّؤها الجبَّار بيده كما يتكفَّأ أحَدُكُم خُبْزَتَه فى السفر نُزُلا

قوله: «عفراء» «قض»: الأعفر الأبيض الذى لا يخلص بياضه ولا يشتد، والعفرة: لون الأرض.

وقوله: «كقرصة النقى» تشبيه بها فى اللون والشكل دون القدر، والنقى: الدقيق المنخول المنظف الذى يتخذ منه الحوارى.

«ليس فيها علم لأحد» أى علامة، يريد به الأبنية، معناه أنها تكون قاعًا لا بناء فيها. أقول: ولعل الظاهر أن ذلك تعريض بأرض الدنيا، وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها أعلم عليها، على نحو قوله تعالى: ﴿**لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار**﴾(١).

الحديث الثانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه:

قوله: «يتكفؤها» «مح»: يتكفؤها بالهمز أى: يقلبها ويميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوى لأنها ليست مبسوطة كالرقاقة ونحوها. وفى نسخ مسلم: «يكفؤها» بالهمز.

و«الخبزة» هى الطلمة التى توضع فى الملة.

ومعنى الحديث: أن الله يجعل الأرض كالطلمة والرغيف العظيم، ويكون ذلك طعامًا نزلا لأهل الجنة، والله على كل شىء قدير.

«تو»: أرى الحديث مشكلاً جدًا، غير مستنكر شيئًا من صنع الله تعالى وعجائب فطرته، بل لعدم التوفيق الذى يكون موجبًا للعلم فى قلب جرم الأرض من الطبع الذى عليه إلى طبع المطعوم والمأكول، مع ما ورد من الآثار المنقولة أن هذه الأرض برها وبحرها يمتلئ نارًا فى النشأة الثانية، وتنضم إلى جهنم. فنرى الوجه فيه أن نقول: معنى قوله: «خبزة واحدة» أى كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا، وهو مثل ما فى حديث سهل به سعد: «كقرصة النقى» وإنما ضرب المثل بقرصة النقى لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا، وفى هذا الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الأرض هيئة وشكلا ومساحة، فاشتمل الحديث على معنيين:

أحدهما: بيان الهيئة التى تكون الأرض عليها يومئذ.

والآخر: بيان الخبزة التى يهيِّئها الله تعالى نزلا لأهل الجنة، وبيان عظم مقدارها إبداعًا واختراعًا من القادر الحكيم الذى لا يعجزه أمر ولا يعوزه شىء.

---

(١) غافر: ١٦.

* أى الرغيف.

لأهلِ الجنةِ». فأتى رجلٌ من اليهود. فقال: باركَ الرحمنُ عليكَ يا أبا القاسم! ألا أُخبرُك بِنُزُلِ أهل الجنةِ يومَ القيامةِ؟ قال: «بلى». قال: تكونُ الأرضُ خُبْزَةً واحدة، كما قال النبي ﷺ. فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بَدَتْ نواجذُه، ثم قال*: ألا أُخبرك بإدامهم؟ بالامُ والنون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثورٌ ونونٌ، يأكل من زائدة كبدهما سبعونَ ألفًا. متفق عليه.

أقول: إنما دخل عليه الإشكال لأنه رأى الحديث مذكورًا فى باب الحشر، وبعد قوله: «كقرصة النقى» حيث ظن أنه كحديث «سهل بن سعد»، وإنما هو من باب وهذا من باب، لأن صاحب جامع الأصول ذكر الحديث الثانى ـ كما فى متن المشكاة ـ بتمامه فى «باب ذكر أهل الجنة»، والحديث الأول فى «باب الحشر»، فإذن لا إشكال فى الحديث، وأيضا لا يستدعى **التشبيه** المشاركة بين **المشبه والمشبه به** فى جميع الأوصاف، بل لو حصل **التشبيه** فى بعض الأوصاف لكفى، وتقريره: أنه ﷺ شبه أرض الحشر بالخبز النقى فى الاستواء والبياض، روى فى تفسير **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾**(١) عن الضحاك: «أرضا من فضة بيضاء كالصحائف» وكذا عن على رضى الله عنه شبه أرض الجنة فى كونها نزلا لأهلها ومهيَّأة لهم تكرِمة بعجالة الراكب زادًا له يتقنع بها فى سفره ذاك فحسب، وإليه أشار القاضى بقوله: لم يرد بذلك أن جرم الأرض ينقلب خبزة فى الشكل والطبع، وإنما أراد به أنها تكون حينئذ بالنسبة إلى ما أعد الله لأهل الجنة كقرصة نقى يستعجل المضيف بها نزلا للضيف، وتعريف الأرض فى الحديث كتعريفها فى قوله تعالى: **﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾**(٢) قال ابن عباس رضى الله عنه: هى أرض الجنة.

فإن قلت: كيف ينطبق على هذا التأويل قول اليهودى: «ألا أخبرك بإدامهم بالام والنون؟».

قلت: هو وارد على سبيل الاستطراد إثباتًا **للمشبه به لا للمشبه**، كما فى قوله تعالى: **﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا﴾**(٣).

الكشاف: ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه: **﴿ومن كلٍ﴾** أى: ومن كل واحد منهما **﴿تأكلون لحمًا طريًا﴾** وهو: السمك **﴿وتستخرجون حلية﴾** هو: اللؤلؤ والمرجان، وفيه

---

(١) إبراهيم: ٤٨. (٢) الأنبياء: ١٠٥.
(٣) فاطر: ١٢.
* أى اليهودى.

٥٥٣٤ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ النَّاسُ على ثلاث طرائق: راغبين، راهبين، واثنانِ على بعيرٍ، وثلاثةٌ على بعيرٍ، وأربعةٌ على بعيرٍ،

أن النزل التام هو الجنة، كما كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها، والكرامة التامة هى اللقاء وحلول الرضوان، رزقنا الله وإيَّاكم النعمة العظمى.

«بالام والنون» أما النون: فهو الحوت باتفاق العلماء.

وأما بالام: فبباء موحدة مفتوحة، وتخفيف اللام، وميم منونة مرفوعة، وفى معناه أقوال، الصحيح منها ما اختاره المحققون أنها لفظة عبرانية معناها بالعبرانية «الثور» وفسر اليهودى به، ولو كانت عربية لعرفتها الصحابة ولم يحتاجوا إلى سؤاله عنها.

وأما قوله: «يأكل منها سبعون ألفًا» قال القاضى عياض: إنهم السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب فخصوا بأطيب النزل.

ويحتمل أنه عبر به عن العدد الكثير ولم يرد الحصر فى ذلك القدر، وهذا معروف فى كلام العرب، والله أعلم.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يحشر الناس على ثلاث طرائق» «خط»: الحشر المذكور فى هذا الحديث إنما يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام، فأما الحشر بعد البعث من القبور فإنه على خلاف هذه الصورة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها، وإنما هو على ما ورد فى الحديث أنهم يبعثون حفاة عراة. وفسر «ثلاثة على بعير وأربعة على بعير» على أنهم يعتقبون بالبعير الواحد يركب بعضهم ويمشى بعضهم.

«تو»: قول من يحمل الحشر على الحشر الذى هو بعد البعث من القبور أشد وأقوى وأشبه بسياق الحديث من وجوه، إحداها: أن الحشر على الإطلاق فى متعارف الشرع لا يراد منه إلا الحشر الذى بعد قيام الساعة، إلا أن يخص بنوع من الدليل، ولم نجده هاهنا.

والآخر: أن التقسيم الذى ذكر فى هذا الحديث لا يستقيم فى الحشر إلى أرض الشام، لأن المهاجر إليها لابد أن يكون راهبًا راغبًا، أو راغبًا راهبًا، فأما أن لا يكون راغبًا وراهبًا وتكون هذه طريقة واحدة لا ثانى لها من جنسها فلا.

والثالث: أن حشر (النار)* بقية الطائفتين على ما ذكره فى هذا الحديث إلى أرض الشام والتزامها بهم حتى لا تفارقهم فى مقيل، ولا مبيت، ولا مساء ولا صباح قول لم يرد به التوقيف، ولم يكن لنا أن نقول بتسليط النار على أولى الشقاوة فى هذه الدار من غير توقيف.

والرابع ـ وهو أقوى الدلائل وأوثقها: ـ ما روى عن أبى هريرة، وهو فى الحسان من هذا الباب: ـ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف.. الحديث».

---

* أى أن النار تخرج وتدفع الناس إلى المحشر.

وعشرةٌ على بعيرٍ، وتحشرُ بقيتَهم النارُ. تقيلُ معهم حيث قالوا: وتبيتُ معهم حيث

وأما ما ذكر من بعث الناس حفاة عراة فلا تضاد بين القضيتين، لأن إحداهما حالة البعث من المنشر، والأخرى حالة السوق إلى المحشر، ونرى التقسيم الذى جاء به الحديث التقسيم الذى جاء به التنزيل، قال الله تعالى: ﴿**إذا رجت الأرض رجًّا وبست الجبال بسًّا فكانت هباءً منبثًّا، وكنتم أزواجًا ثلاثة...**﴾[1] الآيات.

فقوله: «راغبين راهبين» يريد به عوام المؤمنين، وهم ذو الهيئات الذين يترددون بين الخوف والرجاء بعد زوال التكليف، فتارة يرجون رحمة الله لإيمانه، وتارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيئات، وهم أصحاب الميمنة فى كتاب الله عز وجل، على ما جاء فى الحديث الذى رواه أيضًا أبو هريرة رضى الله عنه ـ وهو من الحسان من هذا الباب.

وقوله: «اثنان على بعير..» فالمراد منه أولوا السابقة من أفاضل المؤمنين وهم السابقون.

وقوله: «يحشر بقيتهم النار» يريد به أصحاب المشأمة.

فهذه ثلاث طرائق. وحملهم على الصفة المذكورة فى الحديث يحتمل وجهين:

إما الحمل دفعة واحدة، تنبيها على أن البعير المذكور يكون من بدائع فطرة الله كناقة صالح عليه السلام فيقوى على ما لا يقوى عليه غيره من البعير.

وإما الحمل على سبيل الاعتقاب.

فإن قيل: فلم لم يذكر من السابقين من ينفرد بفرد مركب لا يشاركه فيه أحد؟

قلنا: لأنه عرف أن ذلك حقٌّ مجعول لمن فوقهم فى المرتبة من أنبياء الله، ليقع الامتياز بين النبيين والصديقين فى المراكب كما وقع فى المراتب.

أقول: ولناصر ما ذهب إليه أبو سليمان الذي يجيب عن الوجه الأول ويقول: لا نسلم أن الحشر المذكور يراد به فى القيامة، لقوله: «يحشر بقيتهم النار» فإن النار هى الحاشرة، فلو أريد ذلك المعنى لقيل: «إلى النار»، ولقوله: «تقيل معهم حيث قالوا:» فإنه **جملة مستأنفة** بيان للكلام السابق، فإن الضمير فى «تقيل» راجع إلى النار الحاشرة وهو من **الاستعارة المصرحة التبعية**، فيدل على أن النار لم يرد بها النار الحقيقية بل هى نار الفتنة، كما قال الله تعالى: ﴿**كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله**﴾[2] ، ولأن هذه القيلولة والبيتوتة هى المرادة فى قوله: «ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم.. إلى قوله: «تحشرهم النار مع

(١) الواقعة: ٤:٥:٦:٧.

(٢) المائدة: ٦٤.

باتوا، وتصبح معهم حيث أصبَحُوا، وتمسي معهم حيث أمسوا». متفق عليه.

القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا»* وسيجيء بيانه، وقال عليه الصلاة والسلام: «ستخرج نار من بحر خضر موت ـ أو حضر موت ـ تحشر الناس، قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام» قال الشيخ التوربشتي: ويحتمل أن النار تكون رأى عين وهو الأصل، وأنها فتنة عبر عنها بالنار.

وعن الثانى: أن التقسيم الذى ورد فى الحديث مستقيم، والمورد غير ما أخذه، وذلك لأنه وارد على القصد للخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة وسبق سار على فسحة من الظهر والزاد رغبة فيما يستقبله ورهبة مما يستدبره، ومن أبطأ حتى ضاق عليه الوقت سار راهبًا على ضيق من الظهر، فيتعاقب اثنان على بعير إلى عشرة، ومن كره الله انبعاثهم فثبطهم فوقع فى ورطة لا خلاص له ولا مناص، يقيل مع الفتنة حيث قالت، فعلى هذا لا يفتقر إلى عذر أنه ﷺ لم يذكر واحدًا على بعير لأن السابقين هم الراكبون على بعير بعير، وكيف يساق السابقون عشرة على بعير؟! وسنقرر هذا المعنى بعيد هذا.

وعن الثالث: أنه ورد التوقيف، فكيف والحديث يدل عليه؟ وكذا حديث «حضر موت»، وحديث «الشام» على ما سبق.

وعن الرابع: أن الحديث الذى ورد فى الحسان لا يطابق هذا! وليت شعرى كيف ينزل قوله «اثنان على بعير..» إلى آخره على قوله «.. وصنفًا ركبانًا»؟ لأن المراد بالركبان السابقون المتقون فى قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾(١) والمراد سوق مراكبهم إسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل من يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، ويستبعد أن يقال: يجيء وفد الله تعالى عشرة على بعير جمعًا أو متعاقبًا، فعلى هذا الطرائق الثلاث حالهم فى الدنيا كذا، والأصناف الثلاثة حالهم فى العقبى كذا، يدل عليه قول الشيخ محيى الدين فى شرح مسلم: قال العلماء: هذا الحشر فى آخر الدنيا قبل يوم القيامة وقبل النفخ فى الصور، بدليل قوله ﷺ: «يحشر بقيتهم النار..» إلى آخره وهذا الحشر آخر أشراط الساعة كما ذكره مسلم بعد هذا فى آيات الساعة.

قال: وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تطرد الناس إلى محشرهم بثلاث طرائق ثلاث فرق، ومنه قوله تعالى إخبارًا عن الجن: ﴿كنا طرائق قددًا﴾(٢) أى فرقًا مختلفة، ولكن المطابق له ما ورد فى الفصل الثالث عن أبى ذر قال: إن الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج، فوجًا راكبين طاعمين كاسين، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم، وتحشرهم النار، وفوجا يمشون يسعون يلقى الله الآفة على الظهر فلا يبقى، حتى إن الرجل

---

(١) الزمر: ٧٣ .　　(٢) الجن: ١١.

* الحديث أخرجه أحمد وأبوداود والحاكم عن عبد الله بن عمر، وضعفه الشيخ الألبانى فى (ضعيف الجامع ٣٢٥٩).

٥٥٣٥ ـ * وعن ابن عبَّاس، عن النبى ﷺ قال: «إنكم محشورون حُفاةً عُراةً غُرلا». ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أوَّل خلق نعيده وعداً علينا إنا كنَّا فاعلين﴾(١) «وأول من يكسا يومَ القيامةِ إبراهيمُ، وإن ناسًا من أصحابى يُؤخذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول:

لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها» فينزل قوله: «راغبين راهبين» على قوله: «طاعمين كاسين» أى مرفهين لاستعدادهم بما يبلغهم إلى المقصد من الزاد والراحلة.

وقوله: «اثنان على بعير..» إلى آخره على قوله: «وفوجا يمشون ويسعون..» ويلقى الله الآفة على مراكبهم حتى يضطروا إلى أن يعطوا الحديقة بالمركوب.

قوله: «وتحشر بقيتهم النار» على قوله: «فوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار» أى تحشر الملائكة لهم النار وتلازمهم حتى لا تفارقهم أين باتوا؛ وأين قالوا.

فإن قلت: ما معنى قوله: «**إن الحديقة يعطيها بذات القتب**».

قلت: ذات القتب ـ وهى خشبة الرحل ـ عبارة عن البعير تحقيرًا، كما فى قوله تعالى: ﴿**ذات ألواح ودسر**﴾(٢) كناية عن السفينة، وفى إيثار هذه الصيغة على البعير والحديقة على القيمة إشارة إلى أنهم أعطوا أنفس الأموال بذلك الحقير، وهذه الصيغة تسمى فى علم البديع **بالإدماج**، ثم إذا ضم معه اقتضاء المقام وهو مهاجرة الأوطان، دلَّ على غاية الاضطرار، فإن الحديقة أهم شىء للثاوى المقيم، والبعير أهم شىء للظاعن المسافر، فإيثار مثل هذا الظهر على مثل تلك الحديقة فى هذا المقام لئلا يقيلوا فى الفتنة ولا يبيتوا فيها يدل على غاية الاضطرار ولافرار مما لا يطاق، وهذا النوع يسمى فى البديع **بالإيغال**، ونحوه فى الأسلوب قول الخنساء:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به   كأنه علم فى رأسه نار

هذا ما سنح لنا على سبيل الاجتهاد، ثم عثرنا فى جامع الإمام محمد بن إسماعيل البخارى على ما هو الحق، وهو قوله فى باب الحشر: «يحشر الناس [يوم القيامة]* على ثلاث طرائق..» الحديث فعلم [من ذلك]** أن ما ذهب إليه الإمام التوربشتى هو الحق الذى لا محيد عنه، [والله أعلم]***.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «غرلا» «نه»: الغرل جمع الأغرل وهو الأقلف، والغرلة: القلفة.

قوله: ﴿**كما بدأنا أول خلق**﴾(١) فإن قلت: سياق الآية فى إثبات الحشر والنشر، لأن المعنى

---

(١) الأنبياء: ١٠٤.   (٢) القمر: ١٣.

* زيادة من «ك».

** من «ك».

*** فى «ك»: «فاعلم».

أصَيْحابى أصَيْحابى!! فيقول: إنّهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذُ فارقتهم. فأقول كما قال العبدُ الصَّالح: ﴿وكُنتُ عليهم شهيدًا ما دمت فيهم﴾(١) إلى قوله: ﴿العزيزُ الحكيم﴾: متفق عليه.

٥٥٣٦ - * وعن عائشةَ، قالتْ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عراة غرلا». قلتُ: يا رسول الله! الرجالُ والنساء جميعًا ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ؟ فقال: «يا عائشةُ! الأمر أشدُّ من أن ينظرَ بعضُهم إلى بعض». متفق عليه.

نوجدكم عن العدم ثانيًا كما أوجدناكم أولا عن العدم فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور؟

قلت: [دل]* سياق الآية؛ وعبارتها على إثبات الحشر، وإشارتها على المعنى المراد من الحديث وهو من باب **الإدماج**.

قوله «وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم» «تو»: [ويروى]** أن التقديم بهذه الفضيلة إنما وقع لإبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من عرى فى ذات الله حين أرادوا إلقاءه فى النار.

فإن قيل: أو ليس نبينا عليه الصلاة والسلام هو المحكوم له بالفضل على سائر الأنبياء وتأخره فى ذلك يوهم أن الفضل للسابق؟

قلنا: إذا استأثر الله سبحانه عبدًا بفضيلة على آخر، واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة أمثالها أو أفضل، كانت السابقة له، ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة فى فضله، ولا خفاء بأن الشفاعة حيث لا يؤذن لأحد فى الكلام لم يبق سابقة لأولى السابقة، ولا فضيلة لذوى الفضائل إلا أنت عليها، وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها.

قوله «وإن إناسًا من أصحابى» «قض»: يريد بهم من ارتد من الأعراب الذين أسلموا فى أيامه أصحاب مسيلمة والأسود وأضرابهم، فإن أصحابه وإن شاع عرفًا فيمن يلازمه من المهاجرين والأنصار، شاع استعماله لغة فى كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة.

وقيل: أراد بالارتداد إساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الإخلاص وصدق النية والإعراض عن الدنيا. وأما تنكير «الناس» وتصغير «الأصحاب» [فللدلالة]*** على تقليلهم.

والمراد «بالعبد الصالح» عيسى عليه الصلاة والسلام، والآية حكاية. [قوله]■

الحديث الخامس عن عائشة رضى الله عنها: قوله «الرجال والنساء» مبتدأ، و«جميعًا» حال

---

(١) المائدة: ١١٧:١١٨.

* زيادة من «ك». ** فى «ك»: «ونرى». *** فى «ط»: «فلادلالة».

■زيادة من «ك».

٥٥٣٧ ـ * وعن أنسٍ، أن رجلا قال: يا نبى الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليْسَ الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرًا على أن يُمْشيهُ على وجهه يوم القيامةِ؟» متفق عليه.

٥٥٣٨ ـ * وعن أبى هريرةَ، عن النبى ﷺ قال: «يَلْقَى إبراهيمُ أَباه آزر يومَ القيامةِ وعلى وجهِ آزر قترَةٌ وغَبرةٌ فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصنى؟ فيقول له أبوه: فاليومَ لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب! إنك وعدتنى أنْ لا تُخزِيَنى يومَ يبعثونَ، فأىُّ خزيٍ أخزى من أبى الأبعد فيقول الله تعالى: إنى حرَّمْتُ الجنةَ على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحتَ رجليكَ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فَيُلْقى فى النار» رواه البخارى.

سدَّ مسد الخبر، أى مختلطون جميعًا ويجوز أن يكون الخبر «ينظر بعضهم إلى بعض» وهو العامل فى الحال قدم اهتمامًا، كما فى قوله تعالى: **﴿والأرض جميعًا قبضته﴾**[1] وفيه معنى الاستفهام، ولذلك أجاب بقوله: «الأمر أشد..»

الحديث السادس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «قادر» هو مرفوع على أنه خبر الذى، واسم ليس ضمير الشأن، وسؤال الرجل مسبوق بمثل قوله «يحشر بعض الناس يوم القيامة على وجوههم».

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وعلى وجه آزر قترة» إنما أتى بالمظهر فى قوله «على وجه آزر» صونًا عن توهم متوهم فى ابتداء الحال أن الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قوله: «من أبى الأبعد» هو أفعل الذى قطع عن متعلقه للمبالغة.

«نه»: يقال: بعد بالكسر فهو باعد، أى هلك، والبعد الهلاك، ومنه حديث شهادة الأعضاء يوم القيامة، فيقول: «بعدا لك وسحقًا» أى هلاكًا. ويجوز أن يراد الأبعد من رحمة الله، وقوله: «من أبى الأبعد» لابد فيه من تقدير مضاف، أى من خزى أبى الأبعد، والفاء فى قوله: «فأى خزى» مستعقب بمحذوف، أى أنك وعدتنى أن لا تخزنى وقد أخزيتني، وإذا كان كذلك فأى خزي،نحو قوله تعالى: **﴿ اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه﴾**[2] أى فضرب فانفجرت.

والذيخ: ذكر الضباع، والأنثى ذيخة. وأراد بالتلطيخ: التلطخ برجيعه أو بالطين.

---

(١) الزمر: ٦٧. (٢) البقرة: ٦٠.

٥٥٣٩ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَعرقَ الناسُ يومَ القيامةِ حتى يذهبَ عرقهم فى الأرض سبعينَ ذراعًا ويُلجمهم حتى يبلغَ آذانهم» متفق عليه.

٥٥٤٠ ـ * وعن المقدادِ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنى الشمس يوم القيامةِ من الخلقِ حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ، فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكونُ إلى كعبيهِ، ومنه من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكونُ إلى حقويه، ومنهم من يُلجمهم العرق إلجامًا» وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. رواه مسلم.

٥٥٤١ ـ * وعن أبى سعيد الخدري، عن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيّك وسعديك، والخير كله فى يديك قال: أخْرِجْ بَعْثَ النَّار. قال: وما بَعثُ النار؟ قال من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ، فعنده يشيب الصغير، (وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللهِ شديدٌ)»

الحديث الثامن والتاسع عن المقداد رضى الله عنه:

قوله: «كمقدار ميل» تقديره حتى يكون مقدار قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل، نظيره قوله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[1]. أى كان قرب رسول الله ﷺ من جبريل أو من مكان القرب مثل مقدار قوسين.

«حس»: قال سليم: «لا أدرى أى الميلين يعنى، مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين.

قوله: «إلى حقويه» الحقو الخصر ومشد الإزار.

الحديث العاشر عن أبى سعيد رضى الله عنه:

قوله: «وما بعث النار؟» أى ما مقدار مبعوث النار.

قوله: «وأينا ذلك الواحد؟» لا يخلو هذا الاستفهام من أن يكون مجرى على حقيقته، أو يكون استعظامًا لذلك الحكم، واستشعار خوف منه، فالأول يستدعى أن يجاب بأن ذلك الواحد فلان أو متصف بالصفة الفلانية، والثانى يستدعى أن يجاب بما يزيل ذلك الخوف دفعًا لليائس. والثانى هوالمراد بقوله: «أبشروا» وكأنه قال: وأينا من أمة محمد ﷺ ذلك الناجى المفلح من بين سائر بنى آدم:

ولست بمستبق أخًالا تلمّه   على شعث أى الرجال المهذب

---

(١) النجم: ٩.

قالوا: يا رسولَ الله؟ وأيُّنا ذلكَ الواحدُ؟ قال: «أبشروا فإنَّ منكم رجلا، ومنْ يأجوجَ ومأجوجَ ألف» ثمَّ قال: «والذى نفْسى بيدِه أرجو أن تكونوا رُبعَ أهلِ الجنَّة» فكبَّرنا. فقال: «أرجو أنْ تكونوا ثلُثَ أهل الجنة» فكبَّرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنَّة» فكبَّرنا. قال: «ما أنتم فى الناسِ إلاَّ كالشَّعرةِ السَّوداءِ فى جلدِ ثورٍ أبيضَ، أو كشعرة بيضاءَ فى جلدِ ثورٍ أسود» متفق عليه.

٥٥٤٢ ـ * وعنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكشفُ ربُّنا عن ساقه، فيسجدُ له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى من كانَ يسجدُ فى الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهبُ ليسجد فيعودُ ظهرُه طبقًا واحدًا» متفق عليه.

فقوله: «أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف» تنبيه على أن يأجوج ومأجوج داخلون فى هذا الوعيد، وبقوله: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» أن غير يأجوج ومأجوج من الأمم السالفة الفائقة للحصر أيضًا داخلون فى الوعيد، فإذا وزع نصف أمة محمد ﷺ مع مثله من الأمم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من الألف، يدل عليه قوله ﷺ: «ما أنتم فى الناس إلا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض» وقولهم: «الله أكبر مرارًا» متعجبين، استبشارًا منهم واستعظامًا لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى، فيكون هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام إشارة إلى فوزهم بالبغية بعد اليأس منها، والله أعلم.

الحديث الحادى عشر عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «يكشف ربنا عن ساقه» تو: مذهب أهل السلامة من السلف التورع عن التعرض للقول فى مثل هذا الحديث وهو الأمثل والأحوط، وقد تأوله جمع من العلماء بأن الكشف عن الساق مثل فى شدة الأمر وصعوبة الخطب واستعماله فيه شائع، ومن ذلك قول الشاعر:

عجبت من نفسى ومن إشفاقها ... ومن طرادى الطير عن أرزاقها

فى سنة قد كشفت عن ساقها

ومنه قول الله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾[1] أى عن شدة، وتنكير «الساق» فى الآية من دلائل هذا التأويل، ووجه تعريف الساق فى الحديث دون الآية أن يقال: أضافها إلى الله تعالى تنبيها على أنها الشدة لا يجليها لوقتها إلا هو، أو على أنها هى التى ذكرها فى كتابه.

وقوله: «فيعود ظهره طبقًا واحدًا» أى يرد عظامًا بلا مفاصل لا ينثنى عند الرفع والخفض، والمعنى أنه سبحانه وتعالى يكشف يوم القيامة عن شدة ترتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص والإيقان بالسجود الموصوف على أهل الريب والنفاق، والله أعلم.

---

(١) القلم: ٤٢.

٥٥٤٣ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليأتي الرجلُ العظيمِ السَّمينُ يومَ القيامة لا يزِنُ عندَ الله جَناحَ بعوضة» وقال: اقرأوا ﴿فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وزنًا﴾(١). متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٤٤ ـ * عن أبي هريرةَ، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تُحدِّثُ أخبارَها﴾(٢) قال: «أتدْرونَ ما أخبارُها؟» قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلم. قال: «فإنَّ أخبارَها أنْ تشهدَ على كل عبدٍ وأمة بماَ عملَ على ظهرِها، أن تقول: عمل عليَّ كذا وكذا، يومَ كذا وكذا». قال: «فهذه أخبارُها» رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب. [٥٥٤٤]

٥٥٤٥ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من أحد يموتُ إلا ندمَ». قالوا: وما ندامتُه يا رسولَ الله؟ قال: «إنْ كان محسنًا ندَم أن لا يكونَ ازدادَ، وإنْ كانَ مُسيئًا ندمَ أن لا يكونَ نزع» رواه الترمذيُّ. [٥٥٤٥]

الحديث الثاني عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا﴾(١) فإن قلت: كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية، فإن المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقداره لقوله: «العظيم السمين» وفي الآية: إما وزن الأعمال لقوله تعالى: ﴿فحبطت أعمالهم﴾(١) وإما مقدارهم والمعنى نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار؟

قلت: الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكناية وذكر الجثة والعظم لا ينافي إرادة مقداره وتفخيمه، قال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾(٣).

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أن لا يكون ازداد» أي خيرًا وبرًا. و«أن لا يكون نزع» أي نزع نفسه عن ارتكاب المعاصي.

[٥٥٤٤] وأخرجه البغوي في شرح السنة وقال المحقق: أخرجه الترمذي (٢٤٣١) في صفة القيامة، ويحيى ابن أبي سليمان وهو المدني لين الحديث وباقي رجاله ثقات، وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٢، وتعقبه الذهبي بقوله: يحيى هذا منكر الحديث وقال البخاري: وله شاهد بمعناه أخرجه الطبراني من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ربيعة الجرشي وهو ابن عمرو. ويقال: ابن الحارث الدمشقي، مختلف في صحبته، قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين وكان فقيهًا، وثقه الدارقطني وغيره. انظر شرح السنة ح (٤٣٠٨) ١٥/ ١١٦.

[٥٥٤٥] ضعيف: ضعيف الجامع ٥١٤٨.

(١) الكهف: ١٠٥. (٢) الزلزلة: ٤.

(٣) المنافقون: ٤.

٥٥٤٦ ـ * وعنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشرُ الناسُ يومَ القيامة ثلاثة أصناف: صنفًا مشاةً، وصنفًا رُكبانًا، وصنفًا على وُجوهِهم» قيل: يا رسولَ الله! وكيفَ يمشونَ على وجوههم؟ قال: «إنَّ الذى أمشاهُم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم، أما إنَّهم يتَّقون بوُجوههِم كلَّ حدَبٍ وشوكٍ» رواه الترمذى. [٥٥٤٦]

٥٥٤٧ ـ * وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنَّه رأيُ عينٍ فليَقرأ: (إذا الشَّمس كُورَت)(١) و(إذا السَّماءُ انفطَرتْ)(٢) و(إذا السَّماءُ انشقَّتْ)(٣)» رواه أحمد، والترمذيُّ. [٥٥٤٧]

الفصل الثالث

٥٥٤٨ ـ * عن أبى ذر، قال: إنَّ الصادقَ المصدوقَ ﷺ حدَّثنى: «أنَّ النَّاسَ يُحشرونَ ثلاثة أفواج: فوجًا راكبينَ طاعمينَ كاسينَ، وفوجًا تسحبُهم الملائكةُ على

الحديث الثالث والرابع عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «صنفًا مشاة» تو: فإن قيل: لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل أولى السابقة؟ قلنا لأنهم هم الأكثرون من أهل الإيمان.

قض: «يتقون بوجوههم» يريد به بيان هوانهم واضطرابهم، إلى حد جعلوا وجوههم مكان الأيدى والأرجل فى التوقى عن مؤذيات الطرق، والمشى إلى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصورها.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبى ذر رضي الله عنه:

قوله: «إن الناس يحشرون» المراد بالحشر هنا ما في قوله ﷺ: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» وقوله: «ستخرج نار من بحر حضر موت ـ أو حضر موت ـ تحشر الناس» قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام».

وقوله: «طاعمين كاسين» هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم بما يبلغهم إلى المقصد

[٥٥٤٦] ضعيف (ضعيف الجامع ٦٤٣٤).

[٥٥٤٧] صحيح الترمذى ٢٦٥٣

(١) التكوير: ١ (٢) الانفطار: ١

(٣) الانشقاق: ١

وُجوههم وتحشرُهم النارَ، وفوجًا يمشونَ ويسعونَ ويُلقى اللهُ الآفةَ على الظهرِ، فلا يبقى، حتى إنَّ الرجلَ لتكونُ له الحديقةُ يعطيها بذات القَتَبِ لا يقدر عليها» رواه النسائى. [٥٥٤٨]

(٣) باب الحساب والقصاص والميزان

الفصل الأول

٥٥٤٩ ـ * عن عائشةَ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «ليسَ أحدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامة إلا هلَكَ». قلتُ: أو ليسَ يقولُ اللهُ: ﴿فسوْفَ يُحاسبُ حسابًا يسيرًا﴾(١) فقال: «إنما ذلك العرضُ؛ ولكنْ مَن نُوقشَ فى الحساب يهلكُ» متفق عليه.

من الزاد والراحلة، ودون هؤلاء قوم «يمشون ويسعون ويلقى الله عز وجل الآفة» على مراكبهم حتى يضطروا إلى أن يعطى الحديقة بالمركوب، والهالكون من تحشر الملائكة لهم النار وتلزمهم حتى لا تفارقهم أين باتوا وأين قالوا، فبقى أن يقال: لم ذكر المؤلف هذا الحديث فى باب الحشر؟ وهلا ذكره فى باب أشراط الساعة؟ قلنا: تأسيًا بمحيى السنة، والعجب أن محيى السنة حمل الحديث على ما ذهب إليه الخطابى حيث قال: وهذا الحشر قبل قيام الساعة وإنما يكون ذلك إلى الشام أحياء، وأما الحشر بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها، وإنما هو كما أخبر أنهم يبعثون حفاة عراة، وأورده فى هذا الباب. والله أعلم.

باب الحساب والقصاص والميزان

«نه» القصاص: اسم من أقصه الحاكم يقصه إذا أمكنه من أخذ القصاص، وهو أن يفعل به مثل فعله من: قتل أو قطع أو ضرب أو جرح.

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «من نوقش الحساب» «فا» «مظ»: يقال ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلا ولا كثيرًا، وأنشد ابن الأعرابى للحجاج:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب ... عذابًا لا طوق لى بالعذاب

أو تجـــاوز فأنت رب عفــو ... عـن مسىء ذنوبه كالتراب

[٥٥٤٨] انظر ضعيف النسائى ح (٩/ ١).

(١) الانشقاق: ٨

٥٥٥٠ ـ * وعن عديٍّ بن حاتمٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما منكم أحدٌ إلا سيكلمهُ ربُّه، ليس بينَه وبينَه ترجمانٌ ولا حجابٌ يحجبُه، فينظرُ أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ منْ عملِه، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ بينَ يديه فلا يرى إلا النارَ تلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النارَ ولو بشق تمرة» متفق عليه.

٥٥٥١ ـ * وعن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُدنى المؤمنَ فيضعُ عليه كنَفَه ويستره، فيقولُ: أتعرِفُ ذنبَ كذا؟ أتعرِفُ ذنبَ كذا؟ فيقولُ: نعمْ أيْ ربِّ! حتى قرَّره بذنوبه، ورأى فى نفسه أنه قد هلَكَ. قال: سترتُها عليكَ فى الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليوم، فيُعطى كتابَ حسناته وأمَّا الكفَّارُ والمنافقونَ فيُنادى بهم على رءوس الخلائق: ﴿هَؤُلاء الذينَ كذبوا على ربِّهم ألاَ لعنةُ الله على الظالمينَ﴾. متفق عليه.

٥٥٥٢ ـ * وعن أبى موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ دفعَ اللهُ إلى كلِّ مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقولُ: هذا فكاكُك منَ النارِ» رواه مسلم.

الحديث الثانى عن عدى رضي الله عنه: قوله: «ولو بشق تمرة» «مظ» يعنى إذا عرفتم ذلك فاحذروا من النار ولا تظلموا أحدًا ولو بشق تمرة.

أقول: ويحتمل أن يقال: المعنى إذا عرفتم أنه لا ينفعكم فى ذلك اليوم شىء إلا الأعمال الصالحة، وأن أمامكم النار، فاجعلوا الصدقة جنة بينكم وبينها ولو بشق تمرة.

الحديث الثالث عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «كنفه ويستره» «قض»: كنفه حفظه وستره عن أهل الموقف وصونه عن الخزى والتفضيح، مستعار من كنف الطائر وهو جناحه يصون به نفسه، ويستر به بيضه ويحفظه، وأصله الجانب، يقال: أكنفت الرجل إذا صنته.

وفيه: «حتى أقره[1] بذنوبه» أى جعله مقرا بأن أظهر له ذنوبه وألجأه إلى الإقرار بها.

الحديث الرابع عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه: قوله: «فكاكك» «تو»: فكاك الرهن ما يفك به ويخلص. والكسر لغة فيه.

«قض»: لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة ومقعد من النار، فمن آمن حق الإيمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة، ومن لم يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين فى مقاعدهم من النار، والنائب منابهم فيها، وأيضًا لما سبق القسم الإلهى بملء جهنم كان ملاؤها من الكفار خلاصًا للمؤمنين ونجاة لهم من النار، فهم فى ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك،

---

(١) قال مصحح (ط) فى النسخ الخطية للطيبى، وفى المشكاة المطبوعة وشرح المشكاة للملا على القارئ: «قرره» فليحرر.

٥٥٥٣ ـ * وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ، فيقال له: هل بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعمْ، يارب! فتُسألُ أُمتهُ: هل بلَّغكم؟ فيقولونَ؟ ما جاءنا من نذيرٍ. فيُقال: مَن شهودُكَ؟ فيقولُ: محمَّد وأُمتُه». فقال رسولُ الله ﷺ: «فيُجاءُ بكم فتشهدونَ أنَّه قد بلَّغَ» ثمَّ قرأ رسولُ الله ﷺ **﴿وكذلكَ جعلناكم أمةً وسَطًا لتكونوا شهداء على النَّاس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا﴾**»(1) رواه البخاري.

٥٥٥٤ ـ * وعن أنسٍ، قال: كنَّا عندَ رسول الله ﷺ فضحكَ، فقال: «هل تدرونَ ممَّا أضحكُ؟» قال: قلنا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «من مُخاطبةِ العبدِ ربَّه، يقول: يارب! ألم تُجرْني من الظلم؟» قال: «يقول: بَلى». قال: «فيقول: فإنِي لا أُجيزُ على نفسي إلاَّ شاهدًا مني». قال: «فيقول: كفى بنفسِكَ اليوم عليكَ شهيدًا وبالكرامِ

ولعل تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين، ومقابلتهما إياهم في تصديق الرسول المقتضى لنجاته*.

الحديث الخامس عن أبي سعيد رضى الله عنه: قوله: «فيقول: محمد وأمته» فإن قلت: كيف قال: محمد وأمته، وقد قال الله تعالى: **﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**(1) مقدما صلة الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم لا على غيرهم؟

قلت: لم يرد باختصاصهم بشهادة أنه يشهد عليهم للزوم المضرة، والكلام وارد في مدح الأمة، فالغرض هنا أنه يزكيهم، فضمَّن «شهد» معنى «رقب» لأن العدول يحتاج إلى رقيب يحفظ أحوالهم ليطلع عليها ظاهرًا وباطنًا فيزكيهم، ولما كانوا هم العدول من بين سائر الأمم خصهم الله تعالى بكون الرسول عليهم شهيدًا، أى: رقيبًا مزكيًا، وهذا لا يدل على أنه لا يشهد على سائر الأمم، مع أن مزكى الشاهد أيضًا شاهد.

قوله: «وسطًا» «نه»: يقال: هو من أوسط القوم، أى: خيارهم، وقد وسط وساطة فهو وسيط.

الحديث السادس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «ألم تجرني من الظلم» أى ألم تجعلني في إجارة منك بقولك: **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**(2)

قوله: «وبالكرام الكاتبين» فإن قلت: دلت أداة الحصر على أن لا يشهد عليه غيره، فكيف أجاب بقوله: كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين؟

---

(1) البقرة: ١٤٣ (2) فصلت: ٤٦

* هكذا في (ط) والمعنى يأباه، والصواب ما ورد في المرقاة بلفظ [لنجاتهم].

الكاتبينَ شهودًا» قال: «فيُختمُ على فيه، فيقال لأركانه: انطقى». قال: «فتنطقُ بأعماله ثمَّ يُخلَّى بينه وبينَ الكلامِ». قال: «فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا، فعنكنَّ كنتُ أناضلُ» رواه مسلم.

٥٥٥٥ ـ * وعن أبى هريرةَ، قال: قالوا: يا رسولَ الله! هل نرى ربَّنا يومَ القيامة؟ قال: «هلْ تضارُّون فى رؤيةِ الشَّمس فى الظهيرةِ ليستْ فى سحابة؟» قالوا: لا قال: «فهل تضارون فى رؤية القمر ليلةَ البدْرِ ليسَ فى سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فوالذى نفسى بيدِه لا تضارُّونَ فى رؤيةِ ربّكم إلاَّ كما تضارُّونَ فى رؤيةِ أحدهما». قال: «فيلقى

قلت: بذل له مطلوبه وزاد عليه تأكيدًا وتقريرًا.

قوله: «كنت أناضل» «نه» أى: أجادل وأخاصم وأدافع، يقال: فلان يناضل عن فلان، إذا رمى عنه وحاج وتكلم بعذر ودفع عنه.

قال الشيخ أبو حامد فى الإحياء فى هذا الحديث: «نعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد المؤمن أن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره كما أخبر به بقوله: «إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره..» الحديث.

ثم قال: فهذا عبد مؤمن يستر على الناس عيوبهم، واحتمل فى نفسه تقصيرهم فلم يحرك لسانه بذكر مساوىء الناس، ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فمثل هذا العبد جدير بأن يجازى بمثل فعله ذلك فى القيامة، ويرجو ستر الله عليه ذنوبه.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «هل تضارون» «مح»: روى «تضارون» بتشديد الراء وتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما.

وفى الرواية الأخرى: «هل تضامون» بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففهاضمها. وفى رواية البخارى: «لا تضارون أولا تضامون» على الشك.

«قض»: «تضارون» المشدد من الضرر، والمخفف من الضير، أى: تكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مراء ولا مرية فيخالف فيها بعضكم بعضًا. ويكذبه، كما لا يشك فى رؤية أحدهما ـ يعنى: الشمس والقمر ـ ولا ينازع فيهما، فالتشبيه إنما وقع فى الرؤية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها، لا فى سائر كيفياتها ولا فى المرئى، فإنه سبحانه منزه عن الجسمية وعما يؤدى إليها.

و«تضامون» بالتشديد من الضم أى: لا يضم بعضكم إلى بعض فى طلب رؤيته لإشكاله

العبد فيقول: أى فُلْ: ألمْ أُكرمْكَ وأُسودْكَ وأُزوجْكَ وأُسخرْ لكَ الخيلَ والإبلَ، وأَذَرْكَ ترأَسُ وتَربعُ؟ فيقول: بَلى». قال: «فيقول: أفظننت أنَّك مُلاقىَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإنى قد أنساكَ كما نسيتنى. ثمَّ يلقى الثانى، فذكر مثله، ثمَّ يلقى الثالثَ،

وخفائه كما يفعلون فى الهلال. أو لا يضمكم شىء دون رؤيته فيحول بينكم وبينها. وبالتخفيف من الضيم، أى: لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعض دون بعض، بل تستوون فيها، وأصله «تضيمون» فنقلت فتحة الياء إلى الضاد فصارت ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها، وكذلك «تضارون» بالتخفيف، وأما المشدد فيحتمل أن يكون مبنيا للفاعل على معنى لا تضارون بعضكم بالمخالفة والمجادلة فى صحة الرؤية، فسكنت الراء الأولى وأدغمت فى الثانية، أو يكون مبنيا للمفعول على معنى: لا تضارون أى تنازعون فى رؤيته.

وفيه: «وأذرك» أى: لم أذرك ولم أمكنك على قومك فتصير رئيسهم وتأخذ من مرباعهم وهو ربع الغنيمة وكان ملوك الجاهلية يأخذونه.

قوله «أى فل» نه: معناه يا فلان، وليس ترخيمًا له، لأنه لا يقال إلا بسكون اللام ولو كان ترخيمًا لفتحوها أو ضموها.

قال سيبويه: ليست ترخيمًا وإنما هو صيغة ارتجلت فى باب النداء، وقد جاء فى غير النداء، قال:

«فى لجة أمسك فلانًا عن فل» بكسر اللام للقافية.

وقال الأزهرى: ليس بترخيم فلان ولكنها كلمة على حدة فبنو أسد يوقعونها على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد، وغيرهم يثنى ويجمع ويؤنث.

وقال قوم: إنه ترخيم فلان، فحذفت النون للترخيم والألف لسكونها، وتفتح اللام وتضم على مذهبى الترخيم.

قوله: «إلا كما تضارون..» كان الظاهر أن يقال: لا تضارون فى رؤية ربكم كما لا تضارون فى رؤية أحدهما، ولكنه أخرج مخرج قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب.

أى: لا تشكون إلا كما تشكون فى رؤية القمرين، وليس فى رؤيتهما شك، ولا تشكون فيه البتة.

«فإنى قد أنساك» مسبب عن قوله: «أفظننت أنك ملاقى» يعنى سودتك وزوجتك، وفعلت بك من الإكرام حتى تشكرنى وتلقانى لأزيد فى الإنعام وأجازيك عليه، فلما نسيتنى فى الشكر نسيناك وتركنا جزاءك وعليه قوله تعالى: ﴿**كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾[1]

---

(١) طه: ١٢٦.

فيقول له مثل ذلكَ، فيقول: ياربِّ! آمنتُ بكَ وبكتابكَ وبرسُلكَ، وصلَّيتُ وصمتُ، وتصدَّقتُ، ويُثنى بخيرٍ ما استطاعَ، فيقول: هاهنا إذًا ثمَّ يقال: الآن نبعثُ شاهدًا عليكَ، ويتفكَّرُ في نفسِه: مَن ذا الذي يشهدُ عليَّ؟ فيختم على فيه، ويُقال لفخذه: انطقي، فتنطق فخذهُ ولحمه وعظامُه بعملِه، وذلكَ ليُعذرَ منْ نفسه، وذلكَ المنافقُ، وذلكَ الذي يسخطُ اللهُ عليه». رواه مسلم.

وذُكر حديث أبى هريرةَ: «يدخلُ من أُمتى الجنة» فى «باب التوكُّل» برواية ابن عبَّاس.

الفصل الثانى

٥٥٥٦ ـ * عن أبى أمامة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «وعدنى ربِّى أن

ونسبة النسيان إلى الله تعالى إما مشاكلة أو مجازا عن الترك.

فقوله: «فذكر مثله» أى قال الراوى: ذكر رسول الله ﷺ فى الثانى مثلما ذكر فى الأول من سؤال الله تعالى له وجوابه على ما سبق.

وأما حكم الثالث فليس كذلك، فإنه لما قرر الله تعالى ما أولاه من النعم سأله: ما فعلت بها؟ وكيف شكرت تلك النعم؟.

قال: «آمنت بك.. » إلخ ونظيره قوله ﷺ: «ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت.. » الحديث.

وقوله: «هاهنا إذًا» إذًا جواب شرط وجزاء، والتقدير: إذا أثنيت على نفسك بما أثنيت إذًا فاثبت هاهنا كى نريك أعمالك بإقامة الشاهد عليها.

قوله: «من ذا الذى يشهد علي؟» حال تقديره: يتفكر فى نفسه قائلا: من ذا الذي يشهد على؟.

قوله: «وذلك» إشارة إلى المذكور من السؤال والجواب وختم الفم ونطق الفخذ وغيره.

قوله: «ليعذر» «تو» على بناء الفاعل من الإعذار، والمعنى: يزيل عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى أمامة رضى الله عنه: قوله: «وثلاث حثيات» «شف»: يحتمل

يُدخلَ الجنَّة من أُمتى سبعينَ ألفًا لا حساب عليهم، ولا عذابَ، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وثلاث حثَيات مِنْ حثَيات ربِّى». رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه. [٥٥٥٦]

٥٥٥٧ ـ * وعن الحسنِ، عن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرضُ الناس يومَ القيامة ثلاثَ عَرَضات: فأما عَرْضتان فجدالٌ ومعاذيرٌ، وأما العرضةُ الثالثةُ فعند ذلك تطيرُ الصحفُ فى الأيدى، فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله» رواه أحمد، والترمذى وقال: لا يصحُّ هذا الحديثُ؛ من قِبَلِ أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة.

٥٥٥٨ ـ * وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى. [٥٥٥٨]

٥٥٥٩ ـ * وعن عبدِالله بنِ عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اللهَ سيخلص

النصب عطفًا على قوله: «سبعين ألفًا» والرفع عطفًا على قوله: «سبعون ألفًا» والرفع أظهر فى المبالغة، إذ التقدير: مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات، بخلاف النصب.

«نه»: الحثيات كناية عن المبالغة فى الكثرة، وإلا فلا كف ثم ولا حثى جل الله عن ذلك وعز.

«تو»: الحثية ما يحثيه الإنسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلك، ويستعمل فيما يعطيه المعطى بكفيه دفعة واحدة، وقد جيىء به هاهنا على وجه التمثيل، وأريد بها الدفعات، أى: يعطى بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى على العادين حصره وتعداده فإن عطاءه الذى لا يضبطه الحساب أوفى وأربى من النوع الذى يتداخله الحساب.

الحديث الثانى عن الحسن: قوله: «ثلاث عرضات» قيل: هى ثلاث مرات، فأما المرة الأولى فيدفعون عن أنفسهم ويقولون: لم يبلغنا الأنبياء ويحاجون الله.

والمرة الثانية: يعترفون بذنوبهم ويعتذرون. ولا تتم قضيتهم فى المرتين بالكلية.

والمرة الثالثة: فيطير كتابهم إما باليمين فذلك أهل السعادة، وإما بالشمال فذلك أهل الشقاوة ـ نعوذ بالله من ذلك ـ فتتم قضيتهم.

قوله: «تطير الصحف» هكذا فى سنن الترمذى وجامع الأصول، وفى نسخ المصابيح «تطاير».

والفاء فى قوله: «فآخذ بيمينه» تفصيلية، أى: فمنهم آخذ بيمينه ومنهم آخذ بشماله.

الحديث الثالث: عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما: قوله: «فيقول: إنك لا تظلم» فإن

[٥٥٥٦] انظر صحيح الجامع (٧١١١).

[٥٥٥٨] انظر ضعيف الجامع (٦٤٤٩).

رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يومَ القيامةِ، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجلاً كل سِجِلٍّ مثلُ مد البصرِ، ثم يقول: أَتُنْكِرُ من هذا شيئًا؟ أَظَلَمَكَ كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يارب! فيقول: أَفلكَ عُذْرٌ؟ قال: لا ، يارب فيقول: بلى؛ إن لكَ عندنا حسنةً، وإنه لا ظلمَ عليكَ اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنَكَ. فيقول: يارب ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلمُ، قال: فتوضعُ السجلاتُ في كفَّة والبطاقةُ في كفَّة، فطاشت السجلات وثقلتِ البطاقة، فلا يَثْقُلُ مع اسم اللهِ شيءٌ» رواه الترمذي، وابن ماجه. [٥٥٥٩]

٥٥٦٠ ـ * وعن عائشةَ ، أنَّها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيكِ؟» قال: ذكرتُ النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يومَ القيامةِ؟ فقال رسول الله

قلت: كيف طابق هذا جوابًا لقوله: ما هذه البطاقة؟ قلت: اسم الإشارة للتحقير، كأنه أنكر أن تكون هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك السجلات، فرد بقوله: «إنك لا تظلم بحقيرة»أي: لا تحقر هذه فإنها عظيمة،إذ لا يثقل مع اسم الله شيء،فلو ثقل على اسم الله شيء فقد ظلمت.

قوله: «فتوضع السجلات» «نه»: السجلات جمع سجل بالكسر والتشديد، وهو الكتاب الكبير، والبطاقة رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما يجعل فيه إن كان عينًا فوزنه أو عدده، وإن كان متاعًا فقيمته، قيل سميت بذلك لأنها تشد بطاقة من الثوب فتكون الباء حينئذ زائدة، وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر؛ ويروى بالنون وهو غريب.

والطيش الخفة ، وقد طاش يطيش طيشًا فهو طائش.

الحديث الرابع: عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «عند الميزان» قال أهل الحق: قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾[1] نضع ميزانًا يوم القيامة توزن به الصحائف التي يكون مكتوبًا فيها أعمال العباد، وله كفتان إحداهما للحسنات والأخرى للسيئات، وعن الحسن: له كفتان ولسان.

قوله: «وعند الصراط» «مح»: مذهب أهل الحق أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب أعمالهم ومنازلهم، والآخرون يسقطون فيها ـ عافانا

[٥٥٥٩] انظر صحيح الجامع (١٧٧٦)

(١) الأنبياء: ٤٧

ﷺ: «أمَّا في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم: أيخفُّ ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال (هاؤم اقرءوا كتابيه)، حتى يعلم: أين يقع كتابُه، أفي يمينه أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟ وعند الصِّراط: إذا وضعَ بينَ ظهري جهنم» رواه أبو داود. [٥٥٦٠]

الفصل الثالث

٥٥٦١ - * عن عائشة، قالتْ: جاءَ رجلٌ فقعدَ بين يديْ رسولِ الله ﷺ فقال: يارسولَ الله! إنَّ لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني وأشتمهم وأضربهم؛ فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامةِ يُحسَبُ ما خانوكَ وعصوْك وكذبوك، وعقابُك إياهم فإن كان عقابُك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كانَ عقابُك إياهم دون ذنبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك الفضل، فتنحَّى الرجلُ وجَعَلَ يهتفُ

الله الكريم - والمتكلمون من أصحابنا والسلف يقولون: إنه أدق من الشعر وأحد من السيف، وهكذا جاء في رواية أبي سعيد.

قوله: «أم في شماله أومن وراء ظهره» وفي جامع الأصول «أم»[1] بدل «أو» والأول أولى وأوفق للجمع بين معنى الآيتين: ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه﴾[2] ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيراً﴾[3]

الكشاف: قيل: تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «فكيف أنا منهم؟» أي: كيف يكون حالي من أجلهم وبسببهم؟.

قوله: «يهتف» «نه»: هتف يهتف هتفا، وهتف به هتافًا، إذا صاح به ودعاه.

قوله: «خيرًا» خيرًا صفة «شيئًا» والجار والمجرور هو المفعول الثاني.

[٥٥٦٠] وانظر مسند أحمد (٦/ ١٠١) بنحوه.

(١) وكذا في نسخ المشكاة المطبوعة. (٢) الحاقة: ٢٥

(٣) الانشقاق: ١٠:١١:١٢

ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «أمَا تقرأ قول الله تعالى: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئًا وإن كان مثقالَ حبَّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾**[(١)]» فقال الرجلُ: يارسول الله! ما أجدُ لي ولهؤلاءِ شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أُشهِدكَ أنهم كلَّهم أحرارٌ. رواه الترمذي

٥٥٦٢ ـ * وعنها، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهمَّ حاسبْني حسابًا يسيرًا» قلت: يانبيَّ الله! ما الحسابُ اليسيرُ؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحسابَ يومئذٍ يا عائشة! هلك» رواه أحمد. [٥٥٦٢]

٥٥٦٣ ـ * وعن أبي سعيد الخدري، أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني من يقوى على القيام يوم القيامة الذي قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين﴾**[(٢)]؟ فقال: «يخفَّف على المؤمن حتى يكون عليه كالصلاة المكتوبة»

٥٥٦٤ ـ * وعنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن **﴿يومٍ كان مقداره خمسينَ ألف سنة﴾**[(٣)] ما طول هذا اليوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكونَ أهونَ عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا» رواهما البيهقي في كتاب «البعث والنشور». [٥٥٦٤]

الحديث الثاني: عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «أن ينظر» أي العبد.

« فيتجاوز عنه» أي: الله تعالى.

الحديث الثالث: عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه. قوله: **﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾**[(٢)] بدل من قوله **﴿ليوم عظيم﴾** أي: يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته، ويظهر سطوات قهره على الجبارين، ورُوي أن ابن عمر رضي الله عنهما قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله: **﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾**[(٢)] بكى نحيبًا وامتنع من قراءة ما بعده.

[٥٥٦٢] المسند: ٦/ ٤٨

[٥٥٦٤] أحمد ٣/ ٧٥ .

(١) الأنبياء: ٤٧ .

(٢) المطففين: ٦ .

(٣) المعارج: ٤ .

٥٥٦٥ ـ * وعن أسماء بنت يزيد، عن رسول الله ﷺ قال: يُحشر الناس في صعيدٍ واحد يوم القيامة، فينادي مناد فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنَّة بغير حساب، ثمَّ يؤمر بسائر الناس إلى الحساب» رواه البيهقي فى «شعب الإيمان»

(٤) باب الحوض والشفاعة

الفصل الأول

٥٥٦٦ ـ * عن أنس ، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسيرُ في الجنَّةِ إِذا أنا بنهر حافتاه قِبَاب الدر المجوَّف، قلت: ما هذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طينه مسكٌ أذفَرُ» رواه البخاري.

٥٥٦٧ ـ * وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة

الحديث الرابع والخامس عن أسماء رضى الله عنها: قوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾[1] أى: ترتفع وتتنحى عن المضاجع داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته، وهم المتهجدون.

باب الحوض والشفاعة

«غب»: الشفع ضم الشيء إلى مثله، ومنه الشفاعة وهو الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى مرتبة، ومنه الشفاعة فى القيامة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «هذا الكوثر» الكوثر فوعل من الكثرة

و« أذفر» أى: طيب الريح، والذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به.

الحديث الثاني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قوله: «حوضى مسيرة شهر» أى مسيرة حوضى وزواياه سواء أى مربع لا يزيد طوله على عرضه.

---

(١) السجدة: ١٦

شهر، وزواياه سواء، ماؤهُ أبيضُ من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السَّماءِ، من يشرب منها فلا يظمأ أبدًا». متفق عليه.

٥٥٦٨ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي أبعدُ من أيْلةَ من عدن لهو أشدُّ بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيتُه أكثرُ من عدد النجوم، وإني لأصُدُّ الناسَ عنه كما يصدُّ الرجل إبلَ النَّاس عن حوضه». قالوا: يارسول الله! أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيماء ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليّ غُرًا محجَّلين من أثر الوضوء». رواه مسلم.

و«كيزانه كنجوم السماء» أى: في الإشراق والكثرة.

وقوله: «يشرب» يجوز أن يكون مرفوعًا على أن «من» موصولة، ومجزومًا على أنها شرطية.

قوله: «ماؤه أبيض» مح: النحويون يقولون: لا يبنى فعل التعجب وأفعل التفضيل من الألوان والعيوب بل يتوصل إليه بنحو: أشد وأبلغ، فلا يقال: ما أبيض زيدًا، ولا زيد أبيض من عمرو، وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على من منعوه، وهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال.

الحديث الثالث: عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أبعد من أيلة من عدن» من الأولى متعلقة بـ «أبعد» والثانية متعلقة ببعد مقدر، أى: أبعد من بعد أيلة من عدن ، والحاصل أن بعد ما بين طرفى الحوض أزيد من بعد ما بين أيلة وعدن.

تو: «أيلة» بالياء الساكنة بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلى بحر اليمن، و«عدن» آخر بلاد اليمن مما يلى بحر الهند.

قض: اختلاف الأحاديث فى مقدار الحوض لأنه ﷺ قدره على سبيل التمثيل والتخمين لكل أحد على حسب ما رآه وعرفه.

قوله: «وأحلى من العسل» أى: ألذ من العسل المخلوط «باللبن» ونظيره قول الشاعر:

ونغمة معتف* جدواه أحلى   على أذنيه من نغم السماع

أى : ألذ.

وقوله: «وإنى لأصد الناس» يراد بالناس المذكورون فى الحديث الآتى.

قوله: «سيماء» فا: السومة والسيماء والسيمياء العلامة.

قوله: «يغت» قض: أى يدفق دفقًا متتابعًا دائمًا بقوة، فكأنه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه، وأصل الغت الضغط.

---

* المعتفى: هو طالب الرفد والعطاء. وفي اللسان : «كل من جاءك يطلب فضلاً أو رزقًا فهو عافٍ ومعتفٍ.

٥٥٦٩ ـ * وفي روايةٍ له عن أنس، قال: «تُرى فيه أباريقُ الذهب والفضة كعدد نجوم السَّماء».

٥٥٧٠ ـ * وفي أخرى له عن ثوبان ، قال: سُئل عن شرابه. فقال: «أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل يغتُّ، فيه ميزابانَ يمُدَّانه من الجنَّة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق».

٥٥٧١ ـ * وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فرَطُكم على الحوض، من مرَّ عَلَيَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثمّ يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول: سحقًا سحقًا لمن غيّر بعدي». متفق عليه.

٥٥٧٢ ـ * وعن أنس، أنَّ النبي ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يُهمُّوا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربِّنا فيريحنا من مكاننا! فيأتونَ آدمَ، فيقولون: أنت آدم أبو النَّاس، خلقك الله بيده، وأسكنك جنَّته، وأسجَد لك

الحديث الرابع عن سهل رضي الله عنه: قوله: «فرطكم» مح: الفرط بفتح الفاء والراء هو الفارط الذي يتقدم الوراد ليصلح لهم الحياض والدلاء والأرشية وغيرها من أمور الاستسقاء، فمعناه: إنى سابقكم إلى الحوض كالمهيىء لكم.

قال القاضى عياض: ظاهر هذا الحديث يدل على أن الشرْب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار.

و«سحقًا سحقًا» أى: بعدًا لهم، ونصبه على المصدر، وكرر للتأكيد.

الحديث الخامس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «يهمّوا بذلك» «مح»: على بناء المجهول، أى : يحزنون لما امتحنوا به من الحبس ، من قولهم: «أهمنى» إذا أقلقك وأحزنك.

قوله: «لو استشفعنا» لو هى المتضمنة للتمنى والطلب.

وقوله: «فيريحنا» من الإراحة، ونصبه بأن المقدرة بعد الفاء الواقعة جوابًا للو، والمعنى: لو استشفعنا أحدًا إلى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه من الكرب والحبس، قال فى أساس البلاغة: شفعت له إلى فلان وأنا شافعه وشفيعه واستشفعنى إليه فشفعت له، واستشفع بى، قال الأعشى:

مضى زمن والناس يستشفعون بى ... فهل لى إلى ليلى الغداة شفيع

وقوله: «أنت آدم» هو من باب قوله: أنا أبو النجم وشعرى شعرى.

ملائكتَه، وعلمكَ أسماءَ كلٍّ شيءٍ، اشفع لنا عند ربِّك حتى يُريحَنا من مكاننا هذا. فيقول: لستُ هناكم. ـ ويذكر خطيئته التى أصاب: أكلهُ من الشجرة وقد نُهى عنها ـ ولكن ائتوا نوحًا أوّل نبيّ بعثَهُ الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا، فيقول: لستُ هناكم ـ ويذكرُ خطيئتَه التي أصاب: سؤالَه: ربَّهُ بغير علم ـ ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرَّحمن. قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لستُ هناكم ـ ويذكر ثلاث كذبات كذبهنَّ

وهو مبهم فيه معنى الكمال لا يعلم ما يراد منه ففسر بما بعده من قوله «أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده» إلى آخره.

قوله: «كل شيء» وضع شيء موضع الأشياء أى: المسميات، لقوله تعالى: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**[1] أى: أسماء المسميات إرادة للتقصى واحدًا فواحدًا حتى يستغرق المسميات كلها.

قوله: «لست هناكم» قض: أى يقول لهم آدم عليه السلام: لست فى المكان والمنزل الذى تحسبوننى، يريد به مقام الشفاعة.

وقوله: «ويذكر خطيئته التى أصاب» اعتذارًا عن التقاعد والتأنى عن الشفاعة، والراجع إلى الموصول محذوف أى التى أصابها، وأكله بدل من خطيئته ـ انتهى كلامه ـ ويجوز أن يكون بيانًا للضمير المبهم المحذوف، نحو قوله تعالى: **﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾**[2]

مح: قال القاضى عياض: لست هناكم **كناية** عن أن منزلتهم دون هذه المنزلة، يقولونه تواضعًا وإكبارًا لما يُسألونه، وقد يكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره، وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهى الأمر إلى صاحبه، ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينًا، وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر لأن تتدرج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وبارك وسلم، ومبادرة النبي ﷺ لذلك وإجابته لرغبتهم لتحققه أن هذه الكرامة والمقام له خاصة.

قال الشيخ محيى الدين رحمه الله: والحكمة فى أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم فى الابتداء، ولم يلهموا سؤال نبينا ﷺ إظهارًا لفضيلة نبينا ﷺ، فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا، فأما إذا سألوه غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا، ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) فصلت: ١٢.

ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه اللهُ التوراة، . وكلَّمه وقرَّبه نجيًّا. قال: فيأتون موسى فيقول إني لستُ هناكم ـ ويذكر خطيئته التي أصاب قَتْلَهُ النفس ـ ولكن ائتوا عيسى عبدَ اللهِ ورسوله وروحَ الله وكلمته» قال: «فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم،

وكمال القرب، وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة المقربين، فإن هذا الأمر العظيم ـ وهى الشفاعة العظمى ـ لا يقدر على الإقدام عليه غيره صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

قوله: «سؤاله ربه بغير علم» موقع سؤاله هنا موقع أكله فى القرينة السابقة، وقوله: «بغير علم» حال من الضمير المضاف إليه فى سؤاله، أى: صادرًا عنه بغير علم، أو من المضاف، أى: ملتبسًا بغير علم، و«ربه» مفعول سؤاله، والمراد بالسؤال قوله: **﴿رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق﴾**(1) طلب أن ينجيه من الغرق، والمراد من قوله: «بغير علم» أنه سأل ما لا يجوز سؤاله، وكان يجب عليه أن لا يسأل كما قال الله تعالى: **﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾**(2) وذلك أنه قال: **﴿إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾**(1) أى: وعدتني أن تنجى أهلى من الغرق وإن ابنى من أهلى فنجه ، قيل له: ما شعرت من المراد بالأهل، وهو من آمن وعمل صالحًا ، وابنك عمل غير صالح.

«مح»: قال **المازرى**: قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح عليهما السلام، فإن قام دليل على أنه أرسل أيضًا لم يصح أنه قبل نوح، لإخبار النبي عن آدم عليه الصلاة والسلام أن نوحًا أول رسول بعث، وإن لم يقم دليل جاز ما قالوا، وصح أن يحمل أن إدريس كان نبيًّا غير مرسل.

قال القاضى عياض: وقد قيل: إن إدريس هو إلياس، وأنه كان نبيًّا في بنى إسرائيل كما جاء فى بعض الأخبار، فإن كان هكذا سقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما، وإن كانا رسولين فإن آدم إنما أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفارًا، بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله تعالى، وكذلك خلفه شيث بعده فيهم، بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض.

قال القاضى : وقد رأيت أبا الحسن ذهب إلى أن آدم ليس برسول ليسلم من هذا الاعتراض، وحديث أبى ذر نص دال على أن آدم وإدريس رسولان.

قوله: «ويذكر ثلاث كذبات» قض: إحدى الكذبات المنسوبة إلى إبراهيم عليه السلام قوله: **﴿إنى سقيم﴾**(3)، وثانيها قوله: **﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾**(4) وثالثها قوله لسارة: «هى أختى» والحق أنها معاريض، ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها «أكاذيب» واستنقص من نفسه لها، فإن من كان أعرف بالله وأقرب منه منزلة كان أعظم خطرًا، وأشد خشية، وعلى هذا القياس سائر ما أضيف إلى الأنبياء من الخطايا.

---

(1) هود: ٤٥. (2) هود : ٤٦.
(3) الصافات : ٨٩. (4) الأنبياء: ٦٣.

ولكن ائتوا محمَّدًا عبدًا غفر اللهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال: «فيأتوني فأستأذن على ربِّي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتُهُ وقعتُ ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمد! وقل تُسمَع، واشفَعْ تُشفّعْ، وسَلْ تُعْطَه». قال«: فأرفع رأسي، فأثني على ربِّي بثناء وتحميد يُعَلّمُنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًّا، فأخرج، فأخرجهم من النَّارِ وأُدخلهم الجنَّة، ثمَّ أعود الثانية فأستأذنُ على ربِّي في

قوله: «غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..» «مح» هذا مما اختلفوا في معناه، قال القاضي: المتقدم ما كان قبل النبوة، والمتأخر عصمتك بعدها.

وقيل: المراد ما وقع منه ﷺ عن سهو وتأويل ـ حكاه الطبري، واختاره القشيري.

وقيل: ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك.

وقيل: المراد أنه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو كان.

وقيل: هو تنزيه له من الذنوب

قوله: «فيؤذن لي» قال القاضي عياض: فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها، والمقام المحمود الذي ادخره الله تعالى له وأعلمه أنه سيبعثه فيه.

قال القاضي: وجاء فى حديث أنس وحديث أبى هريرة رضى الله عنهما: ابتداء النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له بالشفاعة بقوله: «أمتى، أمتى» وقوله: «ما يبقى في النار إلا من قد حبسه القرآن» أى: وجب عليه الخلود، وبين مسلم أن قوله: «وجب عليه الخلود» هو تفسير قتادة الراوى، وهذا التفسير صحيح، ومعناه من أخبر القرآن أنه مخلد فى النار، وهم الكفار، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾[1] وفي هذا دلالة لمذهب أهل الحق أنه لا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد.

قوله: «فأستأذن على ربى فى داره» أى: فأستأذن فى الدخول على دار ربي فيؤذن لي في الدخول عليه.

تو: إضافة دار الثواب هنا إلى الله تعالى كإضافته فى قوله تعالى: ﴿لهم دار السلام﴾[2] على أن اسم السلام اسم من أسماء الله تعالى فى أحد الوجهين ، وإضافتها إلى الله تعالى للشرف والكرامة، والمراد بالاستئذان عليه أن يدخل مكانًا لا يقف فيه داع إلا استجيب، ولا يقوم به سائل إلا أجيب، ولم يكن بين الواقف فيه وبين ربه حجاب، والحكمة فى نقل النبي ﷺ عن موقفه ذلك إلى دار السلام لعرض الحاجة هى أن موقف العرض والحساب موقف السياسة، ولما كان من حق الشفيع أن يقوم مقام كرامة فتقع الشفاعة موقعها أرشد ﷺ إلى

---

(١) النساء: ٤٨. (٢) الأنعام: ١٢٧.

داره فيُؤْذن لي عليه، فإذا رأيتُهُ وقعت ساجدًا. فيدعُني ما شاءَ اللهُ أن يدعَني، ثمَّ يقول: ارفعْ محمَّدُ! وقُلْ تُسمَعْ، واشفعْ تُشفَّعْ، وسلْ تُعْطَه» قال: فأرفعُ رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يعلّمنيه، ثمَّ أشفعْ، فيحدُّ لي حدًا، فأخرجُ، فأُخرجهم من النَّار وأُدخلهم الجنَّة، ثم أعود الثالثة، فأستأذن على ربى فى داره، فيؤذن لى عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى، ثم يقول: ارفع محمد! وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه» قال: «فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع؛ فيحد لى حدا، فأخرج، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النَّار إلا منْ قد حبسه القرآنُ .أي وجب عليه الخلود، ثمَّ تلا هذه الآية (عسى أن يبعثك ربُّكَ مقامًا محمودًا)(١) قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيُّكم» متفق عليه.

النقلة عن موقف الخوف في القيامة إلى موقف الشفاعة والكرامة، وذلك مثل الذي يتحرى الدعاء في مواقف الخدمة ليكون أحق بالإجابة.

قوله: «فيحد لى حدًا» تو: يريد أنه يبين لى فى كل طور من أطوار الشفاعة حدًا أقف عنده فلا أتعداه، مثل أن يقول: «شفعتك فيمن أخل بالجماعات»، ثم يقول: «شفعتك فيمن أخل بالصلوات» ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى، وعلى هذا ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على ما فيه من الشفاعة.

قوله: «فأخرجهم من النار» فإن قلت: دل أول الكلام على أن المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهموا وحزنوا لذلك وطلبوا أن يخلصهم من ذلك الكرب، ودل قوله: «فأخرجهم من النار» على أنهم من الداخلين فيها، فما وجهه؟.

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: لعل المؤمنين صاروا فرقتين، فرقة سيق بهم إلى النار من غير توقف، وفرقة حبسوا فى المحشر واستشفعوا به ﷺ فخلصهم مما هم فيه وأدخلهم الجنة، ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرًا بعد زمر، كما دل عليه قوله: «فيحد لى حدًا إلخ»، فاختصر الكلام، وهو من حلية التنزيل وقد ذكرنا قانونًا في فتوح الغيب في سورة هود يرجع إليه في مثل هذا الاختصار(٢).

وثانيهما: أن يراد بالنار الحبس والكرب، وما كانوا فيه من الشدة ودنو الشمس إلى رءوسهم وحرها وسفعها، وإلجامهم بالعرق، وبالخروج الخلاص منها ـ والله أعلم ـ.

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) قال الملا على القارى: «مراده أنه ذكر الفرقة الثانية واقتصر على خلاصها لأنه يفهم منه خلاص الفرقة الأولى بالأولى، وقد يقال: إنه من باب الاكتفاء» المرقاة شرح المشكاة ١٠/ ٢٨٠.

٥٥٧٣ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يوم القيامة ماج النَّاس بعضهم في بعض، فيأتونَ آدم فيقولون: اشفع إلى ربِّك: فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمَّد، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربِّي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ له ساجدًا، فيقال: يا محمّد! ارفعْ رأسَك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يارب! أُمَّتي أُمَّتي. فيقال: انطلق، فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلقُ فأفعل، ثمَّ أعودُ فأحمده بتلك المحامد، ثمَّ أخرُّ له ساجدًا، فيقال. يا محمَّدُ! ارفع رأسَك ، وقُلْ تُسْمَعْ، وسلْ تُعْطَهْ، واشفع تشفع فأقول: يارب! أمتي أمتي. فيقال: انطلقْ فأخرج

قوله: «وهذا المقام» يحتمل أن يكون فاعل قال الراوى، وأن يكون النبي ﷺ على سبيل التجريد [تعظيمًا لشانه ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ].

الحديث السادس: عن أنس رضي الله عنه: قوله: «لست لها» اللام فيه مثلها فى قوله تعالى: ﴿امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾[1]، الكشاف[2]: اللام متعلقة بمحذوف، واللام هى التى في قولك: أنت لهذا الأمر، أى كائن له ومختص به قال:

أنت لها أحمد من بين البشر

وعلى هذا قوله: «أنا لها» وقوله: «ليس ذلك لك».

قوله: «فيمن قال: لا إله إلا الله» هذا يؤذن بأن ما قدر قبل ذلك بمقدار شعيرة ثم بمثقال حبة من خردل، غير الإيمان الذي يعبر به عن التصديق والإقرار، وهو ما يوجد فى القلوب من ثمرة الإيمان، وهو على وجهين: أن يراد بالثمرة ازدياد اليقين وطمأنينة النفس، لأن ظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقوته.

وأن يراد بها العمل وأن الإيمان يزيد وينقص بالعمل، وينصر هذا الوجه حديث أبى سعيد بعد هذا، يعني قوله: «ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط».

---

(١) الحجرات: ٣ .

(٢) الكشاف: ٤/٦.

من كان في قلبه مثقال ذرة أوخر دلة من إيمان، فانطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأقول: يارب! أمتى أمتى. فيقال: انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبّةٍ خردلةٍ من إيمان، فأخرجه من النار. فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعةَ فأحمده بتلك المحامِد، ثم أخرُّ له ساجدًا فيقال: يامحمَّدُ! ارفعْ رأسَكَ، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأقول: يارب! ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله». متفق عليه

٥٧٤٤ ـ * عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامة من قال: لا إِله إِلا الله خالصا من قلبه أو نفسه». رواه البخاري.

خط: حبة الخردل مثل في القلة لا في الوزن لأن الإيمان ليس بجسم يحصل به الوزن والكيل، ولكن ما يشكل في العقول يرد إلى العيار المحسوس ليعلم.

قوله: «ليس ذلك لك» قض: أى: ليس هذا لك، وإنما أفعل ذلك تعظيمًا لاسمى وإجلالا لتوحيدى، وهو مخصوص بعموم قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة» الحديث. ويحتمل أن يجرى على عمومه ويحمل على حال ومقام آخر.

أقول: إذا فسرنا ما يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة من ازدياد اليقين أو العمل، وذكرنا أن ما يختص به رسول الله ﷺ هوالإيمان مع الثمرة من ازدياد اليقين أو العمل فلا اختلاف.

الحديث السابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أسعد الناس» قض: أسعد هنا بمعنى السعيد، إذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من أهل التوحيد، أو المراد بمن قال من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فإن احتياجه إلى الشفاعة أكثر، وانتفاعه بها أوفر.

أقول: قد سبق أن حلول شفاعته إنما هو في حق من أثمر إيمانه إما مزيد طمأنينة أو عمل، وتختلف مراتب اليقين والعمل فيكون التفضيل بحسب المراتب، ولذلك أكد خالصًا بقوله: «من قلبه» أى: خالصًا كائنا من قلبه، وقد علم أن الإخلاص معدنه ومكانه القلب، فذكر القلب ها هنا تأكيد وتقرير، كما في قوله تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾(1) الكشاف(2): فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: فإنه آثم، وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده؟».

قلت: كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان إثمًا مقترفًا بالقلب أسند

---

(1) البقرة: ٢٨٣.

(2) الكشاف ١/ ١٧٠.

٥٥٧٥ ـ * وعنه، قال: أتيَ النبي ﷺ بلحمٍ فَرُفِع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيِّد الناسِ يومَ القيامةِ، يومَ يقوم الناس لرب العالمين، وتدنو الشمس فيبلغُ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقول الناس: ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربِّكم؟ فيأتون آدم». وذكر حديث الشفاعة وقال: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقعُ ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عَليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم قال: يا محمَّد! ارفعْ رأسَكَ، وسَلْ، تُعطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأرفع رأسي فأقول: أمَّتي يارب! أُمَّتي يارب! فيقال: يا محمَّدُ! أَدْخل من أُمَّتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبوابِ الجنةِ، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذي نفسي بيده إِنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنَّة كما بين مكة وهَجَر». متفق عليه.

٥٥٧٦ ـ * وعن حذيفةَ في حديث الشفاعة، عن رسول الله ﷺ قال: «وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جَنَبَتي الصراط يمينا وشمالا». رواه مسلم.

إليه، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عيني، ومما سمعته أذني، ومما عرفه قلبي؟.

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «يوم يقوم الناس» بدل من قوله: «يوم القيامة».

قوله: «إن ما بين المصراعين» مظ: المصرعان البابان المغلقان على منفذ واحد، والمصراع مفعال من الصرع وهو الإلقاء، وإنما سمى الباب المغلق مصراعًا لأنه كثير الإلقاء والدفع.

وقيل: «هجر» قرية من قرى المدينة، وقيل: قرية من قرى البحرين، يعني مسافة ما بين البابين كمسافة ما بين مكة وهجر ـ والله أعلم ـ.

الحديث التاسع عن حذيفة رضي الله عنه، قوله: «جنبتي الصراط» تو: يريد بجنبتي الصراط ناحيتيه اليمنى واليسرى، يقال: جنبه وجنبته بالتحريك وجنابته وجنابتيه، والمعنى: أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة أمرهما يتمثلان هناك للأمين والخائن، والواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق الذي رعاهما، ويشهدان على المبطل الذي أضاعهما ليتميز كل منهما، وقيل: يرسل من الملائكة من يحاج لهما وعنهما، وفي الحديث حث على رعاية حقهما والاهتمام بأمرهما.

٥٥٧٧ ـ * وعن عبدِ الله بنِ عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: (**ربِّ إنهنَّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني**)[١] وقال عيسى: (**إِن تعذِّبهم فإنهم عبادك**)[٢] فرفع يديه، فقال: «اللهم أمتي أمَّتي» وبكى فقال الله تعالى: «يا جبريل! اذهب إِلى محمَّد، وربُّك أعلم، فسله ما يبكيه؟» فأتاه جبريلُ

أقول: ويمكن أن تحمل الأمانة على الأمانة العظمى، وهي ما في قوله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان**﴾[٣] وصلة الرحم صلتها الكبرى وهي ما في قوله تعالى: ﴿**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...**﴾ إلى قوله: ﴿**... واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾[٤] فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وكأنهما اكتنفا جنبي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وقطري الإيمان والدين القويم.

الحديث العاشر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قوله: «وقال عيسى» مح: هو مصدر يقال: قال قولا وقالا وقيلا، وقد أضيف إلى عيسى عطفًا على مفعول تلا، أي: قول الله وقول عيسى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾[٢] أقول: لعله ﷺ أتى بذكر الشفاعة التى صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية، لأن المعنى أن الأصنام أضللن كثيراً من الناس، فمن تاب من عبادتها وتبعنى في التوحيد فإنه متصل بي، فاقبل شفاعتي فيهم، فلابد من تقدير تاب لأنه مصحح الشفاعة في حق المشركين وعن روح الله كذلك، لأن الضمير في قوله: ﴿**وإن تغفر لهم**﴾[٥] راجع إلى من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فيكون التقدير إن تغفر لهم بعد ما تابوا عن ذلك فإنك غفور رحيم، وعقبه بقوله: «أمتى، أمتى» ليبين الفرق بين الشفاعتين، وبون ما بين المنزلتين، وتحريره أن قوله: «أمتي أمتي» متعلق بمحذوف، إما أن يقدّر: «شفعني في أمتي وأرضنى فيها» أو: «أمتي ارحمهم.. وأرضني بالشفاعة فيهم» **والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام، وهذا يدل على الجزم والقطع والتكرير لمزيد التقرير**، ومن ثم أجيب في الحديث: بقوله: «إنا سنرضيك» حيث أتى بإن وضمير التعظيم وسين التأكيد، ثم أتبعه بقوله: «لا نسوؤك» تقريراً بعد تقرير على **الطرد والعكس**، وفي التنزيل: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[٦] زيد لام الابتداء على حرف الاستقبال، ولفظة «ربك» وجمع بين حرفي التوكيد والتأخير، فيكون المعنى: ولأنت سوف يعطيك ربك وإن تأخر العطاء.

وقوله: «وربك أعلم» من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي أن يتوهم، فهو كقوله

---

(١) إبراهيم: ٣٦ (٢) المائدة: ١١٨
(٣) الأحزاب: ٧٢ (٤) النساء: ١.
(٥) المائدة: ١١٨ (٦) الضحى: ٥

فسأله فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال. فقال الله لجبريل: «اذهب إلى محمَّد، فقل: إنا سنرْضيكَ في أمَّتك ولا نسوؤك». رواه مسلم.

٥٥٧٨ ـ * وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ ناسًا قالوا: يارسول الله! هل نرى ربَّنا يوم القيامةِ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم، هل تُضَارّون في رؤية الشمس بالظهيرةصَحْوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤيةِ القمر ليلة البدر صحْوًا ليس فيها سحاب؟». قالوا: لا، يارسول الله! قال: «ما تضارون في رؤية الله يومَ القيامةِ إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما. إذا كان يومُ القيامةِ أذَّن مؤذن ليتَّبعْ كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبد. فلا يبقى أحدٌ كانَ يعبد غيرَ الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى

تعالى: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾[1] في قوله تعالى: ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾[1] اللهم ارزقنا شفاعة هذا النبي ﷺ المكرم والشفيع المشفع يوم الدين، ولا تسؤه فينا بأن تحرمنا شفاعته يارب العالمين.

مح: هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد: منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه في أمرهم.

ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة المرحومة زادها الله شرفًا بما وعده الله تعالى بقوله: «سنرضيك في أمتك ولا نسوؤكَ» وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة.

ومنها: بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظم لطفه سبحانه وتعالى به ﷺ، والحكمة في إرسال جبريل عليه السلام لسؤاله ﷺ إظهار شرفه وأنه بالمحل الأعلى فسترضى وتكرم.

«ولا نسوؤك» تأكيد للمعنى، أي: لا نخزيك في حق أمتك، لما قد يتوهم أن قوله: «سنرضيك» قد يراد به في حق البعض بأن يعفو عنهم ويدخل الباقي في النار، فقال الله تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك حزنًا بل ننجي الجميع.

الحديث الحادي عشر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

قوله: «والأنصاب» الأنصاب جمع نصب، وهي حجارة كانت تعبد من دون الله تعالى ويذبحون عليها تقربًا إلى آلهتهم، وكل ما نصب واعتقد تعظيمه من الحجر والشجر فهو نصب.

---

(١) المنافقون: ١

إِذا لم يبقَ إِلا من كان يعبدُ الله من بَر وفاجر، أتاهم رب العالمين قال: فماذا

قوله: «أتاهم رب العالمين» قال الشيخ الإمام أبو الفتوح العجلي في كتاب الأقاويل المشهورة: قال البيهقي: قد تكلم الشيخ أبو سليمان الخطابي رحمه الله في تفسير هذا الحديث وتأويله بما فيه الكفاية، قال: إن هذا موضع يحتاج الكلام فيه إلى تأويل وتخريج، وليس ذلك من أجل أننا ننكر رؤية الله سبحانه وتعالى بل نثبتها، ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر المجيء والإتيان غير أنا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالا كمجيء الأشخاص وإتيانها فإن ذلك من نعوت الحدث تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ويجب أن يعلم أن الرؤية التي هي ثواب الأولياء وكرامة لهم في الجنة غير هذه الرؤية المذكورة في مقامهم، واحتج بحديث صهيب في الرؤية بعد دخول الجنة، وإنما تعرضهم لهذه الرؤية امتحان من الله تعالى فيقع به التمييز بين من عبد الله تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين معبوده، وليس ينكر أن يكون الامتحان إذ ذاك بعد قائما، وحكمه على الخلق جاريًا حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب والعقاب، ثم ينقطع إذا حقت الحقائق واستقرت أمور العباد قرارها، ألا ترى قوله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾**(١) وجاء في الحديث : إن المؤمنين يسجدون وتبقى ظهور المنافقين طبقًا واحدًا.

قال: ويخرج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليتيقنوه، فتكون معرفتهم له في الآخرة عيانًا، كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علمًا واستدلالا، ويكون طريق الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه.

قيل: ويشبه ـ والله أعلم- أن يكون إنما حجبهم عن تحقق الرؤية في الكرة الأولى حتى قالوا: «هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا» من أجل من معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما تميزوا عنهم ارتفع الحجب، فقالوا عندما رأوه: «أنت ربنا».

قال الشيخ: والذي يوضح ما ذكره الإمام أبو سليمان أن الدنيا وإن كانت دار ابتلاء فقد يتحقق الجزاء في بعض الأحوال كما قال الله تعالى: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾**(٢) فكذا الآخرة وإن كانت دار جزاء فقد يقع فيها الابتلاء، بدليل أن القبر وهو أول منزل من منازل الآخر يجرى فيه الابتلاء.

ثم قال: فليس معنى الخبر هذا فذاك، وإلا فمعناه ما أراد ﷺ مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة ومشابهة ـ والله أعلم ـ .

تو: إتيان الله في الكتاب مفسر بإتيان أمره وإتيان بأسه، ولفظ التنزيل محتمل لكلا القولين، فأما هذا الحديث فإنه مؤول على إتيان أمره، وهو قوله: «فماذا تنتظرون؟» ومن السلف

(١) القلم: ٤٢ (٢) الشوري: ٣٠

تنظرون؟ يَتَّبعُ كل أمَّة ما كانت تعبد. قالوا: ياربَّنا! فارَقْنا النَّاس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نُصاحبهم». [٥٥٧٨]

من يتنزه عن تأويله خشية الخطأ مع تمسكه بالعروة الوثقى وهي تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما تتحدث به النفوس من أوصاف الخلق، وعلى هذا القول في حديث أبي هريرة رضى الله عنه «هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه» ويجوز أن يعبر بالإتيان والمجيء عن التجليات الإلهية والتعريفات الربانية، ولا سبيل إلى القول في هذا الحديث وأمثاله إلا من أحد الطريقين: إما التأويل على النسق الذي بينا، وإما السكوت على الوجه الذي ذكرنا.

«مح»: الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه، لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان، فعبر بالإتيان عن الرؤية مجازًا.

وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه الله إتيانًا.

وقيل: المراد بالإتيان إتيان بعض ملائكته.

قال القاضي عياض: وهذا الوجه أشبه عندى بالحديث، أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة من صور ملائكته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم، فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة: أنا ربكم، ورأوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه.

أقول: قول من قال: إن الرؤية حقيقية غير أنا لا نكيف ذلك ونحيل كنه معرفتها إلى علم الله تعالى، وتفسير الإتيان بالتجليات الإلهية والتعريفات الربانية، هو القول الحق، لأن هذا الإتيان مسبوق بقوله: هل تضارون في رؤية الشمس؟ وقد أكده بقوله: بالظهيرة صحوًا، وزاد في تقريره وتأكيده بقوله: ليس معها سحاب، وكذا قوله: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر...؟ إلى آخره، فإن ليلة البدر هنا بمنزلة الظهيرة هناك، وأنت قد عرفت أن التأكيد والتقرير إنما يصار إليه لدفع توهم التجوز ورفع الخطأ والسهو، فإذا ذهبنا إلى المجاز في هذا المقام فكيف نأمن مثله في إثبات الرؤية الحقيقية في الجنة؟ ولا يذهب إلى هذا إلا من أنكر الرؤية مطلقًا كالمعتزلة وأشباههم

قوله: «فماذا تنظرون؟» أي: قلنا لكم: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فبعضكم اتبع ما عبده فلم لا تتبعونهم؟.

وكان من جوابهم: إنا ما تبعناهم ما دمنا في الدنيا عند أفقر أوقات كوننا محتاجين إليهم، فكيف نتبعهم الآن وهم مع ما يعبدون من دون الله حصب جهنم؟.

[٥٥٧٨] فتح ٨/ ٢٤٩

٥٥٧٩ ـ * وفي رواية أبي هريرةَ «فيقولون: هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا ، فإذا جاءَ ربنا عرفناه».

وفي رواية أبي سعيد: «فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقٍ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاءِ نفسه إلا أذنَ اللهُ له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل اللهُ ظهره طبقةً واحدةً، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلِّم سلِّم، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير

فقوله: «أفقر» حال، و«ما» مصدرية، و«الوقت» مقدر كما سبق.

مح: معناه أنهم تضرعوا إلى الله تعالى، ولجئوا إليه، وتوسلوا بهذا القول المشعر بالإخلاص إلى الخلاص، يعني: ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك من الأقرباء وممن يحتاج إليهم في المعاش والمصالح الدنيوية، وهكذا كان دأب الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين في جميع الأحوال والأزمان فإنهم كانوا يقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم إليه، وآثروا رضا الله تعالى على ذلك.

قوله: «من تلقاء نفسه» أي: من نحوها وجهتها مخلصًا لا لجهة اتقاء الخلق وتعلق الرجاء بهم، وهذا أيضًا يدل على أن الرؤية هي الرؤية الحقيقية.

«مح»: هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده، وقد استدل بهذا، وبقوله تعالى: **﴿يدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾**[1] على جواز تكليف ما لا يطاق.

وقوله: «طبقة واحدة» أي: صفحة، أي: صار فقار ظهره واحدة كالصفحة، وقد يتوهم في هذا الحديث أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين، وهو باطل، إذ ليس في الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى، وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الله تعالى، ثم يمتحن بالسجود، فمن سجد كان مخلصًا، ومن لم يقدر عليه كان منافقًا، وهذا لا يدل على أن المنافقين يرون الله تعالى.

قوله: «تحل الشفاعة» أي: تقع ويؤذن فيها.

قوله: «ويقولون: اللهم سلم سلم» القائلون الرسل بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه بعد هذا.

---

(١) القلم: ٤٢

وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوش مرسَلٌ، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خَلَص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدةً في الحق ـ قد تبين لكم ـ من المؤمنين لله يومَ القيامةِ لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنا! كانوا يصومون معنا، ويصلُّون، ويحجُّون. فيقال لهم: أخرجوا من

قوله: «كأجاويد الخيل» نه: هي جمع أجواد وأجواد جمع جواد، وهي الفرس السابق الجيد.

قوله: «فناج مسلَّم...» قسم المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق، قسم مسلَّم فلا يناله شيء أصلا، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم؛ وخدش الجلد قشره بعود أو نحوه، خدشه يخدشه خدشًا.

مح: «مكدوس» بالسين المهملة هكذا هو في الأصول، وكذا نقله القاضي عياض عن أكثر الرواة، قال: ورواه العذري بالشين المعجمة، ومعناه بالمعجمة السوق الشديد، وبالمهملة كون الأشياء بعضها راكبة على بعض، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضًا.

مح: «مكدوس في النار» أى جمعت يداه ورجلاه وألقي فيها.

قوله: «حتى إذا خلص» «حتى» غاية قوله: «ومكدوس في نار جهنم» أى: يبقى المكدوس في النار حتى يخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه، أو بشفاعة الرسول ﷺ أو بفضل الله تعالى، وَوُضِعَ المؤمنون في موضع الراجع إلى المكدوس إشعارًا بالعلية وأن صفة الإيمان منافية للخلود في النار.

قوله: «ما من أحد منكم» خطاب للمؤمنين.

قوله: «بأشد» خبر.

و«مناشدة» منصوب على التمييز.

و«في الحق» ظرف له.

و«قد تبين» حال إما من الضمير في أشد، وإما من الحق.

و«من المؤمنين» متعلق أفعل، أي: بأشد مناشدة منكم، فوضع المظهر موضع المضمر.

و«لله» متعلق بمناشدة.

مح: معناه ما منكم من أحد يناشد الله في الدنيا في استيفاء حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه والمعتدي عليه بأشد منكم مناشدة لله تعالى في الشفاعة لإخوانكم يوم القيامة ـ انتهى كلامه ـ .

وقوله: «يقولون: ربنا كانوا يصومون» بيان لمناشدتهم في الآخرة.

عرفتم، فَتُحرَّم صورُهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا! ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجونَ خلقًا كثيرًا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرَّة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربَّنا لم نذر فيها خيرًا. فيقول اللهُ: شَفَعتِ الملائكةُ، وشَفَعَ النبيُّونَ، وشَفَعَ المؤْمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين ، فيقبض قبضةً من النارِ فيُخرجُ منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ قد عادوا حُمَمًا فيُلقيهم في نهرٍ في أفواهِ الجنةِ يُقال له: نهرُ الحياةِ،

وقوله: «لم نذر فيها خيرًا» أي: من كان فيه شيء من ثمرات الإيمان، من ازدياد اليقين والعمل الصالح، فوضع الخير موضع الذات كما يوضع العدل موضعه مبالغة.

«مح» قال القاضي عياض : قيل: معنى الخير هنا اليقين. .

قال: والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان، لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ بشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي أو عمل من أعمال القلب من الشفقة على مسكين، أو خوف من الله تعالى ونية صادقة.

قوله: «فيقبض قبضة من النار» هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم تؤذن فيهم الشفاعة، وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان، وفيه دليل: على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته نية، وعلى: زيادة الإيمان ونقصانه وهو مذهب أهل السنة.

والحمم : جمع حمة وهي الفحمة.

وعاد: بمعنى صار، ومنه حديث كعب: «وددت أن يعود هذا اللبن قطرانا» أى يصير.

و«أفواه» جمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة، وهو جمع سمع من العرب على غير قياس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها.

قوله: «كما تخرج الحبة» «حس»: الحبة بكسر الحاء وتشديد الباء، اسم جامع لحبوب البقول التي تنتشر إذا هاجت الريح، ثم إذا أمطرت من قابل نبتت.

وقال الكسائي: هي حب الرياحين، فأما الحنطة ونحوها فهي الحب لا غير، والحبة من العنب* فبالفتح.

---

* هكذا فى (ك) وفى (ط) [الحب].

فيخرجونَ كما تخرجُ الحِبَّةُ في حميلِ السَّيل، فيخرجونُ كاللؤلؤ، في رقابِهم الخواتمُ، فيقول أهلُ الجنةِ: هؤلاءِ عُتقاءُ الرحمنِ أدخلَهمُ الجنةَ بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموهُ، فيُقالُ لهم لكم ما رأيتم ومثلُه معه». متفق عليه.

٥٥٨٠ ـ * وعنه: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النارِ النارَ يقولُ اللهُ تعالى: من كانَ في قلبِه مثقالُ حبَّة من خردل من إيمان فأخرجوهُ، فيخرجون قد امْتَحَشُوا، وعادوا حممًا، فيُلقونَ في نهرِ الحياةِ، فينبتونَ كما تنبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيلِ، ألم ترَوْا أنَّها تخرُجُ صفراءَ مُلْتَوِيةً». متفق عليه.

٥٥٨١ ـ * وعن أبي هريرة، أن الناس قالوا: يارسول الله! هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ فذكر معنى حديثِ أبي سعيد غيرَ كشفِ السَّاقِ وقال: «يُضربُ الصِّراط بينَ ظهرانَيْ جهنمَ، فأكونُ أوَّلَ من يَجوزُ من الرُّسل بأمَّته، ولا يتكلَّمُ يومئذ إلا الرسلُ، وكلامُ الرُّسل يومئذ: اللهمّ سلّم سلّم. وفي جهنمَ كلاليب مثلُ شَوْكِ السَّعدانِ، لا

و«حميل السيل»: هو ما يحمله السيل من غثاء أوطين، فإذا اتفق فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتة نباتًا.

مح: وإنما شبه بها لسرعة نباته وحسنه وطراوته.

قوله: «في رقابهم الخواتيم» قال صاحب التحرير: المراد بالخواتيم هنا أشياء من ذهب أو غيره تعلق في أعناقهم يعرفون بها.

قوله: «لكم ما رأيتم» فيه حذف، أي: ينظرون في الجنة إلى أشياء ينتهى إليها بصرهم، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه.

الحديث الثاني عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «قد امتحشوا» جملة حالية، «مح»: هو بفتح التاء المثناة، والحاء المهملة، والشين المعجمة هكذا هو في الروايات وبه ضبطه الخطابي والهروي، ونقله القاضي عياض عن شيوخه، ومعناه احترقوا، قال القاضي عياض: ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه. قوله: «كلاليب» هي جمع كلوب، وهي حديدة معقوفة الرأس يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور.

و«السعدان» بفتح السين نبت له شوكة عظيمة يقال له: حسيكة.

يعلمُ قدرَ عظَمِها إلا اللهُ، تخطفُ الناسَ بأعمالِهم، فمنهم من يُوبَقُ بعمله ، ومنهم مَن يُخردَلُ ثم ينجو، حتى إذا فرغَ اللهُ منَ القضاءِ بينَ عبادِه وأرادَ أن يخرجَ منَ النَّار من أراد أن يُخرجَه ممَّن كانَ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، أمرَ الملائكةَ أنْ يُخرجوا من كان يعبدُ الله، فيُخرجونَهم ويعرِفونهم بآثارِ السُّجودِ، وحرَّم اللهُ تعالى على النارِ أن تأكل أثر السجود، فكلُّ ابن آدم تأكلُه النَّارُ إلا أثر السجودِ، فيخرجونَ من النارِ قد امتَحشوا، فيصبُّ عليهم ماء الحياة، فينبُتونَ كما تنبتُ الحبَّةُ في حميلِ السَّيل، ويبقى رجلٌ بينَ الجنَّة والنار، وهو آخرُ أهلِ النارِ دُخولا الجنة، مُقبلٌ بوجهِهِ قِبَلَ النارِ، فيقول: ياربِّ! اصرِف وجهي عن النار، فإنه قد قشَبني ريحُها، وأحرقني ذكاؤُها،

وقوله: «تخطفهم» يروى بفتح الطاء وكسرها أى تخطفهم بسبب أعمالهم القبيحة أو بحسب أعمالهم.

قوله: «فمنهم من يوبق بعمله»نه: وبق يبق، ووبق يوبق إذا هلك، وأوبق غيره فهو موبق أى: مهلك.

والمخردل: المتقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوى في النار، يقال: خردلت اللحم بالدال والذال، أي : فصلت أعضاءه وقطعته ـ انتهى كلامه ـ.

والفاء في قوله: «فمنهم» تفصيل للناس الذين تخطفهم الكلاليب بحسب أعمالهم، فالكافر يوبق، والمؤمن العاصي إما مخدوش مرسل أو مكدوس مخردل في نار جهنم ثم ينجو.

و«حتى إذا فرغ الله» غاية قوله: «يخردل» ونحوه سبق في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون.

وقوله: «ثم ينجو» كالمجمل للتفصيل لأن **المضارع قد يراد منه الاستمرار والتكرير**.

قوله: «إلا أثر السجود» أى : إلا موضع أثر السجود.

مح: ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة وهي: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان.

وقال القاضي عياض: المراد بأثر السجود الجبهة خاصة.

والمختار الأول.

و«قشبني» أي: سمني وآذاني وأهلكني، وقال الداودي: معناه غير جلدي وصورتي.

و«ذكاؤها» بالمد وفتح الذال المعجمة، وكذا وقع في جميع روايات الحديث أي : لهبها

فيقولُ: هل عسَيتَ إن أفعلْ ذلك أن تسألَ غيرَ ذلكَ؟ فيقول: لا وعزَّتكَ، فيُعطي اللهَ ما شاءَ من عهدٍ وميثاقٍ، فيَصرفُ اللهُ وجهَه عن النار، فإذا أقبلَ به على الجنةِ ورأى بهجتَها، سكتَ ما شاءَ اللهُ أن يسكتَ، ثمَّ قال: يارب! قدِّمني عند بابِ الجنةِ، فيقول اللهُ تبارك وتعالى:أليس قد أعطيت العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذي كنتَ سألت. فيقول: ياربِّ! لا أكونُ أشقى خلقكَ. فيقول: فما عسيت إن أُعطيتَ ذلكَ أن تسألَ غيرَه. فيقول : لا وعزَّتك لا أسألُكَ غيرَ ذلكَ، فيُعطي ربَّه ما شاءَ من عهد وميثاقٍ، فيُقدمُه إلى باب الجنة، فإذا بلغَ بابَها فرأى زهرتَها وما فيها من النَّضرةِ والسرور، فسكتَ ما شاءَ اللهُ أن يسكتَ، فيقول: يارب ! أدخلنى الجنَّةَ فيقول اللهُ تباركَ

واشتعالها وشدة وهجها، والأشهر في اللغة مقصورة وقيل: إن القصر والمد لغتان، يقال: ذكت النار تذكو إذا اشتعلت، وأذكيتها أنا.

قوله: «أن تسأل غير ذلك» خبر عسى، و«إن أفعل ذلك» معترض بينهما، والمعنى: هل يتوقع منك السؤال؟.

فإن قلت: كيف يصح هذا من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون؟.

قلت: معناه أنكم يا بنى آدم لما عهد منكم من رخاوة الوعد ونقص العهد أحقاء بأن يقال لكم: يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ذلك أم لا؟ وحاصله أن معنى عسى راجع إلى المخاطب لا إلى الله تعالى: وهو من باب إرخاء العنان وبعث المخاطب على التفكر فى أمره وشأنه لينصف من نفسه ويذعن للحق.

والبهجة: الحسن والنضارة، وبهجة الجنة حسنها وحسن ما فيها من النعيم، يقال بهج الشيء يبهج فهو بهيج، وبهج به بالكسر إذا فرح به وسر.

قوله: «لا أكون أشقى خلقك» فإذا قلت: كيف طابق هذا الجواب قوله: «أليس قد أعطيت العهود والميثاق؟».

قلت: كأنه قال: يارب بلى أعطيت العهود والميثاق، ولكن تأملت فى كرمك وعفوك ورحمتك وقولك: ﴿**لا تيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾[1]. فوقفت على أنى لست من الكفار الذين أيسوا من رحمتك، وطمعت فى كرمك وسعة رحمتك، فسألت ذلك، وكأنه تعالى رضى عنه بهذا القول فضحك.

قوله: «فسكت» كذا فى صحيح البخارى وأكثر نسخ المصابيح، فعلى هذا جواب «إذا»

---

(١) يوسف: ٧٨.

وتعالى: ويلكَ يا بن آدَمَ! ما أغدرَكَ! أليسَ قد أعطيتَ العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذي أُعطِيتَ. فيقول: ياربِّ! لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزالُ يدعو حتى يضحكَ الله منه، فإذا ضحكَ أذنَ له في دخول الجنةِ، فيقولُ: تمن، فيتمنَّى حتى إذا انقطعتْ أُمنيّتُه قال اللهُ تعالى: تمنَّ مِن كذا وكذا، أقبلَ يذكّره ربُّه، حتى إذا انتهت به الأماني قال اللهُ: لكَ ذلكَ ومثلُه معه».

وفي رواية أبي سعيد: «قال اللهُ: لكَ ذلكَ وعشرةُ أمثاله». متفق عليه.

٥٥٨٢- * وعن ابن مسعود، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «آخرُ من يدخلُ الجنةَ رجل، يمشي مرةً ويكبُو مرةً وتسفَعُه النارُ مرةً، فإذا جاوزَها التفتَ إليها فقال: تبارك الذي نجَّاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع

محذوف، والمعنى: إذا بلغ ورأى ما رأى تحير فسكت، ونظيره قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾[1] .

قوله: «تمنَّ من كذا» خط: «من» فيه للبيان، يعنى تمن من كل جنس ما تشتهى منه.

أقول: نحوه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾[2] ويحتمل أن تكون زائدة فى الإثبات على مذهب الأخفش.

قوله: «أقبل يذكره ربه» بدل من الجملة السابقة على سبيل البيان، و«ربه» تنازع فيه العاملان.

الحديث الرابع عشر عن ابن مسعود رضى الله عنه:

قوله: «فهو يمشى» الفاء يجوز أن تكون تفصيلية، أبهم أولا دخوله فى الجنة ثم فصل كيفية دخوله فيها ثانيًا، وأن تكون لتعقيب الأخبار، وأن تقدم ما بعدها على ما قبلها فى الوجود فوقعت موقع ثم فى هذا المعنى، كأنه قيل: أخبركم عقيب هذا القول حاله فى المشى قبل دخوله فى الجنة.

وقوله: «لقد أعطانى» جواب قسم محذوف، أى أقسم من الفرح أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين.

و«تسفعه النار» أى أعلمت فى وجهه علامة، يقال: سفعت الشىء إذا جعلت عليه علامة، يريد أثرًا من النار.

---

(١) الزمر: ٧٣ . (٢) نوح: ٤.

له شجرةٌ فيقول: أي ربّ! أَدْنني من هذه الشجرة فلأ ستظِل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله: يا بن آدم! لعلي إِن أعطيتُكَها سألتني غيرَها؟ فيقول: لا يارب! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربُّه يعذره؛ لأنَّه يرَى مالا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فيستظل بظلّها، ويشرب من مائها، ثمَّ ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أى ربِّ أَدنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها، وأستظل بظلّها لا أسألكَ غيرها. فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟! فيقول: لعلى إِن أَدنيتُك منها تسألني غيرَها؟ فيُعَاهده أن لايسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لاصبر له عليه، فيدنيهِ منها

والفاء فى قوله: «فلأستظل» سببية، واللام مزيدة للتأكيد أو عكسه.

قوله: «هذه» منصوبة المحل بالفعل يفسره ما بعده، أى: هذه أسألك ولا أسألك غيرها.

وقوله: «لا أسألك غيرها» حال أو استئناف.

و«يعذره» أى جعله معذوراً، نه: قد تكون «أعذر» بمعنى عذر، ومنه حديث المقداد: «لقد أعذر الله إليك» أى أعذرك وجعلك موضع العذر فأسقط عنك الجهاد.

وقوله: «لا أسألك غيرها» حال تنازع فيه: أستظل وأشرب.

قوله: «سألتنى» جواب الشرط، وهو دال على خبر لعل.

قوله: «ما يصرينى» نه: وفى رواية: «ما يصريك منى» أى ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالى، يقال: صريت الشىء إذا قطعته، وصريت الماء وصريته إذا جمعته وحبسته.

تو: صرى الله عنه شره إذا رفع، وصريته منعته، وصريت ما بينهم صريًا أى فصلت، يقال: اختصمنا إلى الحاكم فصرى ما بيننا، أى قطع ما بيننا وفصل، وحسن أن يقال: ما يفصل بينى وبينك، أى ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك والمعنى أنى أجبتك إلى مسألتك كرة بعد أخرى وأخذت ميثاقك أن لا تعود ولا تسأل غيره وأنت لا تفى بذلك، فما الذى يفصل بينى وبينك فى هذه القضية، ويكون على وجه **المجاز** والاتساع والمبتغى منه التوقيف على فضل الله ورحمته وكرمه وبره بعباده حتى أنه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سائله على الاستزادة، وقال الشيخ: وفى المصابيح: «ما يصرينى منك» وهو غلط، والصواب: «ما يصريك منى» كذا رواه المتقنون من أهل الرواية، «مظ»: يمكن أن يحمل على القلب فأصله: ما يصريك منى، وقلب للعلم به، والقلب شائع فى كلامهم ذائع فى استعمالهم.

أقول: «الرواية صحيحة والمعنى صحيح على سبيل **الكناية**.

فيستظلُّ بظلِّها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرةٌ عند بابِ الجنةِ هي أحسنُ من الأوليَين، فيقول: أى ربِّ أدْنِني من هذهِ فلأستظلَّ بظلِّها وأشرب من مائها، لا أسألك غَيرَها. فيقول: يا بن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غَيرَها ؟! قال: بلى يارب! هذه لا أسألك غَيرَها، وربه يعذره لأنه يرَى مالا صبر له عليه، فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصواتَ أهل الجنَّة، فيقولُ: أى ربِّ! أدخلنيها فيقول: يا بن آدم! ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. قال: أي ربِّ! أتستهزئ مني وأنت ربّ العالمين؟ فضحك ابنُ مسعودٍ، فقال: ألا تسألوني مم

مح: «يصريني» بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة كذا فى صحيح مسلم، وروى فى غير مسلم: «ما يصريك مني» قال إبراهيم الحربى: هو الصواب وأنكر الرواية الأولى التى فى صحيح مسلم وغيره، وليس كما قال، بل كلاهما صحيح، وإن السائل متى انقطع عن المسئول انقطع المسئول عنه، والمعنى: أى شيء يرضيك ويقطع السؤال بينى وبينك - انتهى كلامه- وكأن هذا من توارد الخواطر كوقع الحافر على الحافر.

وقوله: «أتستهزئ منى وأنت رب العالمين؟»: وارد من القائل على سبيل الفرح والاستبشار.

مح: قال القاضى عياض: هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما قال من السرور ببلوغ مالم يخطر بباله، فلم يضبط لسانه دهشة وفرحًا، وجرى على عادته فى الدنيا فى مخاطبة المخلوق، ونحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح: «أنت عبدى وأنا ربك».

تو: الضحك من الله تعالى ومن رسوله وإن كانا متفقين فى اللفظ فإنهما متباينان فى المعنى، وذلك أن الضحك من الله سبحانه يحمل على كمال الرضا عن العبد، وإرادة الخير ممن يشاء أن يرحمه من عباده.

قض: وإنما ضحك رسول الله ﷺ استعجابًا وسرورًا بما رأى من كمال رحمة الله ولطفه على عبده المذنب وكمال الرضا عنه، وأما ضحك ابن مسعود فكان اقتداء بسنة رسول الله ﷺ لقوله: «هكذا ضحك رسول الله ﷺ».

قوله: «ولكنى على ما أشاء قادر»* فإن قلت: لم استدركه؟.

قلت: «عن مقدر فإنه تعالى لما قال له: «أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟» فاستبعده العبد لما رأى أنه ليس أهلا لذلك وقال: أتستهزئ بى؟ قال سبحانه وتعالى: نعم كنت لست أهلا له لكنى أجعلك أهلا لها وأعطيك ما استبعدته لأنى على ما أشاء قادر قدير.

---

* لفظ (قادر) رواية أخرى فى الحديث.

أضحك، فقالوا: ممَّ تضحكُ؟ فقال: هكذا ضحكَ رسولُ الله ﷺ فقالوا: ممَّ تضحكُ يا رسول الله؟ قال: «من ضحك ربّ العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير». رواه مسلم.

٥٥٨٣- * وفي رواية له عن أبي سعيدٍ نحوه، إلا أنه لم يذكر «فيقولُ: يا بن آدم! ما يصريني منك؟» إلى آخر الحديث وزاد فيه: «ويذكره الله: سل كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله قال: ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك. قال: فيقول: ما أعطي أحدٌ مثلَ ما أُعطيت».

٥٥٨٤- * وعن أنسٍ، أن النبيَّ ﷺ، قال: «ليصيبنَّ أقوامًا سَفْعٌ من النَّار بذنوبٍ أصابوها عقوبةً، ثم يدخلهم الله الجنَّةَ بفضله ورحمته فيقال لهم: الجهنَّميُّون». رواه البخارى.

٥٥٨٥- * وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخرُجُ أقوامٌ من النارِ بشفاعةِ محمَّد فيدخلون الجنَّةَ ويُسمَّون الجهنَّميِّين». رواه البخاري. وفي رواية: «يخرج قوم من أُمَّتي من النَّار بشفاعتي، يسمُّون الجهنَّميِّين».

قوله: «زوجتاه» مح: بالتاء تثنية زوجة هكذا ثبت فى الروايات والأصول، وهى لغة صحيحة معروفة.

«الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك» معناه خلقك لنا وخلقنا لك، وضع أحيا موضع خلق إشعارًا بالخلود، وأنه تعالى جمع بينهما فى هذه الدار التى لا موت فيها، وأنها دائمة السرور والحياة، قال الله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾[1]. والله أعلم.

الحديث الخامس عشر والسادس عشر عن عمران رضى الله عنه: قوله: «يسمون الجهنميين» ليست التسمية بها تنقيصًا لهم بل استذكارًا، ليزيدوا فرحًا على فرح، وابتهاجًا على ابتهاج، ولأن يكون ذلك علمًا لكونهم عتقاء الله تعالى، ونحوه ما سبق فى حديث أبى سعيد: «فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل».

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

٥٥٨٦- * وعن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول اللهﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النَّار خروجًا منها، وآخرَ أهلِ الجنَّة دخولا، رجلٌ يخرج من النار حبوًا. فيقول الله: اذهب فادخُل الجنة، فيأتيها، فيُخيَّل إليه أنَّها ملأى فيقول: يارب! وجَدتُها ملأى. فيقول الله: اذهب فادخلِ الجنةَ فإنَّ لكَ مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها. فيقول: أتسخرُ مني - أوتضحك مني- وأنت الملكُ؟! ولقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتى بدَتْ نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلة. متفق عليه.

٥٥٨٧- * وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهلِ الجنَّة دُخولا الجنةَ، وآخر أهلِ النار خُروجًا منها، رجلٌ يُؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغارا ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيقول: نعم لايستطيع أن ينكر وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تعرض عليه. فيقال له: فإنَّ لك مكانَ كلِ سيئةٍ حسنةً. فيقول: ربِّ قد عملت أشياء لا أراها هاهنا» وقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدَت نواجِذُه. رواه مسلم.

٥٥٨٨- * وعن أنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يخرجُ منَ النارِ أربعةٌ، فيُعرضونَ

الحديث السابع عشر إلى التاسع عشر عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «يخرج من النارِ أربعة» لعل هذا الخروج- والله أعلم- بعد الورود المعنى بقوله تعالى: **﴿وإن منكم إلا واردها﴾**(١).

وقيل: معنى الورود الدخول فيها وهى خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم، وإليه الإشارة بقوله فى الحديث الذي يليه: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم» فذكر من الأربعة واحدًا وحكم عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتمادًا على المذكور لأن العلة متحدة فى الإخراج من النار والنجاة منها، ولأن الكافر لا خروج له البتة فيدخل مرة أخرى، ولهذا قال: «حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة» ونحوه فى الأسلوب- وهو أن يراد أشياء ويذكر بعضها ويترك بعضها - قوله تعالى: **﴿فيه**

---

(١) مريم: ٧١

على اللهِ، ثمَّ يؤمرُ بهم إلى النارِ، فيلتفتُ أحدُهم فيقول: أىْ رب! لقد كنتُ أرجو إذا أخرجتَني منها أن لا تُعيدني فيها» قال: «فيُنجيهِ اللهُ منها». رواه مسلم.

٥٥٨٩- * وعن أبي سعيدٍ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلصُ المؤمنونَ من النارِ، فيُحبسونَ على قنطرة بينَ الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعضٍ مظالمَ كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذنَ لهم فى دخول الجنةِ، فوالذى نفْسُ محمَّد بيده لأحدُهم أهدى بمنزله فى الجنةِ منه بمنزِله كان له فى الدنيا». رواه البخاري.

٥٥٩٠- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ أحدٌ الجنةَ إلا أُري مقعده منَ النارِ لو أساءَ ليزداد شكرًا، ولا يدخل النارَ أحدٌ إلا أُري مقعده منَ الجنةِ لو أحسنَ ليكونَ عليه حسرةً». رواه البخاري.

٥٥٩١- * وعن ابن عَمرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صارَ أهلُ الجنةِ إلى

آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾[1] جمع الآيات وفصلها بآيتين إحداهما قوله تعالى: ﴿ مقام إبراهيم﴾ وثانيهما: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ - الكشاف- ذُكِرَ هاتان الآيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات، ونحوه فى طى الذكر قول جرير:

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليها

الحديث العشرون عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه:

قوله: «إذا هذبوا» الجوهرى: التهذيب كالتنقية، ورجل مهذب أى مطهر الأخلاق، فعلى هذا قوله: «ونقوا» تفسير لقوله: «هذبوا» وأدخل واو العطف بين المفسر والمفسر.

«أهدى بمنزله فى الجنة» هدى لا يتعدى بالباء بل باللام وإلى فالوجه أن يضمن معنى اللصوق، أى ألصق بمنزله هاديًا إليه، وفى معناه قوله تعالى: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار﴾[2] أى يهديهم فى الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة، فجعل ﴿تجرى من تحتهم الأنهار﴾ بيانًا له وتفسيرا، لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها.

الحديث الحادى والعشرون والثانى والعشرون عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «جىء

---

(١) آل عمران: ٩٧ الكشاف ٢٠٣.

(٢) يونس:٩.

الجنة، وأهلُ النارِ إلى النار؛ جيءَ بالموتِ حتى يجعلَ بين الجنة والنار، ثمَّ يذبحُ، ثمَّ يُنادى مُناد: يا أهلَ الجنةِ! لاموتَ وياأهل النارِ! لا موتَ. فيزدادُ أهل الجنةِ فرحًا إلى فرحهم، ويزدادُ أهلُ النار حُزنًا إلى حُزنهم» متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٩٢- * عن ثوبانَ، عن النبى ﷺ قال: «حوضي من عدَنَ إلى عمَّان البلقاء، ماؤهُ أشدُّ بياضًا من اللبنِ، وأحلى منَ العسلِ، وأكوابُه عدد نجومِ السماء، مَن شربَ منه شربةً لم يَظمأ بعدَها أبدًا، أولُ الناسِ وُرودًا فقراءُ المهاجرينَ الشُّعثُ رءوسًا، الدنسُ ثيابًا، الذين لاينكحونَ المتنعماتِ، ولا يفتحُ لهم السُّدَدُ». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. [٥٥٩٢]

بالموت» تو: المراد منه أن يمثل لهم ذلك على المثال الذي ذكره فى غير هذه الرواية: «يؤتى بالموت ككبش أعين....» الحديث وذلك ليشاهدوه بأعينهم فضلا أن يدركوه ببصائرهم، والمعانى إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام واستعلت عن معارج النفوس لكبر شأنها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى تتصور فى القلوب وتستقر فى النفوس، ثم إن المعانى فى الدار الآخرة تنكشف للناظر انكشاف الصور فى هذه الدار الفانية، هذا وأما إذا أحببنا أن نؤثر الإقدام فى سبيل لا معلم بها لأحد فاكتفينا بالمرور عن الإلمام.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن ثوبان رضى الله عنه:

قوله: «إلى عمان البلقاء» البلقاء مدينة بالشام.

حس: عمان بفتح العين وتشديد الميم، موضع بالشام، وبضم العين وتخفيف الميم موضع بالبحرين.

قوله: «وأكوابه» جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له.

«والسدد» الأبواب، والواحد سدة سمى بذلك لأن المدخل يسد به.

[٥٥٩٢] انظر (صحيح الجامع ٣١٦٢).

٥٥٩٣- * وعن زيدِ بن أرقمَ، قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلا، فقال: «ما أنتم جزءٌ من مائةِ ألفِ جزء ممن يرِدُ عليَّ الحَوضَ». قيل: كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة. رواه أبو داود. [٥٥٩٣]

٥٥٩٤- * وعن سمرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن لكلِّ نبي حوضًا، وإنهم ليتباهَوْن أيُّهم أكثر واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردةً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٥٥٩٤]

٥٥٩٥- * وعن أنسٍ، قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامةِ فقال: «أنا

الحديث الثانى والثالث عن سمرة رضى الله عنه: قوله: «إن لكل نبى حوضًا» يجوز أن يحمل على ظاهره فيدل على أن لكل نبى حوضًا، وأن يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى، ونحوه قوله: «ومنبرى على حوضى» فى وجه، وإليه يلمح قوله ﷺ: «ما من نبى من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1].

وقوله: «أيهم أكثر واردة» أى ناظرين أيهم أكثر أمة واردة.

الحديث الرابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فأين أطلبك؟» أى فى أى موطن من المواطن التى أحتاج إلى شفاعتك أطلبك، لتخلصنى من تلك الورطة؟ فأجاب ﷺ: «على الصراط وعند الميزان والحوض» أى أنت فى أفقر أوقاتك إلى شفاعتى فى هذه المواطن، فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة رضى الله عنها فى الفصل الثانى من باب الحساب: «فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا؟».

قلت: جوابه لعائشة رضى الله عنها بذلك لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله ﷺ، ولأبي هريرة[2] لئلا ييأس.

[٥٥٩٣] انظر صحيح الجامع ٥٥٥٧ [٥٥٩٤] انظر صحيح الجامع ٢١٥٦

(١) قال مصحح «ط»: استغرب الملا على القارئ هذا التأويل ثم قال بعد أن أورده: «هذا المعنى لا ينافى الحوض الحسى الذى هو مبنى على مراتب الواردة بقدر أخذ الفيض من العلم والهدى الذى حصل لهم من جهة أنبيائهم» مرقاة المفاتيح: ١٠/٣٠٦. أقول: لا حاجة إلى الاستغراب إذا كان الجمع بين الحقيقة والمجاز ممكنًا- والله أعلم.

(٢) قال مصحح «ط»: كذا وقع فى كل الأصول المخطوطة التى بين أيدينا وهو خطأ، والصواب ما جاء فى المرقاة نقلا عن الطيبى «لأنس» انظر مرقاة المفاتيح: ١٠/٣٦.

فاعل». قلت: يارسول الله! فأين أطلبكَ؟ قال: «اطلبني أوَّل ما تطلبُني على الصراط» قلتُ: فإن لم أَلْقَكَ على الصِّراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان» قلت: فإن لم أَلقكَ عند الميزان؟ قال: «فاطلبنى عند الحوض، فإني لا أُخطىءُ هذه الثلاثَ المواطن». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٥٥٩٥]

٥٥٩٦- * وعن ابن مسعود، عن النبى ﷺ قال: قيل له: ما المقامُ المحمودُ؟ قال: «ذلك يومٌ ينزلُ الله تعالى على كرسيه فَيَئِطُّ كما يئطُّ الرحلُ الجديد من تضايقه

«أول ما تطلبنى» ما: مصدرية، وأول: نصبه على المصدر، أى اطلبنى أول طلب.

و«الثلاث» روى على صيغة التذكير والتأنيث، والتذكير ظاهر، وأما التأنيث فباعتبار البقعة.

الحديث الخامس عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «ذلك اليوم ينزل الله تعالى على كرسيه» فإن قيل: كيف وجه المطابقة بين السؤال والجواب؟

قلت: مادل على الجواب هو قوله: «ثم أقوم على يمين الله» أى المقام الذى فيه قيامى على يمين الله، فلما أراد أن يفخم ويعظم شأنه أتى فى مقدمة الجواب باسم الإشارة الدال على بعده منزلة ثم أخبر عنه بقوله: «يوم» ونكره تنكير تهويل، ثم وصفه بما يشتمل على عظمة شأنه عز اسمه وجل سلطانه من أخذ الزبدة من المجموع، من غير نظر إلى مفردات الكلام فى جهة من جهتى الحقيقة والمجاز، على مامر فى الحديث الرابع من الفصل الأول فى باب النفخ فى الصور، فأطنب فى بيانه ثم أدرج فيه ما سيق الكلام لأجله من قوله: «ثم أقوم على يمين الله مقامًا» هذا على سبيل الكناية الإيمائية، وأما على سبيل المجاز، والاستعارة التمثيلية فهو ما أشار إليه بقوله مثل التجلى لعباده بنعت العظمة والكبرياء، والإقبال عليهم للعدل والقضاء، وإدناء المقربين منهم على حسب مراتبهم، وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم بنزول السلطان من غرف القصر إلى صدر الدار، وجلوسه على كرسى الملك للحكومة والفصل، وإقامة خواصه وأهل كرامته حواليه قدامًا ووراء ويمينًا وشمالا على تفاوت مراتبهم لديه.

وقوله: «فيئط كما يئط الرحل» مبالغة وتصويرًا لعظمة التجلى على طريقة **الترشيح**.

والريطة: الملاءة الرقيقة من الكتان التى لا تكون لفقتين يؤتى بها من الشام، وجمعها رياط. أقول: وقوله: «وهو كسعة» حال، أو معترضة جىء بها دفعًا لتوهم من يتوهم أن أطيط

[٥٥٩٥] انظر صحيح الترمذى ١٩٨١

به وهو كسعةِ ما بينَ السماء والأرضِ، ويُجاءُ بكم حُفَاةً عُرَاةً غُرلا، فيكون أول مَنْ يُكسى إبراهيم يقول الله تعالى: اكسوا خليلى، فيؤتى بَرِيْطَتَيْنِ بيضاوين من رياط الجنَّة، ثم أُكْسَى على أثره، ثم أقومُ عن يمينِ الله مقامًا يغبطنى الأولون والآخرون». رواه الدارمي. [٥٥٩٦]

الكرسى للضيق بسبب تشبيهه بالرحل فى الأطيط فقال: «وهو كسعة ما بين السماء والأرض». دفعًا لهذا التوهم، وهو من قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾(١).

فإن قلت: لفظ الحديث غير مطابق للفظ الآية فكيف شبهه به؟.

قلت: هذا تمثيل لسعة الكرسى وتصوير لتعظيمه بحسب العرف لابحسب المقدار فإن الكرسى أوسع منهما عند التحقيق، ونحوه: ﴿جنة عرضها السماوات والأرض﴾(٢) لأن أدنى مرتبة أهل الجنة مثل الدنيا وعشرة أمثالها، ومنه بحسب المدة قوله تعالى: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾(٣). فى وجه.

قوله: «أول من يكسى إبراهيم» فى بعض النسخ برفع أول ونصب إبراهيم وفى بعضها على العكس، فعلى الثانى فيه تقديم وتأخير كما فى قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾(٤) وقد سبق بيانه، وفى الحديث دلالة ظاهرة على فضل نبينا ﷺ على ما سوى الله تعالى من الموجودات، وحيازته قصب السبق من بين السابق واللاحق من الملائكة والثقلين، وكفى بالشاهد شهيدًا على أن الملك الأعظم إذا ضرب سرادق الجلال لقضاء شئون العباد وجمع أساطين دولته وأشراف مملكته وجلس على سرير ملكه، فلا يخفى أن من يكون على يمينه هو أولى بالقرب وأحق أن يغتبط منه.

وأما كسوة إبراهيم قبله ﷺ فلا يدل على تفضيله عليه بل على فضله، وأنه إنما قدم كسوته على كسوة مثل من يغتبطه الأولون والآخرون إظهارًا لفضله ومكانته، ونحوه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله...﴾(٥) إلى قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك...﴾(٦) الآية.

الكشاف: فى «ثم» هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله ﷺ وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله إبراهيم عليه السلام من الكرامة، وأجل ما أوتى من النعمة، اتباع رسول الله ﷺ ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله تعالى عليه بها.

[٥٥٩٦] سنن الدارمى (٢/ ٤١٩) وقال المحقق: رواه أحمد فى المسند بأتم منه (١/ ٣٩٨-٣٩٩)، وفيه الصعق بن حزن: صدوق يهم، وعثمان بن عمير ضعيف واختلط فى آخر عمره وكان يدلس وكان يغلو فى التشيع.

(١) البقرة: ٢٥٥. (٢) آل عمران: ١٣٣.
(٣) هود: ١٠٧. (٤) القصص: ٢٦.
(٥) النحل: ١٢٠. (٦) النحل: ١٢٣.

٥٥٩٧- * وعن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «شعارُ المؤمنين يومَ القيامةِ على الصراط: رب سلِّم سلِّم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. [٥٥٩٧]

٥٥٩٨- * وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». رواه الترمذي، وأبو داود. [٥٥٩٨]

الحديث السادس عن المغيرة رضى الله عنه: قوله: «شعار المؤمنين» أى: علامتهم التى يتعارفون بها مقتديا كل أمة برسولهم فى قوله: «اللهم سلم سلم».

الحديث السابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «شفاعتى لأهل الكبائر» مح: قال القاضى: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالى: **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا﴾**(١) وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذهبهم فى تخليد المذنبين فى النار بقوله تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾**(٢) وبقوله: **﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾**(٣)، وأجيب أن الآيتين فى الكافرين، والمراد بالظلم الشرك، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها مختصة بزيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث فى الكتاب وغيره صريحة فى بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار.

أقسام الشفاعة

والشفاعة خمسة أقسام، أولها: مختصة بنبينا ﷺ وهى الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية : فى إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضًا وردت فى نبينا ﷺ.

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ممن يشاء الله تعالى.

[٥٥٩٧] انظر (ضعيف الجامع ٣٣٩٧)

[٥٥٩٨]انظر (صحيح الترمذى ٢٥٦٥)

(١) طه: ١٠٩.

(٢) المدثر: ٤٨.

(٣) غافر: ١٨.

٥٥٩٩- * ورواه ابن ماجه عن جابر.[٥٥٩٩]

٥٦٠٠- * وعن عوفِ بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتاني آت من عند ربِّي فخيَّرني بين أن يدخلَ نصفُ أُمتي الجنةَ، وبينَ الشفاعة، فاخترتُ الشفاعةَ، وهي لمن ماتَ لايشركُ باللهِ شيئًا». رواه الترمذي، وابن ماجه.[٥٦٠٠]

٥٦٠١- * وعن عبدِ الله بن أبي الجَدعاء، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يدخلُ الجنَّةَ بشفاعةِ رجلٍ من أُمَّتي أكثرُ من بَنى تميمٍ» رواه الترمذيُّ، والدارمي، وابن ماجه.[٥٦٠١]

٥٦٠٢- * وعن أبي سعيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ: قال: «إنَّ منْ أُمتي من يشفعُ للفِئامِ ومنهم مَن يشفعُ للقبيلةِ، ومنهم من يشفعُ للعُصبة، ومنهم من يشفعُ للرَّجل حتى يدخلوا الجنةَ» رواه الترمذي.[٥٦٠٢]

الرابعة: الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا* والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: «لا إله إلا الله».

الخامسة : الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها، وهذه لاننكرها أيضًا.

أقول: معنى الحديث الذى نحن بصدده: أن شفاعتى التى تنجى الهالكين مختصة بأهل الكبائر.

الحديث الثامن إلى العاشر عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «للفئام» الجوهرى: الفئام الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه، والعامة تقول: «فيام» بلا همز.

وقوله: «حتى يدخلوا» يحتمل أن يكون غاية يشفع، والضمير لجميع الأمة، أى تنتهى شفاعتهم إلى أن يدخلوا جميعهم فى الجنة.

ويجوز أن يكون بمعنى «كى».

[٥٥٩٩] صحيح (صحيح ابن ماجه ٤٣٢٠)
[٥٦٠٠] صحيح الترمذى ٢٥٧١).
[٥٦٠١] صحيح:(صحيح ابن ماجه ٤٣١٦)
[٥٦٠٢] (ضعيف)(ضعيف الجامع ٢٠٠٠)
* هكذا فى (ك) وفى (ط) [الأنبياء]

٥٦٠٣- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وعَدَني أن يدخل الجنةَ من أُمتي أربعمائةِ ألفٍ بلا حساب». فقال أبو بكرٍ، زِدْنا يا رسولَ الله! قال: وهكذا، فحثا بكفيه وجمعهما، فقال أبو بكر: زدنا يارسول الله! قال: وهكذا فقال عمر: دَعْنا يا أبا بكر! فقال أبو بكر: وما عليكَ أن يُدْخلَنا اللهُ كلَّنا الجنةَ؟ فقال عمر: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إن شاء أن يُدْخِلَ خَلْقه الجنَّةَ بكف واحدٍ فعل فقال النبى ﷺ: «صدق عمر» رواه في «شرح السنَّة».[٥٦٠٣]

٥٦٠٤- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُصَفُّ أهلُ النَّار، فيمرُّ بهم الرجلُ من أهلِ الجنَّة، فيقول الرجل منهم: يافلان! أما تعرفني؟ أنا الذي سَقَيْتُكَ شَرَبةً. وقال بعضهم: أنا الذي وَهبتُ لكَ وَضوءًا، فيشفع له فيدخله الجنةَ». رواه ابن ماجه.[٥٠٦٤]

الحديث الحادى عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «زدنا يا رسول الله» أى زدنا فى الإخبار عما وعدك ربك من إدخال أمتك الجنة بشفاعتك، يدل على هذا التأويل حديث أبى أمامة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى».

تو: إنما ضرب بالمثل الحثيات لأن من شأن المعطى إذا استزيد أن يحثي بكفيه من غير حساب، وربما ناوله ملء كف، وإنما لم يجب رسول الله ﷺ أبا بكر بمثل كلام عمر رضى الله عنه لأنه وجد فى البشارات فى ذلك مدخلا، فإن الله ينجى خلقه من عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج، والقبيل بعد القبيل، ثم يخلص من قصر عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته، وهم الذين سلم لهم الإيمان، ولم يعملوا خيرًا قط، على ما مرَّ فى الحديث.

الحديث الثانى عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «أنا الذي سقيتك» مظ: فيه تحريض على الإحسان إلى المسلمين لا سيما مع الصلحاء، والمجالسة معهم ومحبتهم، فإن محبتهم زين فى الدنيا ونور فى الآخرة.

والوضوء : بفتح الواو، الماء الذى يتوضأ منه.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «أن تنطلقا فتلقيا» خبر إن، فإن قلت: كيف يجوز حمل الانطلاق إلى النار وإلقاء النفس فيها على الرحمة؟.

[٥٦٠٣] شرح السنة ٤٣٣٥ (١٥/١٦٣).

[٥٦٠٤]ضعيف (ضعيف الجامع بنحوه ٦٤٤٧).

٥٦٠٥- * وعن أبي هريرةَ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممَّن دخلَ النَّارَ اشتدَّ صياحهما، فقال الربُّ تعالى: أخرجوهما. فقال لهما: لأيِّ شيءٍ اشتدَّ صياحُكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: فإنَّ رحمتي لكما أن تنطلقا فتُلقيا أنفسكما حيثُ كنتما من النار، فيُلْقي أحدُهما نفسه، فيجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، ويقومُ الآخر، فلا يُلقي نفسه، فيقول له الرب تعالى: ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: ربِّ! إني لأرجو أن لا تعيدَني فيها بعدَ ما أخرجتني منها. فيقول له الرب تعالى: لك رجاؤك فيدخلان جميعًا الجنّة برحمة الله». رواه الترمذي. [٥٦٠٥]

٥٦٠٦- * وعن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النارَ، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالرِّيح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشدِّ الرجلِ، ثم كمشيه». رواه الترمذيُّ، والدارميُّ. [٥٦٠٦]

قلت: هذا من حمل السبب على المسبب، وتحقيقه أنهما لما فرطا فى جنب الله وقصرا فى العاجلة فى امتثال أمره، أمرا هنالك بالامتثال فى إلقاء أنفسهما فى النار إيذانًا بأن الرحمة إنما هى مترتبة على امتثال أمر الله عز وجل.

الحديث الرابع عشر عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «يرد الناس» تو: الورود لغة قصد الماء ثم يستعمل فى غيره، والمراد هنا الجواز على جسر جهنم، وقد بينه بما بعده من قوله: «فأولهم كلمح البرق. . .» إلى تمام الحديث، وإنما سماه ورودًا لأن المارة على الصراط يشاهدون النار ويحضرونها، تقول: وردت ماء كذا، إذا حضرته وإن لم تشرع فيه.

ومعنى قوله: «يصدرون منها» أى ينصرفون عنها، فإن الصدر إذا عدى بمن اقتضى الانصراف على الاتساع، ومعناه النجاة منها بأعمالهم إذ ليس هناك انصراف وإنما هو المرور عليها، فوضع الصدر موضع النجاة منها للمناسبة التى بين الصدر والورود.

أقول: ثم في قوله: «ثم يصدرون» مثلها فى قوله تعالى: ﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾[1] فى أنها للتراخى فى الرتبة لا الزمان. بين الله تعالى التفاوت بين ورود الناس النار وبين نجاة المتقين منها، لذلك بنى رسول الله ﷺ التفاوت بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها على أن المراد بالصدور الانصراف، ولهذا عدى بمن ولم يعد بعن.

والحضر: بضم الحاء وسكون الضاد، العدو الشديد.

[٥٦٠٥] إسناده ضعيف.

[٥٦٠٦] صحيح (صحيح الترمذى ٣٣٨١)

(١) مريم: ٧٢

الفصل الثالث

٥٦٠٧- * عن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أمامكم حوضي، ما بين جنبيه كما بين جَرْباءَ، وأَذْرُحَ» قال بعض الرواة: هما قريتان بالشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال. وفي روايةٍ: «فيه أباريقُ كنجوم السماءِ، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا». متفق عليه.

٥٦٠٨- ٥٦٠٩- * وعن حذيفةَ وأبي هريرةَ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمعُ اللهُ تباركَ وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنةُ، فيأتونَ آدمَ فيقولونَ: يا أبانا استفتحْ لنا الجنَّة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنةِ إلا خطيئة أبيكم؟ لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله» قال: «فيقول إبراهيم: لستُ بصاحب ذلك، إنما كنتُ خليلا من وراء وراء، اعمِدوا إلى موسى الذي كلَّمه الله تكليمًا، فيأتونَ موسى عليه السلام، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى : لست بصاحبِ ذلك، فيأتونَ محمَّدًا ﷺ،فيقوم فيؤذَنُ له، وتُرْسل الأمانةُ والرحم، فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالا، فيمرُّ أَوَّلكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنتَ وأمي، أيُّ شيء كمرِّ البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرقِ كَيفَ يَمرُّ ويرجع في طرفة عين. ثم كمرِّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشدِّ الرِّجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصِّراط يقول: يارب!

قوله: «ثم كراكب فى رحله» أي الراكب على راحلته، وعداه بفى لتمكنه من السير، والشد: العدو.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثانى عن حذيفة رضى الله عنه:

قوله: «استفتح لنا الجنة» أى اطلب أن يفتح لنا باب الجنة حتى ندخلها.

قوله:«من وراء» مح: المشهور الفتح فيهما بلا تنوين،ويجوز فى العربية بناؤهما على الضم. قال أبو البقاء. الصواب الضم فيهما، لأن تقديره من وراء ذلك. قال: وإن صح الفتح قبل.

وقال الشيخ أبو عبدالله: الفتح صحيح وتكون الكلمة مركبة كشذر مذر، وشغر بغر، فبناؤهما على الفتح، وإن ورد منصوبًا منونًا جاز.

سلّم سلّم. حتى تعجز أعمالُ العباد، حتى يجيءَ الرجلُ فلا يستطيعُ السَّيرَ إلاَّ زَحْفًا».
وقال: «وفي حافتي الصِّراط كلاليبُ مُعَلَّقةٌ مأمورة، تأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناج، ومكرْدَسٌ فى النار». والذي نَفْسُ أبي هريرةَ بيده إن قَعر جهنم لسبعين خريفًا.
رواه مسلم.

قال صاحب التحرير: هذا وارد على سبيل التواضع، أى لست بصدد تلك الدرجة الرفيعة، ومعناه أن المكارم التى أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه السلام، ولكن ائتوا موسى عليه الصلاة والسلام فإنه حصل له الكلام بغير واسطة، وإنما كرر لأن نبينا ﷺ حصل له السماع بغير واسطة، وحصل له الرؤية أيضًا، فقال إبراهيم: أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد ﷺ.

وإرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكبر موقعهما فتصوران شخصين على الصفة التى يريدها الله سبحانه وتعالى، ومعناه: أنهما يقومان ليطالبا كل من يريد الجواز على الصراط بحقهما، فمن وفى بحقهما يعاونه على الجواز على الصراط وإلا تركاه.

قوله: «أى شيء كمر البرق» أى ما الذي شبه من المارين بمر البرق.

وقوله: «ألم تروا أن البرق» بيان لما شبهوا به البرق وهو سرعة اللمعان، يعنى سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق، كأنه استبعد أن يكون في الإنسان ما يشبه البرق فى السرعة فسأله عن أمر آخر وهو المشبه، فأجاب بأن ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر أن يمنحهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة، ألا ترى كيف أسند الجريان إلى الأعمال فى قوله: «تجرى بهم أعمالهم» أى تجرى وهى ملتبسة بهم، لقوله تعالى: **﴿وهي تجرى بهم فى موج كالجبال﴾**[1] ويجوز أن تكون الباء فيه للتعدية، ويؤيد الوجه الأول قوله: «حتى تعجز أعمال العباد» وقوله: «حتى يجيء الرجل» بدل من قوله «حتى تعجز» وتوضيح له.

قوله: «لسبعين خريفًا» مح: فى بعض الأصول «لسبعون» بالواو وهو ظاهر، وفيه حذف، أى مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفًا، وفى معظم الأصول والروايات «لسبعين» بالياء، وهو صحيح أيضًا على تقدير مسيرة سبعين، فحذف المضاف وترك المضاف إليه على إعرابه، أو يكون التقدير أن بلوغ قعر جهنم لكائن فى سبعين خريفًا، فسبعين ظرف لمحذوف.

---

(١) هود: ٤٣.

٥٦١٠- * وعن جابر، قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ من النار قومٌ بالشفاعة، كأنهم الثعارير». قلنا: ما الثعارير؟ قال: «إِنَّه الضَّغابيس». متفق عليه.

٥٦١١- * وعن عثمان بن عفَّان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء». رواه ابن ماجه.[٥٦١١]

(٥) باب صفة الجنة وأهلها

الفصل الأول

٥٦١٢ - * عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصَّالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولاخَطر على قلب بشر. واقرءوا إن شئتم: ﴿**فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرَّة أعين**﴾(١). متفق عليه.

الحديث الثالث والرابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «الثعارير» بالثاء المثلثة والعين المهملة، نه: الثعارير هى القثاء الصغار شبهوا بها لأن القثاء تنمو سريعًا، وقيل: هى رءوس الطراثيث تكون بيضًا، شبهوا ببياضها، وواحدها طرثوث وهو نبت يؤكل.

و«الضغابيس» بالضاد والغين المعجمتين، وهي أيضًا صغار القثاء، واحدها ضغبوس.

باب صفة الجنة وأهلها

الجنة: البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه. والتركيب دائر على معنى الستر، وكأنها لتكاثفها وتظللها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان.

الفصل الأول

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «مالاعين رأت» «ما» هنا إما موصولة أو موصوفة، و«عين» وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق، والمعنى: ما رأت العيون كلهن ولاعين واحدة منهن، والأسلوب من باب قوله تعالى: ﴿**ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع**﴾(٢) فيحتمل نفي الرؤية والعين معًا، أو نفي الرؤية فحسب، أي لا رؤية ولاعين، أولا رؤية، وعلى الأول الغرض منه العين وإنما ضمت

[٥٦١١] انظر (ضعيف الجامع ٦٤٤٥).

(١) السجدة: ١٧.   (٢) غافر: ١٨.

إليه الرؤية ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لانزاع فيه، وبلغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه.

قوله: «ولاخطر على قلب بشر» هو من باب قوله تعالى: **﴿يوم لاينفع الظالمين معذرتهم﴾**[1] وقوله: «على لا حب لا يهتدى بمناره» أى لا قلب ولاخطور، أولا خطور، فعلى الأول ليس لهم قلب يخطر فجعل انتفاء الصفة دليلا على انتفاء الذات، أى إذا لم تحصل ثمرة القلب وهو الإخطار فلا قلب، كقوله تعالى: **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع﴾**[2] فإن قيل: لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين؟.

قلت: لأنهم هم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون بشأنه ويخطرون ببالهم بخلاف الملائكة. والحديث كالتفصيل للآية: فإنها نفت العلم، والحديث نفى طريق حصوله.

قوله: **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾**[3]: الكشاف[4]: لاتعلم النفوس كلهن ولانفس واحدة منهن، لاملك مقرب ولانبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك، فأخفاه من جميع خلائقه فلا يعلمه إلا هو ، مما تقرُّ به عيونهم، ولامزيد على هذه العدَة ولامطمح وراءها. «حس»: يقال: أقر الله عينك، ومعناه أبرد الله دمعتها لأن دمعة الفرح باردة- حكاه الأصمعي- وقال غيره: معناه بلغك الله أمنيتك حتى ترضى به نفسك وتقر عينك فلا تستشرف إلى غيره . انتهى كلامه.

فعلى هذا الأول من القرة البرد، والثاني من القرار.

وفي قوله: «أعددت» دليل على أن الجنة مخلوقة، ويعضده سكنى آدم وحواء الجنة، ولمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام: كالنجم والثريا والكتاب ونحوها، وذلك أن الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف أغصان أشجارها، ثم غلبت على دار الثواب، وإنما قال: «اللاحقة بالأعلام» لكونها غير لازمة للام، وتحقيق القول أنها منقولة شرعية على سبيل التغليب، وإنما تغلب إذا كانت موجودة معهودة، وكذلك اسم النار منقول لدار العقاب على سبيل الغلبة، وإن اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك، ولولا ذلك لما كان يغنى عن طلب القصور والحور والولدان بالجنة، ولا عن طلب الوقاية من الزمهرير والمهل والضريع عن مطلق النار.

---

(١) غافر: ٥٢.　　(٢) ق: ٣٧.

(٣) السجدة: ١٧　　(٤) الكشاف: ٣/ ٢٢١.

٥٦١٣ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها». متفق عليه.

٥٦٢٤ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «غَدْوة في سبيل الله أو رَوْحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ،ولو أنَّ امرأةً من نساءِ أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضَاءَت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها». رواه البخاري.

٥٦١٥ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها، ولَقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ ممَّا طلَعتْ عليه الشمسُ أو تغرب». متفق عليه.

٥٦١٦ - * وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للمؤمنِ في الجنة

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «موضع سوط في الجنة» تو: إنما خص السوط بالذكر لأن من شأن الراكب إذا أراد النزول في منزل أن يلقي سوطه قبل أن ينزل معلمًا بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه إليه أحد.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: «ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة» فإن قلت: ما وجه الربط بينه وبين الكلام السابق؟.

قلت: المراد أن ثواب غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، لأن ثوابها جنة نصيف امرأة فيها خير من الدنيا وما فيها، فكيف الجنة نفسها؟.

و«النصيف» الخمار والمعجر.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «في ظلها» نه: أي في دارها وناحيتها، وقد يكني بالظل عن الكنف والناحية.

قوله: «ولقاب قوس أحدكم» القاب والقيب بمعنى القدر، وعينه واو لثلاثة أوجه، لأن بنات الواو من معتل العين أكثر من بنات الياء، وأن (ق و ب) موجود دون (ق ي ب) وأنه علامة تعرف بها المسافة بين الشيئين من قولهم: قوبوا في هذه الأرض، إذا أثروا فيها بمواطئهم ومحلهم.

«تو»: الراجل يبادر إلى تعيين المكان بوضع قوسه كما أن الراكب يبادر إليه برمي سوطه.

الحديث الخامس عن أبي موسى رضي الله عنه: قوله: «المؤمنون» كذا في البخاري وشرح

لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدة مُجَوَّفة، عرضُها ـ وفي رواية: طولُها ـ ستُّون ميلا، في كلِّ زاوية منها أهلٌ، مايرونَ الآخرينَ، يطوفُ عليهم المؤمنُ، وجنَّتانِ من فضةٍ، آنيتُهما وما فيهما؛ وجنَّتان من ذهبٍ، آنيتُهما ومافيهما؛ وما بينَ القومِ وبينَ أنْ ينظروا إلى ربِّهم إلاَّ رداءُ الكبرياء على وجهِه في جنة عدن». متفق عليه.

٥٦١٧ - * وعن عُبادةَ بن الصامت، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «في الجنَّة مائةُ درجة، ما بينَ كلِّ درجتَين كما بينَ السماءِ والأرض، والفردوسُ أعْلاها درجةً، منها تفجَّرُ أنهارُ الجنةِ الأربعة، ومن فوقِها يكونُ العرشُ، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفردوسَ» رواه الترمذيُّ. ولم أجده في «الصَّحيحينِ» ولا في «كتاب الحميدي». [٥٦١٧]

السنة ونسخ المصابيح، وفي مسلم والحميدي وجامع الأصول: «المؤمن» فعلى هذا جمع لإرادة الجنس.

قوله: «على وجهه» حال من رداء الكبرياء، والعامل معنى ليس.

وقوله: «في الجنة» متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد بالمفهوم انتفاء هذا الحصر في غير الجنة، وإليه أشار الشيخ التوربشتي بقوله: يريد بذلك أن العبد المؤمن إذا تبوأ مقعده من الجنة تبوأ والحجب مرتفعة، والموانع التي تحجبه عن النظر إلى ربه مضمحلة، إلا ما يصدهم من هيبة الجلال وسبحات الجمال ورتبة الكبرياء، فلا يرتفع ذلك إلا برأفة ورحمة منه تفضلا على عباده ـ انتهى كلامه ـ وأنشد في المعنى:

أشتاقه فإذا بدا ... أطرقت من إجلاله
لاخيفة بل هيبة ... وصيانة لجماله
وأصد عنه تجلدا ... وأروم طيف خياله

قوله: «في جنة عدن» نه: أي جنة إقامة. يقال: عدن بالمكان يعدن عدنًا أي لزمه ولم يبرح منه.

الحديث السادس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: قوله: «والفردوس أعلاها درجة» نه: الفردوس هو البستان الذي فيه الكروم والأشجار، والجمع فراديس، ومنه جنة الفردوس.

قوله: «أنهار الجنة الأربعة» هي الأربعة المذكورة في قوله تعالى: **﴿فيها أنهار من ماء غير**

[٥٦١٧] صحيح (صحيح الجامع ٤٢٤٤).

٥٦١٨ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ «إنَّ في الجنةِ لسُوقًا يأتونَها كلَّ جُمعةٍ، فتهبُّ ريحُ الشمال، فتحثو في وُجوهِهم وثيابِهم، فيزدادون حُسنًا وجمالا، فيرجعونَ إلى أهليهم وقدِ ازدادوا حسنًا وجمالا، فيقول لهم أهلوهُم: والله لقدِ ازدَدتم بعدَنا حسنًا وجمالا. فيقولونَ: وأنتم واللهِ لقدِ ازددتم بعدَنا حُسنًا وجمالا». رواه مسلم.

٥٦١٩ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمر ليلةَ البدْرِ، ثمَّ الذينَ يلونَهم كأشدِّ كوكبٍ دُريٍّ في السماءِ إضاءة، قلوبُهم على قلب رجلٍ واحد، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، لكلِّ امرئٍ منهم زوجتان من الحور العِين، يُرى مُخُّ سُوقِهنَّ من وراءِ العظمِ واللحم منَ

آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾(١).

الحديث السابع عن أنس رضي الله عنه: قوله: «إن في الجنة لسوقًا» مح: السوق مجمع لأهل الجنة يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة - أي أسبوع - وليس هناك أسبوع حقيقة لفقد الشمس والليل والنهار.

و«الشمال» بفتح الشين بغير همز، وخصها بالذكر لأنها ريح المطر عند العرب وكانوا يرجون السحاب الساقية.

أقول: لعل تسمية المجمع* بالسوق من باب تسميتهم الأنف بالمرسن والشفة بالمشفر.

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «كأشد كوكب» أفرد المضاف إليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب، يعني إذا تقصيت كوكبًا كوكبًا رأيتهم كأشده إضاءة.

فإن قلت: ما الفرق بين هذا والتركيب السابق؟.

قلت: كلاهما تشبيهان، إلا أن الوجه في الثاني هو الإضاءة فقط، وفي الأول الهيئة والحسن والضوء، كما إذا قلت: إن زيدًا ليس بإنسان بل هو في صورة الأسد وهيئته وجرأته، وهذا التشبيه قريب من **الاستعارة المكنية**، والكوكب الدرى هو الشديد الإنارة نسب إلى الدر وشبه صفاؤه بصفائه.

قوله: «زوجتان» الظاهر أن التثنية للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى: **﴿ثم ارجع البصر**

(١) محمد: ١٥.

* في «ك»: «المجموع».

الحسنِ، يسبِّحونَ اللهَ بكرةً وعشيا، لا يسقمونَ، ولا يبولونَ، ولا يتغوطونَ ولايتفلونَ، ولايمتخطون، آنيتُهم الذهبُ والفضةُ، وأمشاطُهم الذهبُ، ووَقودُ مجامرِهم الألوةُ، ورشحُهمُ المسكُ، على خَلْقِ رجلٍ واحد، على صورةِ أبيهم آدمَ، ستونَ ذراعًا في السماءِ». متفق عليه.

كرتين﴾[1] لأنه قد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين.

وقوله: «من الحسن» تتميم صونا من توهم ما يتصور في تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع، والحسن هو الصفاء ورقة البشرة ونعومة الأعضاء.

ويراد بقوله: «بكرة وعشيًا» الديمومة، كما تقول العرب: أنا عند فلان صباحًا ومساءً، لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة.

قوله: «ووقود مجامرهم» نه: المجامر جمع مجمر بالكسر، وهو الذي توضع فيه النار للبخور وبالضم هو الذي يتبخر به وأعد له الجمر ـ انتهى كلامه ـ .

والمراد في الحديث هو الأول، وفائدة الإضافة أن «الألوة» هي الوقود نفسه بخلاف المتعارف فإن وقودهم غير الألوة.

مح: هي بفتح وضم اللام، العود الهندي.

«ورشحهم المسك» أي عرقهم.

قوله: «على خلق رجل واحد» مح: روى بضم الخاء واللام، وبفتح الخاء وإسكان اللام، وكلاهما صحيح ويرجح الضم بقوله في الحديث الآخر «لا اختلاف بينهم ولاتباغض، قلوبهم على قلب واحد»، وقد يرجح الفتح بقوله: «لايمتخطون ولا يتفلون» أي لا يبصقون. أقول: فعلى هذا لايكون قوله «على صورة أبيهم آدم» بدلا من قوله: «على خلق رجل واحد» بل يكون خبر مبتدأ محذوف، فإن قيل: الموصوفون بالصفات المذكورة كلهم على خلق رجل واحد حسن الإبدال.

وأما توجيه الضم فالجملة كالإجمال للتفصيل الذي هو مسبوق بمجمل، أجمل أولا بقوله: «قلوبهم على قلب رجل واحد» ثم فصل بقوله: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض» وعلل الاختلاف بقوله: «لكل امرئ منهم زوجتان.. إلى آخره» على معنى أن كل واحد رضي بما أوتي من الثواب على حسب مرتبته، وثانيًا بقوله: «على خلق رجل واحد» تأكيدًا وتقريرًا فهو كالفذلكة للمجموع، وحاصله أنه ﷺ ابتدأ بوصف حسن خلقهم الباطن وختم بوصف حسن خلقهم الظاهر.

---

(١) الملك: ٤.

٥٦٢٠ - * وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنَّة يأكلون فيها ويشربون، ولايتفلون ولايبولون، ولايتغَوطون، ولا يمتخطون». قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ ورشحٌ كرشح المسكِ، يُلْهمُونَ التسبيحَ والتحميدَ كما تلهمون النَفَسَ» رواه مسلم.

٥٦٢١ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَدْخُل الجنَّة ينعَم ولا يبْأس، ولا تَبْلى ثيابُه، ولا يفْنى شبابُه» رواه مسلم.

وقوله: «ستون ذراعًا في السماء» أي طولا فكنى عنه به.

الحديث التاسع: عن جابر رضي الله عنه: قوله: فما بال الطعام؟» أي ما بال فضل الطعام، وحينئذ يستقيم جوابه بقوله: «جشاء ورشح» أي يندفع بالجشاء والرشح.

والإلهام: إلقاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله وجهة الملأ الأعلى.

قوله: «كما تلهمون» وارد على سبيل المشاكلة لأن المراد به التنفس، قال الراغب: في هذا الحديث إشارة عجيبة، لأنه إذا أمكن أن يأكل دود* أطعمة مستحيلة فيخلف جشاء طيبًا يبقى أطول مدة فلا يلحقه فساد، فكيف ينكر أن يتناول أهل الجنة طعامًا معرى عن العفونات والاستحالات فيخلف منه مسك؟ والذي يستبعده بعض الناس من ذلك هو أنهم يريدون أن يتصوروا أبدانًا متناولة لأطعمة لا استحالة فيها ولا تغير لها ولايكون فيها فضولات، وتصور ذلك محال، وذلك أن التصور هو إدراك الوهم خيال ما أدركه من الحسن الحسي، وما أدركه الحس جزؤه لا كله كيف يمكنه تصوره؟ ولو كان للإنسان سبيل إلى تصور ذلك لما قال الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾[1] ولما قال ﷺ مخبرًا عن الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». وجملة الأمر يجب أن يكون معلومًا أن النقصانات منتفية عن الجنة لأنها من الأعدام، وليس في الجنة أعدام إذ هي في غاية الكمال والتمام.

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «ينعم ولا يبأس» قض: معناه أن الجنة دار الثبات والقرار، وأن التغيير لايتطرق إليها، فلا يشوب نعيمها بؤس، ولا يعتريه فساد ولا تغير، فإنها ليست دار الأضداد ومحل الكون والفساد.

---

(١) السجدة: ١٧.

* كذا فى الأصل، والمراد دود القزّ، فهو يأكل أطعمة تستحيل حريرًا يبقى مدة طويلة لا يلحقه الفساد.

٥٦٢٢ - * ٥٦٢٣ - * وعن أبي سعيدٍ، وأبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يُنادِي مُنادٍ: إنَّ لكم أنْ تصحُّوا فلا تسقَموا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تحيَوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تشبُّوا فلا تهْرَموا أبدًا، وإنَّ لكم أنْ تنعَموا فلا تبأسوا أبدًا». رواه مسلم.

٥٦٢٤ - * وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أهلَ الجنةِ يتراءون أهلَ الغرفِ من فوقِهم كما تتراءَونَ الكوكبَ الدريَّ الغابرَ في الأفقِ، منَ المشرقِ أو المغربِ، لتفاضُلِ ما بينهم» قالوا: يارسولَ الله! تلكَ منازلُ الأنبياء لايبلغُها غيرُهم. قال: «بَلى والذي نفْسي بيدِه، رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقوا المرسلينَ». متفق عليه.

أقول: قوله: «لايبأس» تأكيد لقوله ينعم، والأصل أن الإيحاء بالواو لكن أراد به التقرير على الطرد والعكس كقوله تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[1].

الحديث الحادي عشر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: قوله: «ينادي مناد... إلى آخره» هذا النداء والبشارة ألذ وأشهى لما فيه من السرور، وفي عكسه أنشد المتنبي:

أشد الغم عندي في سرور تيقن منه صاحبه انتقالا

الحديث الثاني عشر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قوله: «الغابر في الأفق» تو: قد اختلف فيه، فمنهم من رواه بالهمز بعد الألف من الغور، يريدون انحطاطه في الجانب الغربي، ومنهم من رواه بالباء من الغبور، والمراد منه الباقي في الأفق بعد انتشار ضوء الفجر، وإنما يستبين في ذلك الوقت الكوكب المضيء، ولا شك أن الرواية الأولى نشأت من التصحيف، وفي كتاب المصابيح: «من المشرق والمغرب»والصواب: «من المشرق أو المغرب»وكذلك رواه في كتاب مسلم، قال المؤلف: وكذا بـ «أو» شرح السنة، وجامع الأصول ورياض الصالحين.

مح: معنى الغابر الذاهب الماضي، أي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون، وروي في غير صحيح مسلم: «الغارب» بتقديم الراء، وروي «العارب» بالعين المهملة والراء، ومعناه البعيد في الأفق، وكلها راجعة إلى معنى واحد.

أقول: فإن قلت: ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الأفق؟.

قلت: للإيذان أنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه، شبه

---

(١) التحريم: ٦.

٥٦٢٥ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخلُ الجنَّةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطير» رواه مسلم.

رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي في جانب المشرق أو المغرب في الاستضاءة من البعد، فلو قيل: «الغائر» لم يصح لأن الإشراق يفوت عند الغروب، اللهم إلا أن يقدر المستشرف على الغروب كقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾[1] أي شارفن بلوغ أجلهن، لكن لايصح هذا المعنى في الجانب الشرقي، نعم يجوز على التقدير كقولهم: متقلدًا سيفًا ورمحًا، وعلفته* تبنا وماء باردًا، أي: طالعًا في الأفق من المشرق وغابرًا في المغرب.

فإن قلت: ما فائدة ذكر المشرق والمغرب؟ وهلا قيل: في السماء - أي في كبدها -؟.

قلت: لو قيل في السماء كان القصد الأولى في بيان الرفعة ويلزم منه البعد، وفي ذكر المشرق والمغرب القصد الأولى البعد ويلزم منه الرفعة، وفيه شبهة من معنى التقصير بخلاف الأول فإن فيه نوع اعتذار، وقريب منه قول الشاعر:

هي الشمس مسكنها في السماء   فعـز الفـؤاد عـزاء جميلا

فلن تسـتطيع إليها الصعـود   ولن تستطيع إليك النزولا

الحديث الثالث عشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «مثل أفئدة الطير» «مح» قيل: مثلها في رقتها كما ورد: «أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبًا»، وقيل: في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفًا وفزعًا، قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[2].

وقيل: المراد يتوكلون كما ورد: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانًا»**.

أقول: قد تقرر في علم البيان أن وجه الشبه إذا أضمر عم تناوله، فيكون أبلغ مما لو صرح به، فينبغي أن يحمل الحديث على المذكورات كلها، ومن ثم خص الفؤاد بالذكر دون القلب.

غب: الفؤاد كالقلب لكن يقال; له فؤاد، إذ اعتبر فيه معنى الفأد أي التوقد، يقال: فأدت اللحم أي شويته، ولحم فئيد مشوي، قال الله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[3] - انتهى كلامه -.

والقريحة إذا أريد وصفها بشدة الإدراك وصفت بالوقود، يقال: مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها.

---

(١) البقرة: ٢٣٤.   (٢) فاطر: ٢٨.   (٣) النجم: ١١.

* هكذا في «ط» و «ك»، وأصل البيت: «علفتها تبنًا وماء باردًا......».

** صحيح.

٥٦٢٦ - * وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى يقولُ لأهل الجنةِ: يا أهلَ الجنة! فيقولونَ: لبَّيكَ ربنا وسعدَيْكَ، والخيرُ كلُّه في يدَيكَ. فيقولُ: هل رضِيتم؟ فيقولونَ: وما لَنا لانرضى ياربُّ وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقكَ؟ فيقول: ألا أُعطيكم أفضلَ من ذلكَ؟ فيقولونَ: ياربُّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلكَ؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أسْخطُ عليكم بعدَه أبدًا». متفق عليه.

٥٦٢٧ - * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أدْنى مقعَد أحدِكم من الجنةِ أن يقولَ له: تمَنَّ؛ فيتمنَّى، ويتمنَّى. فيقولُ له: هل تمنَّيتَ؟ فيقول: نعمْ. فيقول له: فإنَّ لكَ ما تمنَّيتَ ومثلَه معَه» رواه مسلم.

الحديث الرابع عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: وأحل لكم رضواني» الحديث مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار...**﴾ إلى قوله: ﴿**ورضوان من الله أكبر**﴾[1] الكشاف: إنما كبر عن ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة، ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته، والكرامة أكبر أصناف الثواب، لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما يتهنأ له برضاه كما يتنغص عليه بسخطه، ولم يجد لها لذة وإن عظمت.

أقول: وأكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى، ونكر رضوان في التنزيل إرادة للتقليل ليدل على أن شيئًا يسيرًا من الرضوان خير من الجنان وما فيها.

قال صاحب المفتاح: والأنسب أن يحمل على التعظيم، وأكبر على مجرد الزيادة مبالغة لوصفه بقوله: «من الله» أي: رضوان عظيم يليق أن ينسب إلى من اسمه (الله) معطي الجزيل وما لايكتنه كنهه، ومن عطاياه الرؤية وهي أكبر أصناف الكرامة، فحينئذ يناسب معنى الحديث الآية، حيث أضافه إلى نفسه، وأبرزه في صورة **الاستعارة**، وجعل الرضوان كالوفود النازلة على الملك الأعظم، ويؤيد هذا التأويل الحديث الثاني في أول باب الرؤية، يقول الله تبارك تعالى لأهل الجنة: «تريدون شيئًا أزيدكم...؟» إلى قوله: «فيرفع الحجاب، فينظرون إلى وجه الله تعالى، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» فحينئذ لايصح أن يقال في الآية: ورؤية قليلة من الله أكبر.

الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أن يقول له» خبر إن،

---

(١) التوبة: ٧٢

٥٦٢٨ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سيحانُ وجيحانُ والفراتُ والنيلُ، كلٌّ من أنهار الجنةِ». رواه مسلم.

والمعنى أن أدنى منزلة أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها بحيث لاتبقى له أمنية، ونحوه قول الشاعر:

لم يبق جودك لي شيئًا أؤمله   تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

قول الله فى حقه كذا.

الحديث السادس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «سيحان...» مح: سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، والمذكوران في الحديث في بلاد الأرمن، فسيحان نهر المصيصة، وجيحان نهر أردنة، وهما نهران عظيمان جدًّا، هذا هو الصواب، وأما قول الجوهري: جيحان نهر بالشام فغلط.

وقال صاحب نهاية الغريب: سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس، واتفقوا على أن جيحون بالواو نهر خراسان، وقيل: سيحون نهر بالسند.

قض: خص الأنهار الأربعة بالذكر لعذوبة مائها، وكثرة منافعها، كأنها من أنهار الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنهار الأربعة التي هي أصول أنهار الجنة، وسماها بأسامي الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب، على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم أنها في الجنة بمثابتها، وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والنعائم فنموذجات لما يكون في الآخرة، وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية.

مح: قال القاضي عياض: كون هذه الأنهار من الجنة أن الإيمان يعم بلادها، وأن الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة، والأصح أنها على ظاهرها وأن بها مادة من الجنة مخلوقة، موجودة اليوم عند أهل السنة، وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أن الفرات والنيل يجريان من الجنة، وفي البخاري من أصل سدرة المنتهى.

حس «في معالم التنزيل»: [روي عن ابن عباس] أن الله تعالى أنزل هذه الأربعة من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض، وذلك قوله تعالى: **﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾**(١).

أقول: «سيحان» مبتدأ، وكل مبتدأ ثان، والتقدير: كل منها «من أنهار الجنة» خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر الأول، فإذا أريد التشبيه قدر من جنس أنهار الجنة، والفرق بين الوجه

---

(١) المؤمنون: ١٨.

٥٦٢٩ - * وعن عُتبةَ بنِ غزوانَ، قال: ذُكرَ لنا أنَّ الحجرَ يُلقى من شفةِ جهنمَ فيهْوي فيها سبعينَ خريفًا لايُدركُ لها قعرًا، والله لتُملأنَّ. ولقدْ ذُكرَ لنا أنَّ ما بينَ مصْراعَينِ من مصاريعِ الجنةِ مسيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتيَنَّ عليها يومٌ وهو كظيظٌ منَ الزِّحام». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٦٣٠ - * عن أبي هريرةَ، قال: قلتُ: يارسولَ الله! مِمَّ خُلِقَ الخلقُ؟ قال: «منَ الماء». قُلنا: الجنةُ ما بناؤُها؟ قال: «لَبِنةٌ من ذهبٍ ولبِنةٌ من فضة، وملاطُها المسكُ الأذفرُ، وحصباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ، وتربتُها الزَّعفَرَانُ، مَنْ يدخلْها يَنْعَمْ ولايبْأس، ويخلدُ ولايموت، ولا تَبْلى ثيابُهُم، ولايفْنى شبابُهم». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي. [٥٦٣٠]

الأول والثاني ـ على ماذكره القاضي ناصر الدين ـ أن المشبه في الأول أنهار الدنيا، والمشبه به أنهار الجنة، ووجه التشبيه السلامة والعذوبة والهضم والبركة، وفي الثاني على العكس وعلى هذا وجه التشبيه الشهرة والفائدة والعذوبة، وفي الوجه الثالث ـ على ما ذكره القاضي عياض ـ وجه التشبيه المجاورة والانتفاع، سمى أنهار الدنيا بأنهار الجنة لمجاورتها بالمؤمنين والانتفاع بها.

و«من» في «من أنهار الجنة» على الوجه الرابع يجوز أن تكون ابتدائية أي مبتدأة ناشئة منها، أو اتصالية، أو تبعيضية.

الحديث السابع عشر عن عتبة رضي الله عنه: قوله: «كظيظ» أي ممتلئ، [«فا»]: يقال: كظ الوادي كظيظًا بمعنى اكتظ، وفي الغريبين: يقال: كظه الشراب والغيظ، أي ملأ صدره فهو كظيظ، فعلى الأول هو لازم، وعلى الثاني متعد.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «وملاطها» [«نه»]: الملاط الطين الذي يجعل بين سافي البناء، ويملط به الحائط، أي يخلط.

قوله: «ولا يبأس» «تو»: قد وجدناه في المصابيح وفي بعض كتب الحديث: «يبؤس» بالهمزة المضمومة لدلالة الواو على الضم، وبأس الأمر يبؤس إذا اشتد، وبأس يبأس إذا افتقر، والغلط إنما وقع في رسم الخط، والصواب «لايبأس».

[٥٦٣٠] قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله: «مم خلق الخلق؟» (صحيح الترمذي ٢٦٥٩).

٥٦٣١ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما في الجنةِ شجرةٌ إلا وساقُها من ذهبٍ». رواه الترمذي. [٥٦٣١]

٥٦٣٢ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتَينِ مائةُ عامٍ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. [٥٦٣٢]

٥٦٣٣ - * وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، لو أنَّ العالمينَ اجتمعوا في إحداهُنَّ لوَسعَتهم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٦٣٤ - * وعنه، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى ﴿وفُرُشٍ مرفوعةٍ﴾(١) قال:

الحديث الثاني إلى الخامس عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قوله: ﴿**وفرش مرفوعة**﴾(١) الكشاف: أي نضدت حتى ارتفعت، أو مرفوعة على الأسرة، وقيل: هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش، ويدل عليه قوله: ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء**﴾(٢) وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن.

تو: قول من قال: المراد منه ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات وما بين كل درجتين من الدرجات لكما بين السماء والأرض، هذا القول أوثق وأعرف من الوجوه المذكورة وذلك لما في الحديث: «إن للجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

أقول: قول من قال: مرفوعة على الأسرة أقرب لما عقبه بقوله تعالى: ﴿**إنا أنشأناهن إنشاء**﴾ ليوافق قوله: ﴿**هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون**﴾(٣) ويؤيد الوجه الأول حديث أبي سعيد في أول الفصل الثالث، قال: «إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين مسنداً...» الحديث.

قوله: «لكما بين السماء» أدخل لام الابتداء في الخبر، والكاف اسم، قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿**إن هذان لساحران**﴾(٤) قالت النحاة القدماء: إن الضمير فيه مضمر، أي إنه هذان لساحران، قالوا: وأصل هذه اللام أن تقع في الابتداء ووقوعها في الخبر جائز، وأنشدوا:

[٥٦٣١] صحيح (صحيح الترمذي ٢٦٥٨).

[٥٦٣٢] صحيح (صحيح الترمذي ٢٦٦٢).

(١) الواقعة: ٣٤ (٢) الواقعة: ٣٥

(٣) يس: ٥٦. (٤) طه: ٦٣

«ارتفاعُها لكَما بين السماءِ والأرض، مسيرة خمسمائةِ سنة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٦٣٥ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ يوم القيامةِ ضوءُ وجوههِم على مثلِ ضوءِ القمر ليلة البدْر، والزُّمرةُ الثانيةُ على مثل أحسنِ كوكبٍ دريٍّ في السماءِ، لكلِّ رجلٍ منهم زوجَتانِ على كلِّ زوجةٍ سبعون حُلةً، يرى مُخُّ ساقِها منْ ورائِها». رواه الترمذي. [٥٦٣٥]

٥٦٣٦ - * وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يُعطى المؤمنُ في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع». قيل: يارسول الله! أويطيق ذلك؟ قال: «يُعطى قوةَ مائة». رواه الترمذي. [٥٦٣٦]

٥٦٣٧ - * وعن سعد بنِ أبي وقَّاص، عن النبي ﷺ قال: «لو أنْ ما يُقلُّ ظُفُرٌ مما في الجنَّة بدا لتزخرفتْ له ما بين خوافقِ السماوات والأرض، ولو أنَّ رجلاً من أهل الجنَّة! اطّلَع فبدا أساوره لطَمس ضوؤه ضوءَ الشَّمس كما تطمسُ الشَّمس ضوء النجوم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٥٦٣٧]

أم الحليس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبه

الحديث السادس إلى الثامن عن سعد رضي الله عنه: قوله: «ما يقل ظفر» ما موصولة، والعائد محذوف، أي ما يقله ظفر.

قض: أي قدر ما يستقل بحمله ظفر، ويحمل عليها.

«لتزخرفت»: أي تزينت.

و«الخوافق» جمع خافقة وهي الجانب، وهى في الأصل الجانب الذي يخرج منه الرياح، من الخفقان، ويقال: الخافقان المشرق والمغرب ـ انتهى كلامه ـ .

وقوله: «ما بين خوافق» فاعل تزخرفت، وإنما أنث باعتبار الأماكن كما في قوله تعالى: ﴿أضاءت ما حوله﴾(١) في وجه.

[٥٦٣٥] صحيح (صحيح الترمذى ٢٦٧٠).

[٥٦٣٦] صحيح (صحيح الجامع بنحوه ٨١٠٦).

[٥٦٣٧] صحيح (صحيح الجامع ٥٢٥١).

(١) البقرة: ١٧

٥٦٣٨ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أهلُ الجنةِ جُرْدٌ مرْدٌ كحلى، لايفنى شبابهم، ولاتبلى ثيابهم». رواه الترمذي، والدارمي[٥٦٣٨].

٥٦٣٩ - * وعن معاذ بن جبل، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَدْخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْدًا مُرْدًا مكحَّلين أبناءَ ثلاثين ـ أو ثلاثٍ وثلاثين ـ سنة» رواه الترمذي. [٥٦٣٩].

٥٦٤٠ - * وعن أسماء بنتِ أبي بكر، قالتْ: سمعتُ رسول الله ﷺ وذُكر له سدرة المنتهى قال: «يسيرُ الراكبُ في ظلِّ الفَنَنِ منها مائةَ سنةٍ، أو يستظل بظلها مائةُ راكبٍ ـ شكَّ الرَّاوي ـ فيها فَراشُ الذهبِ، كأنَّ ثَمرَها القِلالُ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

الحديث التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «جرد» نه: هو جمع الأجرد وهو الذي لا شعر على جسده، وضده الأشعر. والكحل: بفتحتين، سواد في أجفان العين خلقة، والرجل أكحل وكحيل، كحلى.

الحديث العاشر والحادي عشر عن أسماء رضي الله عنها: قوله: «سدرة المنتهى» قيل: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر، والمنتهى موضع الانتهاء، وكأنها في منتهى الجنة وآخرها.

وقيل: لم يجاوزها أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم، ولا يعلم أحد ما وراءها.

وقوله: «الفنن» غب: الفنن الغصن المورق، وجمعه أفنان، ويقال ذلك للنوع من الشيء، وجمعه فنون.

وقوله: «فيها فراش الذهب» تفسير لقوله في التنزيل: ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾(١) ومنه أخذ ابن مسعود حيث فسر قوله تعالى: ﴿**ما يغشى**﴾ بقوله: «يغشاها فراش من ذهب»، والفراش واحده فراشة وهي التي تطير وتتهافت في السراج.

قال الإمام أبو الفتح العجلي في تفسيره: ولعله أراد الملائكة تتلألأ أجنحتها تلألأ أجنحة الفراش كأنها مذهبة.

[٥٦٣٨] حسن (صحيح الترمذى ٢٦٧٥).

[٥٦٣٩] حسن (صحيح الترمذى ٢٦٨٢).

(١) النجم: ١٦

٥٦٤١ - * وعن أنسٍ، قال: سئل رسول الله ﷺ ماالكوثر؟ قال: «ذاكَ نهرٌ أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشدُّ بياضًا مِنَ اللَّبنِ، وأحلى من العسلِ، فيه طيرٌ أعناقها كأعناق الجُزُر. قال عُمر: إنَّ هذه لناعمة. فقال رسول الله ﷺ: «أكلتُها أنْعَمُ منها». رواه الترمذي.[٥٦٤١]

٥٦٤٢ - * وعن بُريدةَ، أن رجلا قال: يارسول الله! هل في الجنَّة من خيل؟ قال: «إنِ اللهُ أدْخَلكَ الجنةَ فلا تشاء أن تُحمَل فيها على فرسٍ من ياقوتةٍ حمراء يطيرُ بكَ في الجنة حيثُ شئتَ، إلا فعلتَ». وسأله رَجُلٌ فقال: يارسولَ الله! هل في الجنةِ من إبلٍ؟ قال: فلم يقلْ له ما قال لصاحبِه. فقال: «إنْ يدخلك اللهُ الجنةَ يكنْ لكَ فيها ما اشتهَتْ نفسُك ولذَّتْ عينك». رواه الترمذي.

الحديث الثاني عشر والثالث عشر عن بريدة رضي الله عنه: قوله: «إن الله أدخلك الجنة» الله: مرفوع بفعل يفسره ما بعده، ولا يجوز رفعه على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط، وقوله: «فلا تشاء إلى آخره» جواب للشرط.

«قض»: تقدير الكلام: إن أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل على فرس كذلك إلا حملت عليه، المعنى أنه ما من شيء تشتهيه النفس إلا وتجده في الجنة كيف شاءت، حتى لو اشتهت أن تركب فرسًا على هذه الصفة لوجدته وتمكنت منه.

ويحتمل أن يكون المراد: إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرسًا من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة، والمعنى: فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود، ويدل على هذا المعنى ما جاء في الرواية الأخرى، وهو«إن أدخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه» ولعله ﷺ لما أراد أن يبين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا، وما بينهما من التفاوت على التصوير والتمثيل، مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا أثبتُ الجواهر وأدومها وجودًا، وأنصعها لونًا، وأصفاها جوهرًا، وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير، وأكد ذلك في الرواية الأخرى بقوله: «له جناحان» وعلى هذا قياس ما ورد في صفة أبنية الجنة ورياضها وأنهارها إلى غير ذلك، والعلم بحقائقها عند الله تعالى.

[٥٦٤١] حسن صحيح (صحيح الترمذي ٢٠٦٣).

٥٦٤٣ - * وعن أبي أيوب، قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يارسول الله! إني أُحبُّ الخيلَ، أفي الجنَّة خيلٌ؟ قال رسول الله ﷺ: «إن أُدخلتَ الجنَّة أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتة له جناحانِ فَحُملتَ عليه ثم طارَ بك حيث شئت». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ ليس إِسناده بالقويِّ، وأبو سَورة الراوي يضعَّف في الحديث، وسمعتُ محمَّد بن إِسماعيل يقول: أبو سورةَ هذا منكرُ الحديث يروي مناكير.

٥٦٤٤ - * وعن بُريدةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أهلُ الجنَّةِ عشرونَ ومائةُ صف، ثمانونَ منها من هذه الأمةِ، وأربعون من سائر الأمم». رواه الترمذي، والدارمي، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور». [٥٦٤٤]

٥٦٤٥ - * وعن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بابُ أمتى الذى يَدْخلونَ منه الجنةَ عرضُه مسيرة الراكبِ المجودِ ثلاثًا، ثم إِنهم ليُضْغَطُونَ عليه، حتى

أقول: الوجه الأول ذهب إليه الشيخ التوربشتى، وتقدير قوله: «إلا حملت» يقتضي أن يروى قوله: إلا فعلت على بناء المفعول لأنه استثناء مفرغ، أي لا يكون بمطلوبك إلا مسعفا [وإذا نزل على بناء الفاعل كان التقدير: فلا يكون بمطلوبك إلا فائزًا]* والوجه الثاني من الوجهين السابقين قريب من **الأسلوب الحكيم**، فإن الرجل سأله عن الفرس المتعارف في الدنيا فأجابه ﷺ بما في الجنة، أي اترك ما طلبت فإنك مستغن عنه بهذا المركب الموصوف.

الحديث الرابع عشر والخامس عشر عن بريدة رضي الله عنه: قوله: «ثمانون منها من هذه الأمة» فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وبين ماورد من قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا، فقال ﷺ: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، فقال ﷺ: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة؟».

قلت: يحتمل أن يكون الثمانون صفًّا مساويًا في العدد للأربعين صفًّا، وأن يكونوا كما زاد على الربع والثلث، يزيد على النصف كرامة له ﷺ.

الحديث السادس عشر عن سالم رضي الله عنه: قوله: «الراكب المجود» قال في أساس البلاغة: يجود في صنعته يفوق فيها، وأجاد الشيء وجوده أحسن فيما فعل، وجود في عدوه عدا عدوًا جوادًا، وسرنا عقبة جوادًا أو عقبتين جوادين أي بعيدة طويلة، وفرس جواد من خيل جياد، وأجاد فلان صار له فرس جواد فهو مجيد.

[٥٦٤٤] صحيح الترمذي ٢٠٦٥.

* ما بين المعكوفتين سقط من «ط» وأثبتناه من «ك».

تكادَ مناكبُهم تزول». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ ضعيفٌ، وسألتُ محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: خالد بن أبي بكر، يروي المناكير. [٥٦٤٥]

٥٦٤٦ - * وعن علي [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنَّة لسوقًا ما فيها شِرى ولابيعٌ إلا الصُّور من الرجالِ والنساءِ، فإذا اشتهى الرجلُ صورةً دخل فيها». رواه الترمذي.، وقال: هذا حديث غريب.

٥٦٤٧ - * وعن سعيد بن المسيب، أنه لَقي أبا هريرةَ، فقال أبو هريرةَ: أسأل اللهَ أن يجمعَ بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أَفيها سوقٌ؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهلَ الجنّةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذَنُ لهم

أقول: والمجود يحتمل أن يكون صفة الراكب، والمعنى الراكب الذي يجود ركض الفرس. وأن يكون مضافًا إليه، والإضافة لفظية أي الفرس الذي يجود في عدوه.

وقوله: «ليضغطون»أي يزحمون، يقال: ضغطه يضغطه ضغطًا أي عصره وضيق عليه وقهره.

الحديث السابع عشر عن علي رضي الله عنه: قوله: «إن في الجنة لسوقًا» قد سبق في الفصل الأول في حديث أنس أن المراد بالسوق المجمع وهذا يؤيده[1] فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلا بأن يجعل تبديل الهيئات من جنس البيع والشرى، كقوله تعالى: ﴿يومَ لايَنفعُ مالٌ ولاَ بَنونَ إلا من أتَى اللهَ بقلبٍ سليمٍ﴾[2].

قيل: يحتمل الحديث معنيين: أحدهما: أن يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه فإذا اشتهى وتمنى صورة من تلك الصور المعروضة عليه، صوره الله تعالى بشكل تلك الصورة بقدرته

وثانيهما: أن المراد من الصورة الزينة التي يتزين الشخص بها في تلك السوق، ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحُلي والحلل والتاج، يقال: لفلان صورة حسنة أي شارة حسنة وهيئة مليحة.

وعلى كلا المعنيين التغيير في الصفة لا في الذات.

أقول: ويمكن أن يجمع بينهما ليوافق حديث أنس: «فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالا...» الحديث.

الحديث الثامن عشر عن سعيد بن المسيب: قوله: «ويتبدى لهم» أي ويظهر لهم.

[٥٦٤٥] ضعيف الجامع: (٢٣١٢).

(١) قال مصحح «ط»: يعني حيث قال: «ما فيها شرى ولابيع» مرقاة: ١٠/ ٣٣٧.

(٢) الشعراء: ٨٨: ٨٩

في مقدارِ يومِ الجمعةِ من أيام الدنيا، فيزورونَ ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدَّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنَّة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زَبرجَد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم ـ وما فيهم دنيٌّ ـ على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضلَ منهم مجلسًا». قال أبوهريرةَ: قلتُ: يارسول الله! وهل نرى ربَّنا؟ قال: «نعم! هل تتمارون في رؤية الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدر؟» قلنا: لا. قال: «كذلك لاتتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضَرَهُ الله محاضرةً حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان! أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكِّره ببعض غَدراته في الدنيا. فيقول: ياربِّ! أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه. فبيناهم على ذلك غشيتهم سحابةٌ من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول ربُّنا: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقًا قد حَفَّتْ به الملائكة، فيها ما لم تنظر العيونُ إلى مثلهِ، ولم

وقوله: «وما فيهم دنيٌّ» تتميم صونًا لما يتوهم من قوله: «ويجلس أدناهم» من الدناءة، والمراد به الأدنى في المرتبة.

وقوله: «ما يرون» من الإراءة على بناء المفعول، أو بمعنى يظنون أى لايظنون ولا يتوهمون.

«أن أصحاب الكراسي» أي المنابر أفضل منهم حتى يحزنوا بذلك، وإليه الإشارة في الحديث بقوله: «وذلك أنه لاينبغي لأحد أن يحزن فيها».

قوله: «إلا حاضره الله محاضرة» تو: الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة، والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولاترجمان، وبينه الحديث: «ما فيكم من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث.

قوله: «فبسعة مغفرتي»عطف على مقدر، أي بلى غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة، والتقديم دل على التخصيص، أي بلوغك تلك المنزلة كائن بسعة رحمتي لا بعملك.

قوله: «ما لم تنظر العيون» مظ: ما موصولة، والموصول مع صلته يحتمل أن يكون منصوبًا بدلا من الضمير المنصوب المقدر العائد إلى ما في قوله: «ما أعددت»، ويحتمل أن يكون في محل الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي المعد لكم ما لم تنظر العيون إلى مثله.

أقول: والوجه أن تكون «ما» موصوفة بدلا من سوقًا، أو إبهامية تزيد الشيوع في سوقًا

تسمعِ الآذانُ، ولم يخطر على القلوبِ، فيحملُ لنا ما اشتهينا، ليس يُباعُ فيها ولايُشترى، وفي ذلكَ السوقِ يَلقى أهلُ الجنةِ بعضُهم بعضًا». قال: «فيُقبلُ الرجلُ ذو المنزلةِ المرتفعةِ، فيلقى مَن هو دونَه ـ وما فيهم دنيٌّ ـ فيروعُه مايرى عليه من اللباسِ، فما ينقضي آخرُ حديثه حتى يتخيَّل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنَّه لا ينبغي لأحد أن يحزنَ فيها، ثمَّ ننصرفُ إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجُنا، فيقُلنَ: مرحبًا وأهلا لقد جئت وإنَّ بكَ من الجمال أفضلَ ممَّا فارقتَنا عليه، فيقولُ: إنَّا جالسْنا اليومَ ربَّنا الجبَّارَ، ويحقُّنا أن ننقلبَ بمثلِ ما انقلبْنا». رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريب. [٥٦٤٧]

٥٦٤٨ - * وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أدْنى أهل الجنَّةِ الذي له ثمانونَ ألفَ خادمٍ، واثنتانِ وسبعونَ زوجةً، وتُنصَبُ له قُبةٌ من لؤلؤٍ وزبرجد وياقوت

المفخم بالتنكير، أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقَهُم﴾(١) ويكون قوله: «قد حفت به الملائكة» وقوله: «ما لم تنظر العيون» صفة لقوله: «سوقًا»، وقوله: «ليس يباع فيها» حال من «ما» في «ما اشتهيتم» وهو المحمول، والضمير في «يباع» عائد إليه.

وقوله «فيروعه مايرى عليه» الضمير المجرور، يحتمل أن يرجع إلى «من» فيكون الروع مجازًا عن الكراهة مما هو عليه من اللباس، وأن يرجع إلى الرجل والمنزلة فالروع بمعنى الإعجاب، أي: يعجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه، يدل عليه قوله: «فما ينقضي آخر حديثه» أي ما ألقي في روعه من الحديث.

قال في الأساس: ومن المجاز شهد الروع أي الحرب، وفرس رائع يروع الرائي بحاله، وكلام رائع رائق.

وضمير المفعول فيه عائد إلى «من».

قوله: «حتى يتخيل عليه» أي يظهر عليه لباس أحسن من لباس صاحبه، «غب»: يقال: خيلت السماء أبدت خيالا للمطر، وفلان مخيل بكذا أي خليق، وحقيقته أنه مظهر خيال ذلك.

وقوله: «فيتلقانا» أي يستقبلنا.

الحديث التاسع عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «وتنصب له قبة من لؤلؤ»

[٥٦٤٧] انظر ضعيف الجامع: (١٨٣١).

(١) النساء: ١٥٥

كما بينَ الجابيةِ إلى صنعاءَ». وبهذا الإسناد، قال: «ومَن ماتَ من أهلِ الجنةِ من صغيرٍ أو كبيرٍ يُردونَ بَني ثلاثينَ في الجنةِ، لايزيدونَ عليها أبدًا، وكذلك أهلُ النارِ».

وبهذا الإسناد، قال: «إنَّ عليهمُ التيجانَ، أدنى لؤلؤةٍ منها لتُضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغرب».

وبهذا الإسناد، قال: «المؤمنُ إذا اشتهى الولدَ في الجنةِ كان حمله ووضعُه وسنُّه في ساعة كما يشتهي». وقال إسحاقُ بن إبراهيم في هذا الحديث: إذا اشتهى المؤمنُ في الجنةِ الولدَ كان في ساعة ولكن لايشتهي رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

وروى ابنُ ماجه الرابعةَ، والدارميُّ الأخيرةَ. [٥٦٤٨]

٥٦٤٩ - * وعن عليّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ لمجتمعًا للحورِ العينِ يرفعنَ بأصواتٍ لم تسمعِ الخلائقُ مثلَها، يقلنَ: نحنُ الخالدات فلا نبيدُ،

«قض»: يريد أن القبة معمولة منها أو مكللة بها، وأن فسحتها وبعد ما بين طرفيها كما بين الموضعين وهما: جابية الشام وصنعاء اليمن.

قوله: «من صغير أو كبير يردون» فيه تغليب لأن الرد إنما يتصور في الكهول والمشايخ دون الصغير، فإن قلت: ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما رواه مسلم عن أبي هريرة في باب البكاء: «دعاميص الجنة» أي دخالون على منازلها لايمنعون عن موضع كما في الدنيا؟.

قلت: «في الجنة» ظرف ليردون وهو لايشعر أنهم لم يكونوا دعاميص قبل الرد.

الحديث العشرون عن علي رضي الله عنه:

قوله: «للحور العين» «غب»: حور جمع أحور وحوراء، والحور قيل: ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من العين، ويقال للبقر الوحشي: أعين وعيناء لحسن عينه وجمعها عين، وبه شبه النساء قال تعالى: ﴿**وحورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤ المكنون**﴾(١).

الحديث الحادي والعشرون عن حكيم بن معاوية(٢) رضي الله عنه: قوله: «ثم تشقق الأنهار

[٥٦٤٨] انظر سنن الترمذى، الأولى (٢٥٦٢)، الرابعة انظر صحيح الترمذى (٢٠٧٧).

(١) الواقعة: ٢٢:٢٣.

(٢) قال مصحح «ط»: قال البخاري: في صحبته نظر.

ونحنُ الناعماتُ فلا نبأسُ، ونحنُ الراضياتُ فلا نسخطُ، طوبى لمن كانَ لنَا وكُنَّا له». رواه الترمذي. [٥٦٤٩]

٥٦٥٠ - * وعن حكيمِ بن معاويةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنة بحرَ الماءِ، وبحرَ العسل، وبحرَ اللبنِ، وبحرَ الخمرِ، ثمَّ تشقَّقُ الأنهارُ بعدُ». رواه الترمذي. [٥٦٥٠]

٥٦٥١ - * ورواه الدارميُّ عن معاوية. [٥٦٥١]

الفصل الثالث

٥٦٥٢ - * عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الرجلَ في الجنَّة ليتكئُ في الجنةِ سبعينَ مَسْنَدًا قبلَ أن يتحوّلَ، ثمَّ تأتيه امرأةٌ فتضربُ على منكبه، فينظرُ وجهَه في خدِّها أصفى من المرآةِ، وإنَّ أدنى لؤلؤة عليها تضيءُ ما بينَ المشرقِ

بعد» يريد بالبحر مثل دجلة والفرات ونحوهما، وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من أحدهما، ثم تشقق منه الجداول.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «أصفى من المرآة» حال من قوله: «خدها».

قوله: «سبعين مسندًا» هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى وتقدس: ﴿وفرش مرفوعة﴾(١) بأنها منضودة بعضها فوق بعض، كما سبق في الحديث الخامس من الفصل الثاني.

وقوله: «قبل أن يتحول» ظرف لقوله: «ثم تأتيه».

«من المزيد» يراد به قوله تعالى: ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾(٢) ومن المزيد أيضًا ما في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة﴾(٣) [أي الجنة وما يزيد عليها رؤية الله تعالى، وإنما سميت زيادة، لأن الحسنى هى الجنة]* وما وعد الله تعالى بفضله جزاء أعمال المكلفين، والزيادة فضل على فضل.

[٥٦٤٩] قال الشيخ الألباني: «وضعفه (أي الترمذى) بقوله: حديث غريب وهو كما قال».

[٥٦٥٠] انظر صحيح الجامع ٢١٢٢.

[٥٦٥١] الدارمى (٢/ ٤٣٥) باب ما جاء في أنهار الجنة.

(١) الواقعة: ٣٤. (٢) ق: ٣٥. (٣) يونس: ٢٦.

* ما بين المعكوفتين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

والمغربِ، فتسلِّمُ عليه، فيردُّ السلامَ، ويسألُها: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنَّه ليكونُ عليها سبعونَ ثوبًا، فينفذُها بصرُه، حتى يُرى مخُّ ساقها من وراءِ ذلكَ، وإنَّ عليها من التيجانِ أنَّ أدنى لؤلؤة منها لتُضيءُ مابين المشرق والمغربِ». رواه أحمد. [٥٦٥٢]

٥٦٥٣ - * وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يتحدَّثُ ـ وعنده رجلٌ من أهل البادية ـ: «إنَّ رجلا من أهل الجنةِ استأذنَ ربَّه في الزرع. فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بَلى، ولكنْ أُحبُّ أن أزرعَ، فبذرَ، فبادرَ الطرفَ نباتُه واستواؤُه، واستحصادُه، فكانَ أمثالَ الجبالِ. فيقولُ اللهُ تعالى: دونكَ يا بن آدمَ! فإنَّه لايشبعُك شيءٌ». فقال الأعرابيُّ: واللهِ لا تجدُه إلاَّ قُرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحابُ زرعٍ؛ وأمَّا نحنُ فلسْنا بأصحاب زرعٍ! فضحكَ رسولُ الله ﷺ. رواه البخاريُّ.

٥٦٥٤ - * وعن جابرٍ، قال: سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ: أينامُ أهلُ الجنة؟ قال: «النومُ أخو الموتِ، ولا يموتُ أهلُ الجنةِ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان». [٥٦٥٤]

قوله: «إن أدنى لؤلؤة» إن بالكسر مزيدة، واللام داخلة في خبر إن الأولى نحو قوله تعالى ﴿أَلمْ يعلمُوا أنهُ من يُحادِدِ اللهَ ورسولهُ فإنَّ لهُ نارَجهنم﴾(١) أي فله نارجهنم.

الحديث الثاني والثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «إن رجلا» بكسر الهمزة مفعول يتحدث على حكاية ما تلفظ به رسول الله ﷺ.

وقوله: «ألست فيما شئت؟» أي ما تفعل بالزرع وتتعب فيه ألست في سعة منه لما يحصل لك جميع ما تشتهيه بمجرد التمني؟.

قوله: «دونك يا بن آدم خذ ما تمنيت» قاله على سبيل التوبيخ تهجينًا لما التمسه، ومن ثمة رتب عليه قوله: «فإنه لايشبعك شيء» وقد يوجد في تعارف الناس مثل هذا التوبيخ.

اللهم اجعلنا من الداخلين في الجنة، واسلكنا في الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا.

[٥٦٥٢] أعله الشيخ الألباني بأن فيه دراجًا، وهو صاحب مناكير.

[٥٦٥٤]قال الشيخ: (وإسناده ضعيف).

(١) التوبة: ٦٣ بقراءة كسر همزة (إن) إذ المشهور فتحها (فأن).

(٦) باب رؤية الله تعالى

الفصل الأول

٥٦٥٥ - * عن جرير بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ «إنّكم سترونَ ربَّكم عِيَانًا» وفي رواية: قال: كنَّا جلوسًا عند رسولﷺ، فنظرَ إلى القمر ليلةَ البدر فقال: «إنكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن

باب رؤية الله تعالى

الفصل الأول

الحديث الأول عن جرير رضي الله عنه:

قوله: «عيانًا» يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا أو حالًا مؤكدة إما من الفاعل أو المفعول، أي معاينين أو معاينًا.

«حس»: سئل مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿إلى ربهَا ناظرة﴾[1] فقيل: قوم يقولون: إلى ثوابه؟.

فقال مالك: كذبوا، وأين هم عن قوله تعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[2]. [ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم، وقال:لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾]*

«مح»: اعلم أن مذهب أهل السنة قاطبة أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طوائف من أهل البدع (المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة) أن الله تعالى لايراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة.

وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على أنها لاتقع في الدنيا، وحكى الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري، أحدهما وقوعها، والثاني لاتقع.

ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، ولايشترط فيها اتصال

---

(١) القيامة: ٢٣. (٢) المطففين : ١٥.

* ما بين المعكوفتين سقط من (ط) وأثبتناه من «ك».

لاتُغْلَبُوا على صلاةٍ قبل طلوعِ الشمس وقبلَ غروبها فافعلوا» ثمَّ قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ ربك قَبْلَ طُلُوعِ الشمسِ وقبلَ غُروبِهَا﴾[1] متفق عليه.

٥٦٥٦ - * وعن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنَّةَ يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلْنا الجنةَ وتُنْجنا من النَّار؟» قال: «فيرفعُ الحجاب، فينظرون إلى وجه الله، فما أُعطوا شيئًا

الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية.

ولايلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة له - تعالى عن ذلك - بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة.

قوله: «كما ترون» قال في جامع الأصول: قد يخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله: «كما ترون» كاف التشبيه للمرئي، وإنما هي كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي، ومعناه ترون رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولاتمترون.

و«لا تضامون» روى بتخفيف الميم من الضيم الظلم، على معنى أنكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم في رؤيته فيراه البعض دون البعض.

وبتشديد الميم من الانضمام والازدحام أي: لا يُزدحم بكم في رؤيته، ويُضمُّ بعضُكم إلى بعض من ضيقٍ كما يجرى عند رؤية الهلال مثلا دون رؤية القمر، إنما يراه كل منكم موسعًا عليه منفردًا به.

قوله: «فإن استطعتم أن لاتغلبوا» قض: ترتيب قوله: «إن استطعتم» على قوله: «سترون» بالفاء يدل على أن المواظب على إقامة الصلوات والمحافظ عليها خليق بأن يرى ربه، وقوله: «لا تغلبوا» معناه لاتصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتي الصبح والعصر، وإنما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس إلى الاستراحة والنوم وفي العصر من قيام بالأسواق واشتغال الناس بالمعاملات، فمن لم يلحقه فترة في الصلاتين مع مالهما من قوة المانع فبالحري أن لايلحقه في غيرهما ـ والله أعلم ـ.

الحديث الثاني عن صهيب رضي الله عنه: قوله: «ألم تبيض وجوهنا؟» تقرير وتعجيب من أنه كيف يمكن الزيادة على ما أعطاهم الله من سعة فضله وكرمه.

«فيرفع الحجاب» رفع الحجاب دفع للتعجب كأنه قيل لهم: هذا هو المزيد.

---

(١) طه: ١٣٠.

أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم» ثمَّ تلا ﴿لِلَّذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[1]. رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٦٥٧ - * عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهل الجنَّةِ منزلةً لمَن ينظر إلى جِنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسُرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على

قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾[1] أي للذين أجادوا الأعمال الصالحة وقرنوها بالإخلاص الحسنى، أي المثوبة الحسنى وهي الجنة، ونكر الزيادة ليفيد ضربا من التفخيم والتعظيم بحيث لايقدر قدره ولايكتنه كنهه، وليس ذلك إلا لقاء وجهه الكريم، وإذا كان مفسر التنزيل من نزل عليه فمن تعداه فقد تعدى طوره[2].

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «ينظر إلى جنانه» **كناية** عن كون الناظر يملك في الجنة ما يكون مقداره مسيرة ألف سنة، لأن المالكية في الجنة خلاف ما في الدنيا، وفي التركيب تقديم وتأخير حيث جعل الاسم وهو قوله: «لمن ينظر» خبرًا، أو الخبر وهو «أدنى منزلة» اسمًا اعتناء بشأن المقدم لأن المطلوب بيان ثواب أهل الجنة وسعتها وأن أدناهم منزلة من يكون ملكه كذا، نحوه قوله تعالى **﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾**[3].

الكشاف: فإن قلت: كيف جعل «خير من استأجرت» اسمًا، و«القوي الأمين» خبرًا؟.

قلت: هو مثل قوله:

ألا إن خير الناس حيًا وميتا أسير ثقيف عندهم في السلاسل

فى أن العناية هى سبب التقديم.

---

(١) يونس: ٢٦

(٢) قال مصحح «ط»: قال علي القاري: أراد به الزمخشري في عدوله عنه إلى التأويل، وكذا من تبعه كالبيضاوي حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجميل الثابت ممن نزل عليه التنزيل. [المرقاة: ١٠/٣٤٦].

(٣) القصص: ٢٦

الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشيَّة» ثم قرأ ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة﴾[1]. رواه أحمد، والترمذي. [٥٦٥٧]

٥٦٥٨ - * وعن أبي رزين العقيلي، قال: قلت: يارسول الله! أكلُّنا يرى ربَّه مُخْلِيًا به يوم القيامة؟ قال: «بلى». قال: وما آيةُ ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزين!

قوله: ﴿يومئذ ناضرة﴾[1] أي ناعمة غضة حسنة، وقدم صلة «ناظرة» إما لرعاية الفاصلة وهي «ناضرة» «باسرة» «فاقرة» وإما لأن الناظر يستغرق عند رفع الحجاب بحيث لا يلتفت إلى ما سواه، وكيف يستبعد هذا والعارقون في الدنيا ربما استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا إلى الكون وذلك في مقام الغرق وهو انسداد مسالك الالتفات من القلب باستيلاء أنوار الكشف عليه قد شغفها حبًا قال:

فلما استبان الصبـح أدرج ضوءه　　　بإسفـــاره أنوار ضوء الكواكب

يجرعهــم كأسًا لو ابتليت لظى　　　بتجريعــه صارت كأسرع ذاهب

ويعضده حديث جابر في آخر الفصل الثالث: «فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم».

الحديث الثاني عن أبي رزين رضي الله عنه: قوله: «مخليا به» أي: خاليًا. [«نه»: يقال خلوت به ومعه وإليه واختليت به إذا انفرَدت به: أى كلكم يراه منفردًا بنفسه، كقوله: لا تضارون فى رؤيته]*

أقول: قاس القائل رؤية الله تعالى على ما في المتعارف، فإن الجم الغفير إذا رأوا شيئًا يتفاوتون في الرؤية لا سيما شيئًا له نوع خفاء، فيضيم بعضهم بعضًا بالازدحام، فمن راءٍ يرى رؤية كاملة وراءٍ دونها، فالمراد بقوله: «مخليًا» إثبات كمالها، ولهذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا بالهلال.

[٥٦٥٧] ضعيف الجامع ١٣٨٢

(١) القيامة: ٢٢.

* ما بين المعكوفتين سقط من «ط» وأثبتناه من «ك».

أليس كلُّكم يَرى القمرَ ليلةَ البدرِ مُخْلِيًا به؟» قال: بلى. قال: «فإنما هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله، والله أجلُّ وأعظم». رواه أبوداود. [٥٦٥٨]

الفصل الثالث

٥٦٥٩ - * عن أبي ذر، قال: سألت رسولَ الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنَّى أراه». رواه مسلم.

٥٦٦٠ - * وعن ابن عبَّاس: ﴿ماكذب الفؤادُ مارأى﴾[١] ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[١]

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي ذر رضي الله عنه:

قوله: «نور أنى أراه؟» قال الإمام أحمد: يعني على طريق الإيجاب.

أي أراد أن الاستفهام ليس للإنكار المستلزم للنفي، بل للتقرير المستلزم للإيجاب، أي نور حيث أراه.

«مح»: وفي الرواية الأخرى «رأيت نورًا»، و«أنى» بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول، ومعناه: حجابه نور فكيف أراه، قال الإمام المازري: معناه أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة، فإن كمال النور يمنع الإدراك.

وروي: «نوراني» منسوب إلى النور، وما جاء من تسمية الله تعالى بالنور في مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾[٢] وفي الأحاديث معناه ذو نور أو منورهما، وقيل: هادي أهل السماوات والأرض، وقيل: منور قلوب عباده المؤمنين.

الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[١] «مح»: قال ابن مسعود: «رأى رسول الله ﷺ جبريل» وهذا الذي قاله هو مذهبه في هذه الآية، وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى، ثم اختلفوا، فذهب جماعة إلى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده دون عينه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه.

[٥٦٥٨] انظر ضعيف الجامع ٦٣٨٩

(١) النجم: ١١، ١٣. (٢) النور: ٣٥

قال: رآه بفؤاده مرتين. رواه مسلم.

قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال المفسرون: هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة المعراج، قال ابن عباس وأبو ذر وإبراهيم التيمي رآه بقلبه، وعلى هذا رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرًا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين.

قال: ومذهب جماعة من المفسرين أنه رأى بعينه، وهو قول: أنس وعكرمة والربيع، قال المبرد: إن الفؤاد رأى شيئًا فصدق فيه، و(ما رأى) في موضع النصب، أي ما كذب الفؤاد مرئيه.

أقول: لا يستقيم تأويل ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾[1] استقامة يساعدها الذوق إذا جعل الضمير في أوحى لجبريل، وكذا نظم الكلام، وإنما يوافق إذا قلنا: إن الضمير لله سبحانه وتعالى وبيانه أن يجري الكلام إلى قوله: ﴿**وهو بالأفق الأعلى**﴾[2] على أمر الوحي بالواسطة وتلقيه من الملك في دفع* شبه الخصوم، ومن قوله: ﴿**ثم دنا فتدلَّى**﴾[3] إلى قوله: ﴿**من آيات ربه الكبرى**﴾[4] على أمر العروج إلى الجناب الأقدس فحينئذ (عبده) من إقامة المظهر موضع المضمر لتصحيح نسبة القرب وتحقيق معنى ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا**﴾[5] ولا يخفى على كل ذي لب إباء مقام قوله: ﴿**ما أوحى**﴾ الحمل على أن جبريل أوحى إلى عبدالله ما أوحى، إذ لايذوق منه أرباب القلوب إلا معنى المنافاة بين المتساويين وما ينطوي عنده بساط الوهم ولا يطيقه نطاق الفهم، وكلمة «ثم» على هذا منزلة على التراخي بين المرتبتين، والفرق بين الوحيين: وحي بواسطة وتعليم، وآخر بغير واسطة بجهة التكريم فيحصل عنده الترقي من مقام ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾[6] إلى مخدع ﴿**قاب قوسين أو أدنى**﴾[7].

قال القاضي عياض: اختلف الخلف والسلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء، فأنكرته عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود، وإليه ذهب جماعة من (المحدثين)** والمتكلمين.

وروي عن ابن عباس أنه رأى بعينه، ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن ـ وكان يحلف على ذلك ـ، وحكى مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل، وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه.

ووقف بعض مشايخنا وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة.

---

(١) النجم: ١٠. (٢) النجم: ٧.
(٣) النجم: ٨. (٤) النجم: ١٨.
(٥) الإسراء: ١. (٦) الصافات: ١٦٤
(٧) النجم: ٩.
* في ك (رفع).
** ليست في (ك) وأثبتناها من (ط).

وفي رواية الترمذي قال: رأى محمد ربّه. قال: عكرمة قلتُ: أليس الله يقول:

واختلفوا أن نبينا ﷺ هل كلمه ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا؟.

فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس.

وكذلك اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾(1) فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي مقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ، وعن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم رضي الله تعالى عنهم: أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه تعالى، أو من الله، والدنو والتدلي على هذا متأول ليس على وجهه، قال جعفر بن محمد: الدنو من الله لا حد له، ومن العباد بالحدود، فدنوه ﷺ من ربه عزوجل: قربه منه، وظهور عظيم منزلته لديه، وإشراق أنوار معرفته عليه، واطلاعه على أسرار ملكوته وغيبه بما لم يطلع عليه سواه، والدنو من الله تعالى، إظهار ذلك له وإيصال عظيم بره وفضله إليه، و﴿قاب قوسين أو أدنى﴾(2) على هذا عبارة عن لطف المحل، وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من نبينا ﷺ، ومن الله إجابة الرغبة وإثابة* المنزلة، ونحوه قوله ﷺ حكاية عن ربه: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعًا» هذا آخر كلام القاضي عياض.

وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية، قال: والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة لكنا لانتمسك (إلا بالأقوى)**، منها حديث ابن عباس رضي الله عنه: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة: هل رأى محمد ﷺ ربه، فأخبره أنه رآه، ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها، لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت من النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب﴾(3) ولقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾(4) والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذا بالظن والاجتهاد، وقد قال عمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره، والمثبت مقدم على النافي. هذا كلام صاحب التحرير.

---

(1) النجم: ٨ . (2) النجم: ٩ .

(3) الشورى: ٥١ . (4) الأنعام: ١٠٣ .

* فى ط (إنابة) والتصويب من (ك).

** زيادة من ـ(ط)، وفى (ك) (ولكنا لا نتمسك فإنه اختار منها حديث ابن عباس. . . إلخ).

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[1]؟ قال: ويحك! ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربَّه مرَّتين.

وقال الشيخ محيي الدين النواوي: الحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء، وإثبات هذا ليس إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، وهذا مما لاينبغي أن يشكك فيه، ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث، ولو كان معها حديث لذكرته، وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات، أما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿لاتدركه الأبصار﴾ فجوابه أن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لايحاط، فإذا ورد النص بنفي الإحاطة به لا يلزم منه نفي الرؤية بغير الإحاطة، وبقوله: ﴿ما كان لبشر أن يكلمه الله﴾[2] الآية فجوابه أنه لايلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام، أو أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة، وقال ابن عباس وعلى هذا معنى ﴿نزلة أخرى﴾[3] يعود إلى النبي ﷺ، فقد كانت له عروجات في تلك الليلة لاستحطاط عدد الصلوات، وكل عرجة نزلة ـ تم كلامه ـ .

وفي التفسير الكبير: واعلم أن النصوص وردت أن محمداً ﷺ رأى ربه بفؤاده وجعل بصره في فؤاده، أو رآه ببصره وجعل فؤاده في بصره، وكيف لاومذهب أهل السنة الرؤية بالإراءة لابقدرة العبد فإذا حصل الله تعالى العلم بالشيء من طريق البصر كانت رؤية بالإراءة، وإن حصل من طريق القلب كان معرفة، والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك للعلوم في القلب، والمسألة مختلف فيها بين الصحابة، واختلاف الوقوع مما ينبىء عن الاتفاق على الجواز والله أعلم.

وروى السلمي عن جعفر بن محمد: أدناه منه حتى كان قاب قوسين، والدنو من الله تعالى لا حد له، والدنو من العبد بالحدود.

﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[4] قال: بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا إلى قلبه لايعلم به أحد سواه بلا واسطة إلا في العقبى حتى يعطيه الشفاعة لأمته، ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[4] أي كان ما كان وجرى ما جرى.

وذكر الشيخ أبوالقاسم القشيري في مفاتيح الحجج: أخبر الله تعالى بقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[5] أنه ﷺ بلغ من الرتبة والمنزلة والقدر الأعلى ما لا يفهم الخلق.

---

(١) الأنعام: ١٠٣. (٢) الشورى: ٥١.
(٣) النجم: ١٣. (٤) النجم: ١٠.
(٥) النجم: ٩.

ثم قال: ﴿أو أدنى﴾[1] أي حل فوق ذلك.

قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي قدس الله سره: ﴿ما زاغ البصر﴾[2] إخبار عن حاله صلوات الله تعالى وسلامه عليه بوصف خاص، وكأن ﴿ما زاغ البصر﴾[2] حاله في طرف الإعراض وفي طرف الإقبال، تلقى ما ورد عليه في مقام ﴿قاب قوسين﴾[1] بالروح والقلب﴿وما طغى﴾حاله في الفرار من الله تعالى حياء إلى مطاوي الانكسار لئلا تنبسط النفس.

وقال: فيه وجه آخر ألطف منه أنه ﴿ما زاغ البصر﴾[2] حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر ﴿وما طغى﴾[2] لم تسبق البصيرة البصر فتجاوز حده وتتعدى مقامه، ولم يزل ﷺ مستجلسًا [حجاله* في حقارة]** أدب حاله حتى خرق حجب السماوات، فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا، وانقشعت عنه الحجب حجابًا حجابًا، حتى استقام على صراط ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾[2] فمر كالبرق الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف، وهذا غاية الأدب ونهاية الأرب.

وقال أبو العباس عن ابن عطاء: لم يره بطغيان ميل بل رآه على شرط اعتدال القوى.

وقال سهل بن عبدالله التستري: لم يرجع رسول الله ﷺ إلى شاهد نفسه ولا إلى مشاهدتها، وإنما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المحل.

وعن حقائق السلمي قال الصادق: لما قرب الحبيب إلى الحبيب بغاية القرب نالته غاية الهيبة، فلاطفه الحق بغاية اللطف لأنه لايحمل غاية الهيبة إلا غاية اللطف، وذلك قوله: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[3] أي كان ما كان وجرى ما جرى، قال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب لحبيبه، وألطف له إلطاف الحبيب لحبيبه، وأسر إليه ما يسر الحبيب إلى حبيبه، فأخفيا ولم يطلعا على سرهما أحداً.

قال جعفر: لا يعلم ما رأى إلا الذي أرى، والذي رأى صار الحبيب إلى الحبيب قريبًا وله نجيا وبه أنيسًا، يرفع درجات من يشاء.

قال السلمي: ما كذب الفؤاد ما رأى البصر، وهو مشاهدة ربه كفاحًا ببصره وقلبه.

وقال ابن عطاء: ما اعتقد القلب خلاف ما رآه العين، وليس كل من رأى شيئًا مكّن فؤاده من إدراكه، إذ العيان قد يظهر فيه فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه، والرسول ﷺ محمول فيها فؤاده وعقله وحسه، وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شوهد به والله أعلم.

---

(1) النجم: ٩. (2) النجم: ١٧. (3) النجم: ١٠.

* كذا في (ط) و(ك) ولعلها (حياله).

** كذا في (ط) و(ك) ولعلها (حفاوة).

٥٦٦١ - * وعن الشعبي، قال: لقيَ ابنُ عبَّاسٍ كعبًا بعرفة، فسأله عن شيء، فكبَّر حتى جاوبته الجبال. فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم فقال كعب: إنَّ الله قسم رؤيته وكلامه بين محمَّدٍ وموسى، فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمَّد مرَّتين قال مسروقٌ: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمَّدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيءٍ قَفَّ له شعري قلتُ: رويدًا، ثمَّ قرأتُ **﴿لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾**[1] فقالت: أين تذهب بك؟ إنما هو جبريل. من أخبرك أن محمَّدًا رأى ربَّه أو كتم شيئًا ممَّا أُمر به، أو يعلم الخَمْس التي قال الله تعالى: **﴿إن الله عنده علم السَّاعة وينزل الغيث﴾**[2] فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرَّتين: مرَّة

قوله: «ذاك» إذا تجلى بنوره [يعني دلَّت الآية على أنه تعالى لا تحيط به وبحقيقة ذاته حاسة الإبصار، هذا إذا تجلّى بنوره]* الذي هو نوره وظهر بصفة الجلال، وأما إذا تجلى بما يسعه نطاق البشرية من صفة الجمال فلا استبعاد إذن.

الحديث الثالث عن الشعبي:

قوله: «حتى جاوبته الجبال» صدى كأنه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك كذلك، ولعل ذلك السؤال سؤال رؤية الله تعالى كما سئلت عائشة رضي الله عنها: فقف لذلك شعرها.

وأما قوله: «إنا بنو هاشم» فبعث له على التسكين من ذلك الغيظ والتفكر في الجواب، يعني نحن بنو هاشم أهل علم ومعرفة فلا نسأل عما هو مستبعد غير واقع ومن ثمة لما تفكر قال: «إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام» والله أعلم بحقيقته.

قوله: «قف شعري» أي قام من الفزع.

نه: «رويدًا» أي أمهل وتأن، وهو تصغير رود، يقال: أرود به إروادًا أي أرفق، ويقال: رويد زيد، ورويد زيدًا، وهي مصدر مضاف، وقد يكون صفة نحو ساروا سيرًا رويدًا، وهي من أسماء الأفعال المتعدية.

قوله: «ثم قرأت **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**[1]» أي قرأت الآيات التي خاتمتها هذه، يدل عليه رواية مسلم: قلت لعائشة رضي الله عنها: فأين قوله تعالى: **﴿ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾**[3] الآيات؟.

قوله: أين تذهب بك؟» أي أخطأت فيما فهمت من معنى الآية وذهبت إليه، فأسندت الإذهاب إلى الآية مجازًا.

---

(١) النجم: ١٨. (٢) لقمان: ٣٤. (٣) النجم: ٨:٩

* ما بين المعكوفتين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

عند سدرة المنتهى، ومرَّة في أجياد، له ستُّمائة جناحٍ، قد سدَّ الأُفُقَ». رواه الترمذي وروى الشيخان مع زيادة واختلاف وفى روايتهما: قال: قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾(١)؟ قالت: ذاك جبريل عليه السلام؛ كان يأتيه في صُورةِ الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدَّ الأفق. [٥٦٦١]

٥٦٦٢ - * وعن ابن مسعود في قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾(١) وفي قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾(٢) وفي قوله: ﴿رأى من آيات ربِّه الكبرى﴾(٣) قال فيها كلِّها: رأى جبريل عليه السلام، له ستُّمائةِ جناحٍ. متفق عليه.

وفي رواية الترمذي قال: ﴿ما كذب الفؤاد مارأى﴾(٢) قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلّة من رفرف، قد ملأ ما بين السماءِ والأرض.

وله وللبخاري في قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى﴾(٤) قال: رأى رفرفًا أخضر، سدّ أفق السَّماء. [٥٦٦٢]

٥٦٦٣ - * وسُئل مالك بن أنس عن قوله تعالى ﴿إلى ربِّها ناظرة﴾(٥) فقيل: قومٌ يقولون: إلى ثوابه فقال مالك: كذَبوا فأين هم عن قولِه تعالى ﴿كلاَّ إنهم عن ربِّهم يومئذ لمحجوبون﴾(٦)؟ قال مالك: الناسُ ينظرونَ إلى اللهِ يومَ القيامةِ بأعينُهم،

و«أجياد» موضع معروف بأسفل مكة من شعابها.

قوله: «فتدلى» أي تعلق عليه، ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير، والدوالي الثمار المعلقة.

و«قاب قوسين» مقدار قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار، وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والأصبع.

وتقديره: وكان مقدار مسافة قربه [مثل قاب]* قوسين، فحذفت هذه المضافات.

الحديث الرابع عن ابن مسعود رضي الله عنه:

قوله: «من رفرف» «نه»: أى بساط، وقيل: فراش، ومنهم من يجعل الرفرف جمعًا واحده رفرفة، وجمع الرفرف رفارف.

[٥٦٦١] انظر صحيح الترمذى (٢٤٥٣) بنحوه. [٥٦٦٢] وانظر صحيح الترمذى ٢٦١٧.

(١) النجم: ٨:٩. (٢) النجم: ١١. (٣) النجم: ١٨.

(٤) النجم: ١٨. (٥) القيامة: ٢٣. (٦) المطففين: ١٥.

* فى (ك) مقدار

وقال: لو لم يرَ المؤمنونَ ربَّهم يومَ القيامة لم يعيّر اللهُ الكفَّارَ بالحجاب فقال: ﴿كلاَّ إنَّهم عنْ ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[1]. رواه في «شرح السنة». [٥٦٦٣]

٥٦٦٤ - * وعن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ: «بيْنا أهلُ الجنَّة في نعيمهم، إذ سطَعَ لهم نورٌ، فرفعوا رءوسَهم، فإذا الربُّ قد أشرفَ عليهم من فوقهم، فقال السَّلامُ عليكم يا أهلَ الجنَّة! قال: وذلكَ قولُه تعالى: ﴿سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم﴾[2]. قال: فينظر إليهم وينظرونَ إليه، فلا يلتفتون إلى شيءٍ منَ النعيم ماداموا ينظرونَ إليه، حتى يحتجبَ عنهم ويبقى نورُه وبركته عليهم في ديارهم» رواه ابن ماجه. [٥٦٦٤]

(٧) باب صفة النار وأهلها

الفصل الأول

٥٦٦٥ - * عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ناركم جزءٌ من سبعينَ جُزءًا من نارِ جهنَّم» قيل: يارسول الله! إنْ كانتْ لكافية قال: «فُضلَت عليهن بتسعةٍ وستينَ جُزءًا كلهنَّ مثلُ حرها»: متفق عليه. واللفظ للبخاري. وفي رواية مسلم: «ناركم التي يوقد ابن آدم». وفيها: «عليها» و«كلها» بدل: «عليهن». «وكلهن».

الحديث الخامس والسادس عن جابر رضي الله عنه: قوله: «فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم» هذا الاختصاص يؤيد ما ذهبنا إليه أن التقديم في قوله تعالى: ﴿إلى ربها ناظرة﴾[3] للاختصاص كما سبق في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في أول الفصل الثاني.

باب صفة النار وأهلها

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «إن كانت لكافية» إن هى المخففة من الثقيلة، واللام هى الفارقة، أى إن هذه النار لكافية فى إحراق الكفار وعقوبة الفجار، فهلا اكتفى بها ولأى شيء زيدت فى حرها؟.

[٥٦٦٣] انظر شرح السنة (١٥ : ٢٢٩).

[٥٦٦٤] انظر ضعيف الجامع ٢٣٦٢.

(١) المطففين : ١٥.　　(٢) يس: ٥٨.

(٣) القيامة: ٢٣..

٥٦٦٦ - * وعن ابن مسعود: قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعونَ ألف زمامٍ، معَ كل زِمام سبعونَ ألفَ مَلَك يجرونها». رواه مسلم.

٥٦٦٧ - * وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلانِ وشراكانِ من نارٍ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل، ما يُرى أن أحدًا أشدُّ منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا». متفق عليه.

٥٦٦٨ - * وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهونُ أهل النارِ عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه». رواه البخارى.

٥٦٦٩ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النَّارِ يومَ القيامة، فيُصبَغُ فى النارِ صَبغةً، ثم يقال: يا بنَ آدمَ! هل رأيتَ خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ويؤتى بأشدِّ النَّاسِ بؤسًا فى الدنيا من أهلِ الجنَّة، فيُصبَغُ صَبغةً فى الجنة، فيقال له: يا بن آدم! هل رأيتَ بؤسًا قط؟ وهل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله، يارب! ما مرَّ بى بؤسٌ قطُّ، ولارأيت شدَّةً قطُّ». رواه مسلم.

فإن قلت: كيف طابق قوله: «فضلت عليهن» جوابًا وقد علم من قوله: «جزء من سبعين» هذا التفضيل؟.

قلت: معناه المنع من الكفاية، أى لا بد من التفضيل لتمييز عذاب الله من عذاب الخلق، ولذلك أوثر النار على سائر أصناف العذاب زيادة فى تنكيل عقوبة أعداء الله تعالى، وغضبًا شديدًا على مردة خلق الله من الجن والإنس.

قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: اعلم أنك أخطأت فى القياس، فإن نار الدنيا لاتناسب نار جهنم، ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هربا مما هم فيه.

الحديث الثانى إلى الخامس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «صبغة» نه: أى يغمس فى النار غمسة كما يغمس الثوب فى الصبغ.

الحديث السادس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «لو أن لك ما فى الأرض» أى لو ثبت، لأن «لو» تقتضى الفعل الماضى، وإذا وقعت «أن» المفتوحة بعد «لو» كان حذف الفعل واجبًا، لأن ما فى «أن» من معنى التحقيق والثبات منزل منزلة ذلك الفعل المحذوف.

٥٦٧٠ - * وعنه، عن النبى ﷺ قال: «يقول الله لأهون أهلِ النارِ عذابًا يومَ القيامة: لو أنَّ لكَ ما فى الأرض من شىء أكنتَ تفتدى به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئًا، فأبيتَ إلا أن تُشركَ بى» متفق عليه.

٥٦٧١ - * وعن سمرة بن جندب، أنَّ النبى ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجزَتِه، ومنهم من تأخذه النارُ إلى تَرقُوَتِه». رواه مسلم.

قوله: «أردت منك» ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة لأن المعنى أردت منك التوحيد فخالفت مرادى وأتيت بالشرك.

«مظ»: الإرادة هنا بمعنى الأمر، والفرق بين الإرادة والأمر أن ما يجرى فى العالم لامحالة كائن بإرادته ومشيئته، وأما الأمر فقد يكون مخالفًا لإرادته ومشيئته.

أقول: الأظهر أن تحمل الإرادة هنا على أخذ الميثاق فى قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم**﴾(١) لقرينة قوله: «وأنت فى صلب آدم» فقوله: «أبيت إلا أن تشرك بى» إشارة إلى قوله: ﴿**أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل**﴾(٢) ويحمل الإباء هاهنا على نقض العهد.

قوله: «إلا أن تشرك بى» استثناء مفرغ وإنما حذف المستثنى منه مع أن كلامه موجب لأن فى الإباء معنى الامتناع فيكون نفيًا، أى: ما اخترت إلا الشرك.

الحديث السابع عن سمرة رضى الله عنه: قوله: «منهم من تأخذه النار» أول الحديث فى شرح السنة برواية أبى سعيد رضى الله عنه: «إذا خلص المؤمنون من النار...» إلى قوله: «فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لاتأكل النار صورهم».

قوله: «إلى ترقوته» نه: هى العظم الذى بين نقرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين، وزنها «فعلوة» بالفتح.

وفى الحديث بيان تفاوت العقوبات فى الضعف والشدة لا أن بعضًا من الشخص معذب دون بعض، ويؤيده قوله فى الحديث السابق: «وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه».

---

(١) الأعراف: ١٧٢ (٢) الأعراف: ١٧٣

٥٦٧٢ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ منكبي الكافر في النار مسيرةُ ثلاثة أيام للراكب المسرع». وفي روايةٍ: «ضِرسُ الكافرِ مثل أحدٍ، وغِلظ جلده مسيرة ثلاث». رواه مسلم.

وذكر حديث أبي هريرةَ: «اشتكت النار إلى ربِّها». في باب «تعجيل الصَّلوات».

الفصل الثاني

٥٦٧٣ - * عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «أُوقد على النار ألفَ سنة حتَّى احمرَّت، ثم أوقد عليها ألفَ سنة حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة». رواه الترمذي. [٥٦٧٣]

٥٦٧٤ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرسُ الكافرِ يومَ القيامةِ مثل أُحد، وفخذه مثل البيضاءِ، ومقعده من النَّار مسيرة ثلاث مثل الرَّبذة». رواه الترمذي. [٥٦٧٤]

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «مسيرة ثلاثة» هكذا هو في جامع الأصول وشرح السنة أنثه باعتبار الليالي.

«مح»: هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وهو مقدور الله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أوقد على النار» هذا قريب من قوله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾(1) أي أوقد الوقود فوق النار، أي النار ذات طبقات توقد كل طبقة فوق أخرى ومستعلية عليها.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «مثل البيضاء» نه: هو اسم جبل.

و«الربذة» بالراء المهملة بعدها باء مفتوحة بعدهما ذال معجمة، قرية معروفة قرب المدينة.

قض: أي يزاد في مقدار أعضاء الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار.

[٥٦٧٣] انظر ضعيف الجامع ٢١٢٤.

[٥٦٧٤] انظر صحيح الجامع ٣٨٩١.

(1) التوبة: ٣٥.

٥٦٧٥ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن غلظ جلد الكافرِ اثنان وأربعون ذراعًا، وإِن ضِرسَه مثل أحدٍ، وإِن مَجْلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة». رواه الترمذى. [٥٦٧٥]

٥٦٧٦ ـ * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الكافر ليُسحَب لسانُه الفرسَخ والفرسخين يتوطَّؤُه الناس». رواه أحمد، والترمذى، وقال هذا حديث غريب. [٥٦٧٦]

٦٥٧٧ - * وعن أبى سعيد الخدرى، عن رسول الله ﷺ قال: «الصَّعُودُ جبل من نارٍ يُتصعَّدُ فيه سبعين خريفًا، ويُهوى به كذلك فيه أبدًا». رواه الترمذى. [٥٦٧٧]

٥٦٧٨ - * وعنه، عن النبى ﷺ قال فى قوله: (كالمهل) «أى كعكر الزيت، فإذا قُرِّب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه». رواه الترمذى. [٥٦٧٨]

٥٦٧٩ - * وعن أبى هريرةَ، عن النبى ﷺ قال «إنَّ الحميم ليُصَبُّ على رءوسهم

الحديث الثالث والرابع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قوله: «الصعود» التعريف فيه للعهد، والمشار إليه ما فى قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعودا﴾(١) أى سأغشيه عقبة شاقة المصعد.

قوله: «فيه أبدًا» فيه زيادة تأكيد، ومن أمثلة سيبويه فى باب ما يبنى فيه المستقر توكيدًا: عليك زيد حريص عليك، وفيك زيد راغب فيك.

الحديث الخامس عن أبى سعيد رضى الله عنه:

قوله: «كعكر الزيت» أى الدرن منه والدنس.

قوله: «فروة وجهه» أى جلدته، والأصل فيه فروة الرأس وهى جلدتها بما عليها من الشعر، فاستعارها من الرأس للوجه.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «حتى يخلص» قض: يخلص إلى

[٥٦٧٥] انظر صحيح الجامع ٢١١٤ [٥٦٧٦] انظر ضعيف الجامع ١٥١٨

[٥٦٧٧] انظر ضعيف الجامع ٣٥٥٤

[٥٦٧٨] رواه أحمد (٣/ ٧٠، ٧١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٤) وقال صحيح ولم يخرجاه وعقبه الذهبي بقول «صحيح»، ورواه في شرح السنة (٢٤٥:١٥) وقال فى الحاشية:إسناده ضعيف لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم.

(١) المدثر: ١٧

فينفذ الحميم، حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصَّهر ثم يُعاد كما كان». رواه الترمذى. [٥٦٧٩]

٥٦٨٠ - * وعن أبى أُمامة، عن النبى ﷺ فى قوله: **﴿يُسْقَى مِن ماءٍ صديد يتجرَّعُه﴾**(١) قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أُدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروَةُ رأسه، فإذا شربه قَطّع أمعاءه، حتى يَخْرج من دبره. يقول الله تعالى: **﴿وسُقُوا ماءً حميمًا فقطَّع أمعاءهم﴾**(٢) ويقول: **﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب﴾**(٣)». رواه الترمذى. [٥٦٨٠]

٥٦٨١ - * وعن أبى سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ قال «لسُرادقِ النار أربعةُ جُدُرٍ، كثف كل جدار مسيرةُ أربعين سنة». رواه الترمذى. [٥٦٨١]

٥٦٨٢ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلوًا من غسّاقٍ يُهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا». رواه الترمذى. [٥٦٨٢]

جوفه أى يصل إليه «فيسلت» أى يذهب ويمر «حتى يمرق» أى يخرج، من مرق السهم إذا نفذ فى الغرض وخرج منه.

و«الصهر» الإذابة، فيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿يصهر به ما فى بطونهم والجلود﴾**(٤).

الحديث السابع إلى التاسع عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «لسرادق النار» روى بفتح اللام على أنه مبتدأ، وكسرها على أنه خبر، وهذا أظهر.

نه: السرادق كل ما أحاط بشىء من حائط أو مضرب أو خباء.

الحديث العاشر عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «من غساق» نه: هو بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل: ما يسيل من دموعهم، وقيل: هو الزمهرير.

«لأنتن» أنتن الشىء إذا تغير وصار ذا نتن.

[٥٦٧٩] انظر ضعيف الجامع ١٤٣٣

[٥٦٨٠] رواه أحمد ٣/ ٢٩، والترمذي انظر تحفة الأحوذي (٧/ ٣٠٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

[٥٦٨١] رواه أحمد (٣/ ٢٩) والترمذي انظر تحفة الأحوذي (٧/ ٣٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

[٥٦٨٢] انظر ضعيف الجامع ٤٨٠٦.

(١) إبراهيم: ١٦ (٢) محمد: ٤٧.

(٣) الكهف: ٢٩ (٤) الحج: ٢٠

٥٦٨٣ - * وعن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿**اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[1]. قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ قطرةً من الزَّقُّوم قَطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه؟!» رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح. [٥٦٨٣]

٥٦٨٤ - * وعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: ﴿**وهم فيها كالحون**﴾ [2] قال: «تشويه النارُ فَتَقَلَّصُ شفتُه العُليا حتى تبلُغَ وسْط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرَّتَهُ». رواه الترمذي. [٥٦٨٤]

الحديث الحادي عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «حق تقاته» أي واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم، أي بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئًا وهذا معنى قوله: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[3].

وقوله: ﴿**ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[1] تأكيد لهذا المعنى، أي لا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، فمن واظب على هذه الحالة وداوم عليها مات مسلمًا، وسلم في الدنيا من الآفات، وفي الآخرة من العقوبات، ومن تقاعد عنها وقع في العذاب في الآخرة، ومن ثم أتبعه ﷺ بقوله: «لو أن قطرة من الزقوم..» الحديث.

و«الزقوم» ما وصفه الله تعالى في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين**﴾[4] وهو فعول من الزقم اللقم الشديد والشرب المفرط.

الحديث الثاني عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قوله: «كالحون» أي: عابسون حين تحترق وجوههم من النار.

قوله: «فتقلص» على صيغة المضارع، أي تتقلص ومعناه تنقبض.

الحديث الثالث عشر والرابع عشر عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قوله: «فيعدل ماهم فيه» أي مثله ومساويه في الألم.

[٥٦٨٣] انظر صحيح الجامع -٥٢٥٠

[٥٦٨٤] انظر شرح السنة ٤٤١٦ (١٥ : ٢٥٢) وقال محققه ضعيف الإسناد.

(١) آل عمران: ١٠٢. (٢) المؤمنون: ١٠٤.

(٣) التغابن: ١٦. (٤) الصافات: ٦٤:٦٥.

٥٦٨٥ - * وعن أنسٍ، عن النبى ﷺ قال: «يأيها الناس ! ابكوا فإن لم تستطيعوا فتباكوا ، فإنَّ أهلَ النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم، كأنها جداولُ، حتى تنقطع الدموع، فتسيل الدماء، فتقرَّح العيون، فلو أنَّ سفُنًا أُزجيَت فيها لجَرَتْ» رواه فى «شرح السنة». [٥٦٨٥]

٥٦٨٦ - * وعن أبى الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلقى على أهلِ النَّار الجوعُ، فيعدلُ ماهُم فيه من العذابِ، فيستَغيثون، فيُغاثونَ بطعام من ضَريعٍ ، لايُسمنُ ولايغنى من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيُغاثون بطعامٍ ذى غُصَّةٍ. فيذكرونَ أنهم كانوا يُجيزونَ الغُصصَ فى الدنيا بالشَّراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهمُ الحميمُ بكلاليبِ الحديدِ ، فإذا دنَت من وجُوههم شوَتْ وجُوهَهم، فإذا دخلت بُطونَهم قطعت مافى بطونهم، فيقولونَ: ادعوا خَزَنةَ جهنم، فيقولونَ: ألم تكُ تأتيكم رسُلُكم بالبَينات؟ قالوا: بَلى. قالوا: فادعوا، وما دُعاءُ الكافرينَ إلا فى ضَلَال» قال: «فيقولونَ: ادعوا مالكًا، فيقولونَ: يا مالكُ! ليَقْضِ علينا ربُّكَ» قال: «فيُجيبُهم إنَّكم ماكثونَ». قال الأعمشُ: نُبئتُ أنَّ بينَ دُعائِهم وإجابةِ مالك إياهُم ألفَ عامٍ. قال:

قوله: «من ضريع» هو نبت بالحجاز ذو شوك، يقال له: الشبرق.

وقوله: «بطعام ذى غصة» هو ما يتشبث فى الحلق ولايسوغ فيه.

وقوله: «فيذكرون» يقتضى محذوفا، أى إذا أتوا بطعام ذى غصة فتناولوه وغصوا به فيذكرون.

قوله: «ادعوا خزنة جهنم» الظاهر أن «خزنة» ليس بمفعول لادعوا بل هو منادى ليطابق قوله تعالى: ﴿**وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب**﴾(١) وقوله ﴿**ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات**﴾(٢) إلزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع ، وعطلوا الأسباب التى يستجيب الله لها الدعوات، قالوا: فادعوا أنتم فإنا لا نجترئ على ذلك، وليس قولهم: فادعوا، لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة، وأن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافرين؟ ولما أيسوا من دعاء خزنة جهنم لأجلهم وشفاعتهم لهم أيقنوا أن لاخلاص لهم ولامناص من عذاب الله، فقالوا: «يا مالك ادع

[٥٦٨٥] انظر شرح السنة ٤٤١٨(١٥ : ٢٥٣) وقال ضعيف

(١) غافر : ٤٩.　　(٢) غافر : ٥٠.

«فيقولونَ: ادعوا ربَّكم، فلا أحدٌ خير من ربكم، فيقولونَ: **«ربَّنا غلَبَتْ علينا شقْوتُنا وكنَّا قومًا ضالِّينَ ربَّنا أخرجْنا منها فإنْ عُدنا فإنا ظالمونَ»** قال: **«فيُجيبُهم: ﴿اخسئوا فيها ولاتُكلمونِ﴾»**(1) قال «فعندَ ذلكَ يئسوا من كلِّ خيرٍ وعندَ ذلكَ يأخُذونَ فى الزَّفيرِ والحسرة والوَيْلِ». قال عبدُالله بنُ عبدِالرَّحمنِ: والنَّاسُ لايرفعونَ هذا الحديثَ. رواه الترمذيُّ. [٥٦٨٦]

٥٦٨٧ - * وعن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «أنذَرتُكمُ النارَ، أنذرتكمُ النَّارَ» فما زالَ يقولُها، حتى لو كانَ فى مقامى هذا سمعه أهلُ السوقِ، وحتى سقطتْ خميصةٌ كانت عليهِ عندَ رجلَيهِ. رواه الدارمى. [٥٦٨٧]

٥٦٨٨ - * وعن عبدالله بن عمرو بنِ العاصِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّ رَصاصةً مثلَ هذهِ- وأشارَ إلى مثلِ الجُمجُمةِ- أُرسِلت منَ السَّماءِ إلى الأرض، وهى

ربك ليقض علينا» أى سل ربك أن يقضى علينا، وهو من : قضى عليه إذا أماته.

و«غلبت علينا شقوتنا» أى ملكتنا، من قولك: غلبنى فلان على كذا إذا أخذه منك وامتلكه.

والشقاوة: سوء العاقبة.

واخسئوا فيها: ذلوا وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت ، يقال: خسأ الكلب وخسأ بنفسه.

﴿ولا تكلمون﴾(1) فى رفع العذاب فإنه لايرفع ولايخفف.

الحديث الخامس عشر عن النعمان رضى الله عنه: قوله: «حتى لو كان فى مقامى» فى الكلام حذف، أى قال الراوى: لم يزل يقول ويمد بها صوته ويتحرك حتى لو كان فى مقامى هذا المكان كان الراوى فيه سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصته.

الحديث السادس عشر عن عبدالله رضى الله عنهما: قوله: «لو أن رصاصة» تو: فى سائر نسخ المصابيح «رضراضة» مكان «رصاصة» وهو غلط لم يوجد فى جامع الترمذى، ولعل الغلط وقع من غيره، «والرصاصة» القطعة من الرصاص.

«وأشار إلى مثل الجمجمة» تشبيهًا بحجمها وتنبيها على تدور شكلها، بين مدى قعر جهنم بأبلغ ما يمكن من البيان، فإن الرصاص من الجواهر الرزينة، والجوهر كلما كان أتم رزانة كان

[٥٦٨٦] انظر ضعيف الجامع ٦٤٦١

[٥٦٨٧] انظر الدارمي ٢٨١٢ (٢:٤٢٥)

(١) المؤمنون:١٠٨

مسيرةُ خمسمائةِ سنةٍ، لبلغتِ الأرض قبلَ الليلِ، ولو أنها أرسلت من رأسِ السلسِلة، لسارتْ أربعينَ خريفًا الليلَ والنهارَ قبلَ أنْ تبلغَ أصلَها أو قعرَها». رواه الترمذي. [٥٦٨٨]

٥٦٨٩ - * وعن أبي بُردةَ، عن أبيهِ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في جهنمَ لواديًا يُقالُ له: هَبهَب، يسكنُه كلُّ جبَّار». رواه الدارمي. [٥٦٨٩]

الفصل الثالث

٥٦٩٠ - * عن ابنِ عمرَ، عن النبي ﷺ، قال: «يعظم أهلُ النَّارِ في النار حتى إنَّ بينَ شحمةِ أُذن أحدهم إلى عاتقِه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ، وإنَّ غلظَ جلدِه سبعونَ ذِراعًا، وإنَّ ضِرسَه مثلُ أحُدٍ». [٥٦٩٠]

أسرع هبوطًا إلى مستقره لاسيما إذا انضم إلى رزانته كبر جرمه، ثم قدره على الشكل الكروى فإنه أقوى انحدارًا وأبلغ مرورًا في الجو.

أقول: قوله: «قبل أن تبلغ أصلها» متعلق بمحذوف، أي سارت الرصاصة ومضى أربعون خريفًا قبل أن تبلغ الرصاصة إلى أصل السلسلة وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا**﴾(١) والمراد بالعدد الكثرة.

وإذا روى: «أو قعرها» يراد به قعر جهنم لأن السلسلة لاقعر لها، والله أعلم.

الحديث السابع عشر عن أبي بردة رضي الله عنه:

قوله: «هبهب» نه: الهبهب السريع، وهبهب السراب إذا ترقرق.

الجوهري: هبهبته إذا دعوته لينزو، والهبهبي الراعي*.

تو: سمي بذلك إما لسرعة وقوعه في المجرمين، أو لشدة أجيج النار فيه أو للمعانه عند الاضطرام والالتهاب.

[٥٦٨٨]انظر شرح السنة ٤٤١١ وقال حسن (٢٤٨١٥) بلفظ (لو أن رضاضة).

[٥٦٨٩] انظر الدارمي ٢٨١٦ (٤٢٧٢). [٥٦٩٠]انظر مسند أحمد ٢٦٢ .

(١) الحاقة: ٣٢.

* في (ط) و (ك) (الداعي) بالدال المهملة وهو تصحيف، فالهَبْهَبيُّ الراعي؛ قال الشاعر:

كأنه هبهبيٌّ نام عن غنم مستأور في سواد الليل مذءوب

وانظر لسان العرب مادة (هبب) (٦/ ٤٦٠٠)..

٥٦٩١ - * وعن عبدِالله بنِ الحارث بن جَزْء، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ فى النارِ حيَّات كأمثال البُخت تلسَعُ إحداهنَّ اللسعةَ فيجدُ حموتها أربعينَ خريفًا، وإن فى النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة، تلسعُ إحداهنَّ اللسعةَ فيجد حموتها أربعين خريفًا». رواه أحمد. [٥٦٩١]

٥٦٩٢ - * وعن الحسنِ، قال: حدَّثنا أبو هريرةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «الشمسُ والقمرُ ثورانِ مكوَّران فى النارِ يومَ القيامة». فقال الحسنُ، وما ذنبُهما؟ فقال: أُحدثكَ عن رسولِ الله ﷺ! فسكتَ الحسنُ. رواه البيهقى فى «كتاب البعث والنشور». [٥٦٩٢]

٥٦٩٣ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لايدخلُ النَّارَ إلا شقى». قيلَ: يارسولَ الله! ومن الشقى؟ قال: «من لم يعمل لله بطاعةٍ، ولم يترك له معصيةً». رواه ابنُ ماجه. [٥٦٩٣]

الفصل الثالث

الحديث الأول إلى الثالث: عن الحسن.

قوله: «مكوران» هو من طعنه فكوره إذا ألقاه، أى يلقى ويطرح كل منهما عن فلكهما.

قوله: «أحدثك عن رسول الله ﷺ» أى تقابل النص الجلى بالقياس وتجعل موجب دخول النار العمل، فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «بطاعة» الباء فيه زائدة، وكذا فى قوله: «بمعصية» وبناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل، وزيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة، وأن الله لايضيع أجر من عمل له طاعة ما، أو ترك لأجله ولخوفه معصية ما، نحو قوله تعالى: ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** ﴾ (١).

[٥٦٩١] أخرجه الحاكم بنحوه ٤/ ٥٩٣ وقال صحيح ولم يخرجاه

[٥٦٩٢] قال الشيخ الألباني في (الصحيحة ١٢٤): وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري، وقد أخرجه في صحيحه مختصرا.

[٥٦٩٣] انظر ضعيف الجامع ٦٣٥٧.

(١) النازعات : ٤٠.

(٨) باب خلق الجنة والنار

الفصل الأول

٥٦٩٤ - * عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «تحاجَّت الجنةُ والنارُ فقالت النارُ: أوثِرتُ بالمتكبرينَ والمتجبرِينَ، وقالت الجنَّةُ: فما لى لايدخلُنى إلا ضُعفاءُ الناسِ وسَقَطُهم وغِرَّتُهم . قال اللهُ تعالى للجنة: إنما أنتِ رَحمتى أرحمُ بك من أشاءُ من عبادى، وقال للنَّار: إنما أنتِ عذابى أعذِّب بكِ من أشاءُ من عبادى، ولكل واحدةٍ منكُما ملؤُها، فأما النَّارُ فلا تمتلئُ حتى يضعَ الله رجلَه. تقول: قط قط قط. فهُنالكَ تمتلئُ ويُزوى بعضُها إلى بعض، فلا يظلمُ اللهُ من خلقه أحدًا، وأما الجنةُ فإنَّ الله ينشئُ لها خلقًا» متفق عليه.

باب خلق الجنة والنار

الفصل الأول

الحديث الأول والثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «تحاجت الجنة والنار» نه: يقال: حاججته حجاجًا ومحاجة فأنا محاج أى غالبته فالحجة عليه، ومنه الحديث: «فحج آدم موسى» أى غلبه بالحجة - انتهى كلامه-.

والحديث لايحمل على هذا لأن كل واحدة منهما ليست بغالبة على الأخرى فيما تكلمت به بل لمجرد حكاية ما اختصت به، وفيها شائبة من معنى الشكاية، ألا ترى كيف قال الله تعالى للجنة: «إنما أنت رحمتى» وللنار: «إنما أنت عذابى» فأفحم كلا منهما بما تقتضيه مشيئته.

وهذه المحاجة جارية على التحقيق فإنه تعالى قادر على أن يجعل كل واحدة منهما مميزة مخاطبة، أو على التمثيل.

و«سقطهم» أى أرداءهم.

«وغرتهم» بغين معجمة مكسورة، أى من ليس لهم حذق فى أمور الدنيا.

«حس»: سمى الجنة رحمة لأن بها تظهر رحمة الله تعالى كما قال: «أرحم بك من أشاء» وإلا فرحمة الله من صفاته التى لم يزل بها موصوفًا، ليس لله تعالى صفة حادثة ولا اسم حادث فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جل جلاله وتقدست أسماؤه، والقدم والرجل المذكوران فى هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزهة عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل

٥٦٩٥ - * وعن أنس، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لاتزالُ جهنمُ يُلقى فيها وتقولُ: هلْ من مَزيد؟ حتى يضعَ ربُّ العزَّةِ فيها قدَمَه فينزَوى بعضُها إلى بعض، فتقول: قط قط، بعزَّتكَ وكرمك، ولايزالُ فى الجنَّة فضلٌ حتى يُنشئ اللهُ لها خلقًا فيُسكنهم فضلَ الجنة». متفق عليه. وذكرَ حديث أنس: «حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره» فى «كتاب الرقاق».

الفصل الثانى

٥٦٩٦ - * عن أبى هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لما خلقَ اللهُ الجنَّة قال

ماجاء من هذا القبيل فى الكتاب والسنة كاليد والأصبع والعين والمجىء والإتيان والنزول، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدى من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرًا ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ [1].

قوله: «قط قط» أى حسبى.

«مح»: فيه ثلاث لغات، بإسكان الطاء فيهما، وبكسرها منونة وغير منونة.

«ويزوى بعضها إلى بعض» أى يضم بعضها إلى بعض ويجمع.

وقوله: «وأما الجنة» أما التفصيلية تقتضى متعددًا وقرينتها قوله: «فلا يظلم الله من خلقه». يعنى أما النار فيضع الله رجله فتمتلئ، ولاينشئ لها خلقًا فلا يظلم الله من خلقه أحدًا لم يعمل سوءا، وأما الجنة فينشئ لها خلقًا لم يعمل خيرًا، حتى تمتلئ، فإن الله متفضل على عباده بغير عمل منهم فالله أعلم بحقائق الأمور. «مح»: وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا.

هذا دليل لأهل السنة على أن الثواب ليس متوقفًا على الأعمال، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون الجنة بغير عمل - انتهى كلامه.

وللمعتزلة أن يقولوا: إن نفى الظلم عمن لم يذنب دليل على أنه إن عذبهم كان ظلمًا وهو عين مذهبنا.

والجواب: إنا وإن قلنا: إنه تعالى وإن عذبهم لم يكن ظالما فإنه لم يتصرف فى ملك غيره، لكنه تعالى لايفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغة فى نفى الظلم وإثبات للكرم.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه:

---

(١) الشورى: ١١

لجبريلَ: اذهب فانظر إليها، فذهبَ فنظرَ إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها، ثمَّ جاءَ فقال: أى ربِّ! وعزَّتكَ لايسمعُ بها أحدٌ إلا دخلَها، ثمَّ حفَّها بالمكارهِ، ثمَّ قال: ياجبريلُ! اذهب فانظر إليها، فذهب فنظرَ إليها، ثمَّ جاءَ فقال: أى ربِّ! وعزَّتكَ لقد خَشيتُ أن لايدخُلها أحدٌ». قال: «فلمَّا خلقَ اللهُ النارَ قال: ياجبريلُ! اذهب فانظر إليها» قال: «فذهب فنظرَ إليها، ثمَّ جاءَ فقال: أى ربِّ! وعزَّتكَ لايسمعُ بها أحدٌ فيدخلُها، فحفَّها بالشهَواتِ، ثمَّ قال: ياجبريلُ! اذهب فانظر إليها، فذهبَ فنظرَ إليها، فقال: أى ربِّ! وعزّتكَ لقد خشيتُ أن لايبقى أحدٌ إلا دخلَها». رواه الترمذىُّ، وأبو داود، والنسائى. [٥٦٩٦]

الفصل الثالث

٥٦٩٧ - * عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ صلى لنا يومًا الصلاةَ، ثمَّ رَقى المنبرَ، فأشارَ بيدِه قِبَلَ قبلةِ المسجدِ، فقال: «قد أريتُ الآنَ منذ صلَّيتُ لكم الصلاةَ الجنة والنارَ ممثَّلتينِ فى قبلِ هذا الجدارِ، فلم أرَ كاليومِ فى الخير والشر». رواه البخارى.

قوله: «لا يسمع بها أحد إلا دخلها» أى طمع فى دخولها، ولايهتم إلا بشأنها لحسنها وبهجتها.

وقوله: «لقد خشيت أن لايدخلها أحد» أى لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة هوى النفس وكسر الشهوات، وقوله: «لايسمع بها أحد فيدخلها» أى لايسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها.

الفصل الثالث

الحديث الأول: عن أنس رضى الله عنه: قوله: «كاليوم» الكاف فى موضع الحال، وذو الحال المفعول به وهو الجنة والنار لشهادة السابق، والمعنى لم أر الجنة والنار فى الخير والشر يومًا من الأيام مثل ما رأيت اليوم، أى رأيتهما رؤية جلية ظاهرة مثلتا فى قبل هذا الجدار ظاهرًا خيرها وشرها، ونحوه قول الشاعر:

حتى إذا الكلاب قال لها   كاليوم مطلوبًا ولا طالبًا

[٥٦٩٦] انظر صحيح الترمذي (٢٠٧٥).

(٩) باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الفصل الأول

٥٦٩٨ - [١] * عن عمْرانَ بن حُصين، قال: إنى كنتُ عندَ رسول الله ﷺ إذ جاءه قوم من بنى تميمٍ، فقال: «اقبَلوا البُشرى يابنى تميم!» قالوا: بشَّرتنا فأعطِنا، فدخلَ ناسٌ من أهل اليمن، فقال: «اقبلوا البُشرى يا أهلَ اليمن! إذ لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قبلنا، جئناكَ لنتفقَّهَ فى الدينِ، ولنسألكَ عن أول هذا الأمرِ ماكان؟ قال: «كان

باب
بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الفصل الأول

الحديث الأول عن عمران رضى الله عنه : قوله: «إذ جاءه قوم» أى وقت مجيئهم.

قوله: «اقبلوا البشرى يابنى تميم» أى اقبلوا منى ما يقتضى أن تبشروا بالجنة من التفقه فى الدين والعمل به، ولما لم يكن جل اهتمامهم إلا بشأن الدنيا والاستعطاء دون دينهم قالوا: «بشرتنا فاعطنا» أى بشرتنا بالتفقه وإنما جئنا للاستعطاء فأعطنا فالفاء فصيحة، ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «إذ لم يقبلها بنو تميم».

قوله: «عن أول هذا الأمر» أى مبدأ العالم.

و«ما» فى«ما كان» استفهامية،أى :أى شىء كان أول الأمر؟كرر السؤال لمزيد الاهتمام، وإنما تحسر الراوى بقوله:«لوددت»لأنه ظفر بالسؤال ولم يفز بالأول من التفقه فى الدين.

قوله: «ولم يكن شىء قبله» حال، كما فى قول الحماسى.

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان

وعلى مذهب الكوفى خبر، والمعنى يساعده إذ التقدير: كان الله فى الأزل متفردًا متوحدًا، وهو مذهب الأخفش فإنه جوز دخول الواو فى خبر كان وأخواتها نحو: " كان زيد وأبوه قائم" على جعل الجملة خبرًا مع الواوَ تشبيها للخبر بالحال.

اللهُ ولم يكن شيءٌ قبلَه، وكانَ عرشُه على الماءِ، ثمَّ خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، وكتَبَ فى الذكرِ كلَّ شيءٍ» ثمَّ أتانى رجلٌ فقال: ياعمرانُ! أدرك ناقتَكَ فقد ذهبت، فانطلقت أطلبُها، وايمُ اللهِ لوَدِدت أنَّها قد ذهبت ولم أقُم رواه البخارى.

«لاتو»: هذا فصل مستقل بنفسه لا امتزاج له بالفصل الثانى وهو قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾[1] لما بين الفصلين من المنافاة، فإنك إذا جعلت ﴿ وكان عرشه على الماء﴾ من تمام القول الأول فقد ناقضت الأول بالثانى، لأن القديم من لم يسبقه شيء ولم يعارضه فى الأولية، وقد أشار بقوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ إلى أنهما كانا مبدأ التكوين، وأنهما كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض ، ولم يكن تحت العرش قبل السماوات والأرض إلا الماء، وكيفما كان فالله سبحانه وتعالى خالق ذلك كله وممسكه بقوته وقدرته.

أقول: أراد الشيخ بما قال أن المعطوف عليه مقيد بقوله: ولم يكن قبله شيء» فلو جعل المعطوف غير مستقل لزم المحذور، فإذا جعل مستقلا ويعطف الثانية على الأولى من حيث الجملية فلا، فإذن لفظة «كان» فى الموضعين بحسب حال مدخولها فالمراد بالأول الأزلية والقدم، وبالثانى الحدوث بعد العدم.

غب: «كان» عبارة عما مضى من الزمان وفى كثير من وصف الله تنبئ عن معنى الأزلية، قال الله تعالى: ﴿وكان الله بكل شئ عليما﴾ [2]وما استعمل منه فى جنس الشيء متعلقًا بوصف له موجود فيه فتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له قليل الانفكاك منه، قال الله تعالى: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ [3]ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه «كان» قد تقدم تقدمًا كبيرًا، وبين أن يكون فى زمان قد تقدم بآن واحد على الوقت الذى استعملت فيه «كان» كقوله تعالى: ﴿كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ [4]-انتهى كلامه-.

ومما يدل على صحة قولنا: وبالثانى الحدوث بعد العدم، ما ورد فى الفصل الثانى من النص القاطع: «كان فى عماء ماتحته ماء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء» فالحاصل أن عطف قوله: «وكان عرشه على الماء» على قوله: «كان الله ولم يكن قبله شيء» من باب الإخبار عن حصول الجملتين فى الوجود، وتفويض الترتيب إلى الذهن فالواو فيه بمنزلة ثم، وقد سبق فى باب الإيمان بالقدر مزيد تقرير وشرح لهذا الكلام

---

(١) هود: ١٧ .	(٢) الأحزاب: ٤٠.
(٣) الفرقان: ٢٩ .	(٤) مريم : ٢٩.

٥٦٩٩ ـ * وعن عمرَ، قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ مقامًا، فأخبرَنا عن بدءِ الخَلق حتى دخلَ أهلُ الجنَّةِ منازلَهم، وأهلُ النارِ منازلَهم، حفِظَ ذلكَ مَن حفظه، ونسيَه من نسيَه رواه البخاري.

٥٧٠٠ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ تعالى كتبَ كتابًا قبلَ أن يخلق الخلقَ: إنَّ رحمتي سبقَت غضبي؛ فهوَ مكتوبٌ عنده فوقَ العرش» متفق عليه.

الحديث الثاني عن عمر رضي الله عنه: قوله: «حتى دخل أهل الجنة» غاية أخبرنا أى أخبرنا مبتدئا من بدء الخلق حتى انتهى إلى وصول أهل الجنة الجنة، ووضع الماضى موضع المضارع للتحقيق المستفاد من قول الصادق الأمين ﷺ.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «كتب كتابًا» تو: يحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ويكون معنى قوله: «فهو مكتوب عنده» أى فعلم ذلك عنده، ويحتمل أن يكون المراد القضاء الذى قضاه وعلى الوجهين، فإن قوله: «فهو مكتوب عنده فوق العرش» تنبيه على كينونته مكنونا على سائر الخلائق، مرفوعًا عن حيز الإدراك، ولا تعلق بهذا القول بما يقع في النفوس من التصورات، تعالى الله عن صفات المحدثات، فإنه هو المباين عن جميع خلقه المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته، وفى سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكبر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا بالاستحقاق، ألا ترى أنها تشمل الإنسان جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا من غير أن تصدر منه طاعة استوجب بها ذلك، ولا يلحقه الغضب إلا بما يصدر عنه من المخالفات **﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾**(١) فالحمد لله على ما ساق إلينا من النعم قبل استحقاقنا.

مح: غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى إثابة المطيع وعقاب العاصى، والمراد بالسبق هنا وبالغلبة فى أخرى كثرة الرحمة وشمولها، كما يقال: غلب على فلان الكرم والشجاعة، إذا كثرا منه.

أقول: قوله: «إن رحمتى سبقت غضبى» يحتمل أن تكون «أن» مفتوحة بدلا من «كتابًا» أو مكسورة حكاية لمضمون الكتاب، وهو على وزان قوله تعالى: **﴿كتب على نفسه الرحمة﴾**(٢)

---

(١) هود: ١١٨
(٢) الأنعام: ١٢

٥٧٠١ ـ * وعن عائشةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «خُلقتِ الملائكة من نورٍ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وصفَ لكم». رواه مسلم.

٥٧٠٢ ـ * وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لما صوَّرَ اللهُ آدمَ في الجنةِ تركه ما شاءَ أن يتركُه، فجعلَ إبليسُ يطيفُ به ينظرُ ما هوَ، فلمّا رآهُ أجوَف عرف أنه خلقَ خلقًا لا يتمالَكُ». رواه مسلم.

أى أوجب وعدًا أن يرحمهم قطعًا، بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب من العقاب، فإن الله تعالى غفور كريم يتجاور عنه بفضله، وأنشد:

وإنى إذا ما أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدى

فالمراد بالسبق هنا القطع بوقوعها.

الحديث الرابع عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «الجان من مارج» مح: الجان أى الجن والمارج، اللهب المختلط بسواد النار.

الحديث الخامس عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «لما صور الله آدم» «تو»: أرى هذا الحديث مشكلا جدًّا، فقد ثبت بالكتاب والسنة أن آدم خلق من أجزاء الأرض، وقد دلَّ على أنه دخل الجنة وهو بشر حي، ويؤيده المفهوم من نص الكتاب: ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾[1].

قض: الأخبار متظاهرة على أنه تعالى خلق آدم من تراب قبض من وجه الأرض، وخمَّره حتى صار طينًا، ثم تركه حتى صار صلصالا، وكان ملقى بين مكة والطائف ببطن نعمان، ولكن ذلك لا ينافى تصويره فى الجنة لجواز أن تكون طينته لما خمرت فى الأرض وتركت فيها حتى مضت عليها الأطوار واستعدت لقبول الصورة الإنسانية حملت إلى الجنة فصورت ونفخ فيها الروح، وقوله تعالى: ﴿**يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾[1] فلا دلالة له أصلا على أنه أدخل الجنة بعد ما نفخ فيه الروح، إذ المراد بالسكون الاستقرار والتمكن، والأمر به لا يجب أن يكون قبل الحصول فى الجنة، وقد تضافرت وتعاونت الروايات على أن حواء خلقت من آدم فى الجنة وهى أحد المأمورين به، ولعل آدم عليه السلام لما كانت مادته التى هى البدن من العالم السفلى، وصورته التى بها يتميز عن سائر الحيوانات ويضاهى بها الملائكة من العالم العلوى، أضاف الرسول ﷺ تكون مادته إلى الأرض لأنها نشأت فيها، وأضاف حصول صورته إلى الجنة لأنها منها.

---

(١) البقرة: ٣٥

٥٧٠٣ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اخْتتنَ إبراهيمُ النبيُّ وهو ابنُ ثمانينَ سنةً بالقَدُومِ» متفق عليه.

٥٧٠٤ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَم يكذبْ إبراهيمُ إلاَّ ثلاثَ كَذَباتٍ: ثنتَينِ منهنَّ في ذاتِ اللهِ قولُه ﴿إني سَقيمٌ﴾(١)، وقولُه ﴿بلْ فعلَه كبيرُهم هذا﴾(٢)،

وقوله: «لا يتمالك» أى لا يكون له قوة وثبات بل يكون متزلزل الأمر متغير الحال معرضًا للآفات.

مح: طاف بالشيء يطوف طوفًا وطوافًا، وأطاف يطيف إذا استدار حوله، «لا يتمالك» أى لا يملك نفسه ولا يتجنب الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه. وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب.

أقول: الأجوف فى صفة الإنسان مقابل للصمد فى صفة البارئ.

قيل: السيد سمى بالصمد لأنه يصمد إليه فى الحوائج، ويقصد إليه فى الرغائب، من صمدت الشيء إذا قصدته، وقيل: إنه المميز عن أن يكون بصدد الحاجة أو فى معرض الآفة، مأخوذ من الصمد بمعنى المصمد وهو الصلب الذى لا جوف له، فالإنسان مفتقر إلى الغير لقضاء حوائجه وإلى الطعام والشراب ليملأ جوفه، فإذا لا تماسك له فى شيء ظاهرًا وباطنًا.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بالقدوم» تو: القدوم بالتخفيف آلة النجار معروفة، وبالتشديد اسم موضع، وقيل: هو بالتخفيف أيضًا، هكذا فى جامع الأصول وفي كتاب الحميدى: قال البخارى: قال أبو الزناد (وهو راوى الحديث): اختتن إبراهيم بالقدوم (مخففة) وهو موضع.

تو: ومن المحدثين من يشدد وهو خطأ.

مح: «القدوم» وقع فى رواية البخارى الخلاف فى التخفيف والتشديد، يقال لآلة النجار، قدوم بالتخفيف لا غير، وأما «القدّوم» مكان بالشام ففيه التشديد والتخفيف، ومن رواه بالتشديد أراد به القرية، ورواية التخفيف تحتمل القرية والآلة، والأكثرون على التخفيف.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إلا ثلاث كذبات» مح: قال المازرى: أما الكذب فيما هو طريق البلاغ عن الله تعالى فالأنبياء معصومون منه، سواء قل أو كثر، فإن تجويزه منهم يرفع الوثوق بأقوالهم، ولأن منصب النبوة يرتفع عنه، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ

---

(١) الصافات: ٨٩ . (٢) الأنبياء: ٦٣ . .

وقال: بَينا هُوَ ذاتَ يومٍ وسارَةُ، إذ أتى على جبَّارٍ منَ الجبابرةِ، فقيلَ له: إنَّ هاهُنا رجلا معَه امرأةٌ منْ أحسنِ الناسِ، فأرسلَ إليه، فسألَه عنها: مَن هذه؟ قال: أُختي. فأتى سارةَ، فقال لها: إنَّ هذا الجبَّارَ إنْ يعلمْ أنَّكِ امرأتي يغلِبْني عليكِ، فإنْ سألكِ فأخبِريه أنَّكِ أُختي، [فإنكِ أُختي] في الإِسلامِ، ليسَ على وَجْهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري

ويعد من الصغائر كالكذبة الواحدة فى حقير من أمور الدنيا ففى إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف.

قوله: «فى ذات الله» قال فى المغرب: ذو بمعنى الصاحب يقتضى شيئين موصوفًا ومضافًا إليه، وتقول للمؤنث: امرأة ذات مال، ثم اقتطعوها عن مقتضيها وأجروها مجرى الأسماء التامة المستقلة بأنفسها غير المقتضية لما سواها فقالوا: ذات قديمة أو محدثة، ونسبوا إليها من غير تغيير علامة التأنيث، فقالوا: الصفات الذاتية، واستعملوها استعمال النفس والشىء. وعن أبى سعيد: كل شىء ذات وكل ذات شىء.

مح: هذه أيضًا في ذات الله تعالى، لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة لا يرضى بها الله تعالى، وإنما خص الثنتين بأنهما فى ذات الله تعالى لكون الثالثة متضمنة نفعًا له ودفعًا لحرمه ـ انتهى كلامه ـ.

أقول: قوله: «فى ذات الله» أى فى الدفع عن ذات الله ما لا يليق بجلاله، يدل عليه ما جاء فى حديث آخر: «ما منها كذبة إلا ما حل عن دين الله» أى خاصم وجادل وذب عن دين الله تعالى، وهو معنى التعريض لأنه نوع من الكناية ونوع من التعريض يسمى بالاستدراج وهو: إرخاء العنان مع الخصم فى المجاراة ليعثر حيث يريد تبكيته، فسلك إبراهيم عليه السلام مع القوم هذا المنهج، فقوله: «إنى سقيم» إيهام منه أنه استدل بأمارة علم النجوم على أنه سقيم ليتركوه فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل، أو سقيم لما أجد من الغيظ والحنق باتخاذكم النجوم آلهة.

وقوله: «بل فعله كبيرهم» تنبيه على أن الإله الذى لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه، كيف يرجى منه دفع الضرر عن الغير؟.

وقوله عن سارة: «أختى» دفع عنها قصد الجبار إياها، قيل: كان من ديدن هذا الجبار أو من دينه أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، فلذلك قال: «إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك» ويحتمل أن يكون المراد به أنه إن علم ذلك ألزمنى بالطلاق، أو قصد قتلى حرصًا عليك.

فإن قلت: فإذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة عن ساحته، فما باله يشهد على نفسه بها فى حديث الشفاعة فى قوله: «وإنى كنت قد كذبت ثلاث كذبات» فذكرها نفسى نفسى نفسى؟ على أن تسميتها وأنها معاريض بالكذبات إخبار بالشىء على خلاف ما هو به؟.

وغيرُكِ، فأرسلَ إليها، فأُتِيَ بها، قام إبراهيمُ يُصلي، فلمَّا دخلتْ عليه، ذهب يتناولها بيده، فأُخِذَ - ويُروى فغُطَّ - حتى ركَضَ برجلِه، فقال: ادعي اللهَ لي ولا أضرُّكِ، فدعت اللهَ فأُطلِقَ، ثمَّ تناولها الثانية، فأخذَ مثلها أو أشدَّ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرُّكِ، فدعت الله فأطلق، فدَعا بعضَ حجَبَتِه، فقال: إنَّكَ لم تأتني بإنسانٍ، إنما أتيتَني بشيطانٍ، فأخْدَمَها هاجرَ، فأتَتْه وهو قائمٌ يُصلي، فأوْمأ بيدِه مَهْيَمْ؟ قالت: ردَّ

قلت: نحن وإن أخرجناها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية وسميناها معاريض فلا ننكر أن صورتها صورة التعويج عن المستقيم، فالحبيب قصد إلى براءة ساحة الخليل عما لا يليق بها فسماها معاريض، والخليل لمح إلى مرتبة الشفاعة هنالك وأنها مختصة بالحبيب فتجوز بالكذبات.

مح: قوله: «إذ أتى» جواب: «بينا» أي بيناهما يسيران ذات يوم إذ أتيا على بلد جبار من الجبابرة فوشى بهما، وقوله: «من هذه؟» بيان للسؤال سأل الجبار بهذا اللفظ، وقوله: «يغلبنى عليك» أي يأخذك منى قهرًا، من قولك: غلبنى فلان على كذا إذا أخذه منك وامتلكه.

وقوله: «ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك» يريد به قوله: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**(١) يعنى أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والسبب اللاصق ما يفضل الأخوة فى النسب، وليس أحد أحق بهذا الاسم العقد منى ومنك الآن، لأنه ليس على الأرض مؤمن غيرى وغيرك.

وقوله: «فأرسل إليها» أى الجبار إلى سارة يطلبها.

وقوله: «قام إبراهيم» جملة مستأنفة، كأن قائلا قال: فما فعل بعد؟ فأجيب: قام.

«وذهب يتناولها» أى طفق.

«فأخذ» أى حبس نفسه وضغط، والمراد به الخنق هاهنا، أى أخذ بمجارى نفسه حتى سمع له غطيط، وكذا معنى «الغط».

«وركض برجله» أى ضرب، وأصل الركض الضرب بالرجل كما تركض الدابة.

وقوله: «فأخذ مثلها» أي أخذه مثل الأخذة الأولى.

وقوله: «إنما أتيتنى بشيطان» أراد به المتمرد من الجن، وكانوا يهابون الجن ويعظمون أمرهم.

وقوله: «فأخدمها» أى الجبار.

---

(١) الحجرات: ١٠

اللهُ كيدَ الكافرِ في نحْرِه، وأخدَمَ هاجرَ» قال أبو هريرةَ: تلكَ أُمُّكم يابَني ماءِ السَّماءِ! متفق عليه.

٥٧٠٥ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحنُ أحقُّ بالشك من إبراهيم إذ قال: (ربِّ أرني كيف تحيي الموتى)[١] ويرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثتُ في السجنِ طولَ ما لَبِثَ يوسفُ لأجبْتُ الداعى». متفق عليه.

«هاجر» خادمة لسارة.

و«مهيم» هى كلمة يمانية يستفهم بها، ومعناها ما حالك وما شأنك، جعلت مفسرة للإيماء، أى أومأ بيده إيماء يفهم منه معناها.

قوله: «كيد الكافر فى نحره» النحر أعلى الصدر، هو من قوله تعالى: **﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾**[٢].

قوله: «أمكم يا بنى ماء السماء» «قض»: قيل: أراد بهم العرب سموا بذلك لأنهم يبتغون المطر ويتعيشون به والعرب وإن لم يكونوا بأجمعهم من بطن هاجر لكن غلب أولاد إسماعيل على غيرهم.

وقيل: أراد بهم الأنصار لأنهم أولاد «عامر بن حارثة الأزدى» جد «نعمان بن المنذر» وهو كان ملقَّبا «بماء السماء» لأنه كان يستمطر به.

ويحتمل أنه أراد بهم «بنى إسماعيل*» وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف أصولهم.

الحديث الثامن عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «نحن أحق بالشك» خط: مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس، وليس فى قوله هذا اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفى الشك عن كل واحد منهما، يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتب فى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم عليه السلام أولى بأن لا يشك ولا يرتاب فيه، وفيه الإعلام أن المسألة من قبل إبراهيم لم تعرض من قبل الشك ولكن من قبل زيادة العلم، واستفادة معرفة كيفية الإحياء، والنفس تجد من الطمأنينة بعلم الكيفية ما لم تجده بعلم الآنية، والعلم فى الوجهين حاصل والشك مرفوع.

وقد قيل: إنما طلب الإيمان حسًّا وعيانًا لأنه فوق ما كان عليه من الاستدلال، والمستدل لا يزول عنه الوسواس والخواطر، وقد قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»[٣].

---

(١) البقرة: ٢٦٠. (٢) فاطر: ٤٣.

(٣) أخرجه الطبراني فى الأوسط عن أنس والخطيب عن أبى هريرة.

* هكذا فى (ك) وفى (ط) [إسرائيل].

٥٧٠٦ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلا حييا ستّيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياءً، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما تَستَّر هذا التستّر إلا من عيبٍ بجلده: إما برص أو أُدرَة، وإن الله أراد أن يبرئه، فخلا يومًا وحده ليغتسل، فوضع ثوبه على حجرٍ، ففرَّ الحجر بثوبه، فجمح موسى في إِثْرِه يقول: ثوبي يا حجرُ! ثوبي يا حجرُ! حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل، فرأوه عُريانا أحسن ما خلق الله وقالوا والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، وطفقَ بالحجر

قوله: «ويرحم الله لوطًا» تمهيد وتقدمة للخطاب المزعج، كما فى قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾(١).

«قض»: استعظام لما قاله واستغراب لما بدر منه حينما أجهده قومه فقال: ﴿**أو آوى إلى ركن شديد**﴾(٢) إذ لا ركن أشد وأمنع من الركن الذي كان يأوى إليه، وهو عصمة الله تعالى وحفظه.

قوله: «لأجبت الداعى» يريد به قوله تعالى: ﴿**فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله**﴾(٣) تو: هو منبىء عن إحماده صبر يوسف وتركه الاستعجال بالخروج من السجن مع امتداد مدة الحبس عليه.

ثم إن فى ضمن هذا الحديث تنبيها على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانوا من الله بمكان لا يشاركهم فيه أحد، فإنهم بشر يطرأ عليهم من الأحوال ما يطرأ على البشر، فلا تعدوا ذلك منقصة ولا تحسبوه مسبة.

الحديث التاسع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أدرة» نه: الأدرة بالضم نفخة بالخصية، يقال: رجل أدر بين الأدرة، بفتح الهمزة والدال، وهى التي يسميها الناس الغيلة.

و«جمح» أى أسرع إسراعًا لا يرده شيء، وكل شيء مضى لوجهه على أمر فقد جمح.

و«الندب» بالتحريك أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، فشبه به أثر الضرب بالحجر.

أقول: الفاء فى قوله: «فإن الله» للتعقيب، وأصل الكلام فقالوا: كيت وكيت فأراد الله أن يبرئه، وأتى بإن المؤكدة تأكيدًا اعتناء بشأنه.

وقوله: «عريانًا» حال، وكذا قوله: «أحسن» لأن الرؤية بمعنى النظر.

---

(١) التوبة: ٤٣. (٢) هود: ٨٠..

(٣) يوسف: ٥٠.

ضربًا، فوالله إن بالحجرِ لنَدبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا». متفق عليه.

٥٧٠٧ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أيوبُ يغتسلُ عُريانا، فخرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوبُ يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه: يا أيوبُ! ألَم أكنْ أغنيتك عمَّا ترى؟ قال: بلى وعزَّتِك، ولكن لا غِنى بي عن بركتك». رواه البخاريُّ.

قوله: «ثلاثًا» أى ندبات، بيانًا وتفسيرًا لاسم إن.

مح: فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه الصلاة والسلام، إحداهما: مشى الحجر بثوبه، والثانية: حصول الندب فى الحجر بضربه، وفيه: حصول التمييز فى الجماد، وفيه: جواز الغسل عريانًا فى الخلوة وإن كان ستر العورة أفضل، وبهذا قال الشافعى ومالك وأحمد، وخالفهم ابن أبى ليلى فقال: إن للماء ساكنًا.

وفيه: ابتلاء الأنبياء والصالحين من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليه.

وفيه: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم منزهون عن النقائص فى الخلق والخلق، سالمون من العاهات والمعايب، اللّهم إلا على سبيل الابتلاء.

قوله: «بالحجر» متعلق بخبر طفق، أى طفق يضرب الحجر ضربًا.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «فخر عليه» نه: خر يخر بالضم والكسر إذا سقط من علو، وخر الماء يخر بالكسر.

و«يحثى فى ثوبه» أى يصيد فيه.

أقول: الفاء فى «فخر» مثلها فى قوله ﷺ: «بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا دخل آدم».

قال المالكى: الفاء فى قوله: «فإذا دخل آدم» زائدة كالأولى فى قوله تعالى: **﴿فبذلك فليفرحوا﴾**[1].

قال جار الله: أصل الكلام: قل: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا.

أقول: قدر ثلاث فاءات فالأولى: لربط الكلام بما قبله، والثالثة: جواب الشرط المقدر، والثانية: زائدة، لأن الباء فى «بذلك» متعلقة بما بعده قدم للاختصاص.

قوله: «ألم أكن أغنيتك؟» هذا ليس بعتاب منه تعالى، فإن الإنسان وإن كان مثريا لا يشبع

---

(١) يونس: ٥٨.

٥٧٠٨ - * وعنه، قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود. فقال المسلم: والذي اصطفى محمَّدًا على العالمين. فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفَعَ المسلمُ يدَه عند ذلك فلطمَ وجهَ اليهودى، فَذَهَبَ اليهوديُّ إلى النبي ﷺ، فأخبره بما كان من أمره وأمرِ المسلم، فدعا النبيُّ ﷺ المسلم فسأله عن ذلك، فأخبره، فقال النبي ﷺ: «لا تخيِّروني على موسى، فإنَّ الناسَ يصعقون يومَ القيامةِ، فأصعق معهم فأكونُ أوَّلَ من يفيق، فإذا موسى باطشٌ

بثراه بل يريد المزيد عليه، بل من قبيل التلطف والامتحان بأنه هل يشكر على ما أنعم عليه فيزيد فى الشكر، وإليه الإشارة بقوله: «ولكن لا غنى لى عن بركتك» ونحوه قوله ﷺ لعمر رضى الله عنه جوابًا عن قوله: «أعطه أفقر إليه منى؟» «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك».

الحديث الحادى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لا تخيرونى على موسى» تو: أى لا تفضلونى عليه، قول قاله على سبيل التواضع أولا، ثم لردع الأمة عن التخيير بين أنبياء الله من تلقاء أنفسهم ثانيًا، فإن ذلك يفضى بهم إلى العصبية، فينتهز الشيطان عند ذلك فرصة فيدعوهم إلى الإفراط والتفريط، فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه، فيقعون فى مهواة الغى، ولهذا قال: «لا تخيروا بين الأنبياء» أى لا تقدموا على ذلك بأهوائكم وآرائكم بل بما أتاكم من الله من البيان، وعلى هذا النحو قول النبى ﷺ: «ولا أقول إن أحدًا خير من يونس بن متى» أى: لا أقول من تلقاء نفسى، ولا أفضل أحدًا عليه من حيث النبوة والرسالة فإن شأنهما لا يختلف باختلاف الأشخاص، بل يقول: كل من أكرم بالنبوة فإنهم سواء فيما جاءوا به عن الله تعالى وإن اختلفت مراتبهم، وكذلك من أكرم بالرسالة، وإليه وقعت الإشارة بقوله سبحانه: ﴿**لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[1] وإنما خص يونس بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه فى كتابه من أمر يونس، وتوليه عن قومه، وضجره عند تثبطهم فى الإجابة، وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين أرادوا التنصل، فقال عز من قائل: ﴿**ولا تكن كصاحب الحوت**﴾[2] وقال: ﴿**وهو مليم**﴾[3] فلم يأمن ﷺ أن يخامر بواطن الضعفاء من أمته ما يعود إلى نقيصة فى حقهم، فنبأهم أن ذلك ليس بقادح فيما آتاه الله من فضله، وأنه مع ما كان من شأنه كسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

---

(١) البقرة: ٢٨٥. (٢) القلم: ٤٨.
(٣) الصافات: ١٤٢.

بجانبِ العرشِ، فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قَبْلي، أو كان فيمن استثنى الله؟» .
وفي رواية: «فلا أدري أحوسب بصعقةِ يوم الطورِ، أو بُعِثَ قبلي؟ ولا أقول: إن أحدًا أفضلُ من يُونُس بنِ مَتَّى».

٥٧٠٩ ـ * وفي رواية أبي سعيدٍ قال: «لا تخيِّروا بينَ الأنبياء» متفق عليه.

وفي رواية أبي هريرةَ: «لا تُفضّلوا بين أنبياء الله».

٥٧١٠ ـ * وعن أبي هريرةَ ، قال: قال رسول ﷺ:«ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خيرٌ من يونس بنِ مَتَّى» متفق عليه.

هذا قول جامع في بيان ما ورد فى هذا الباب فافهم ترشد إلى الأقوم.

وأما ما ذكره فى هذا الحديث من الصعقة فهى بعد البعث عند نفخة الفزع،وأما فى البعث فلا تقدم لأحد فيه على نبينا ﷺ، واختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بهذه الفضيلة لا يوجب تفضيلا على من تقدمه بسوابق جمة وفضائل كثيرة، والله المسئول أن يعرفنا حقوقهم، ويحيينا على محبتهم، ويميتنا على سنتهم، ويحشرنا على ما كانوا عليه.

قوله:«ولا أقول: إن أحدًا» قال المالكى: استعمل أحدًا فى الإثبات لمعنى العموم لأنه فى سياق النفى، كأنه قيل: لا أحد أفضل من يونس، والشىء قد يعطى حكم ما هو في معناه وإن اختلف في اللفظ، فمن ذلك قوله تعالى: **﴿أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر﴾** (١) فأجرى فى دخول الباء على الخبر مجرى (أو ليس الذى) لأنه بمعناه، ومن إيقاع أحد في الإيجاب المؤول بالنفى قول الفرزدق:

ولو سئلت عنى نوار وأهلها ... إذًا أحد لم تنطق الشفتان

فإن «أحد» وإن وقع مثبتًا لكنه فى الحقيقة منفى لأنه مؤخر معنى، كأنه قال: إذا لم ينطق أحد.

قوله:«لا تفضلوا بين أنبياء الله» بالصاد المهملة ظاهر، أى لا تفرقوا بينهم، وبالضاد المعجمة معناه لا يوقع الفضل بين أنبياء الله، أى لا تفضلوا بعض الأنبياء على بعض نحو قوله تعالى:**﴿لقد تقطع بينكم﴾** (٢) أى وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين، تريد أوقع الجمع بينهما ـ فى الكشاف ـ.

الحديث الثانى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله:«أنا خير» قيل: ضمير المتكلم

---

(١) الأحقاف : ٣٣ (٢)الأنعام: ٩٤.

وفي رواية للبخاري قال: من قال: أنا خيرٌ من يونس بنِ مَتَّى فَقَد كَذَب».

٥٧١١ - * وعن أُبيٍّ بنِ كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الغلامَ الذي قتله الخضرُ طُبِع كافرًا، ولو عاش لأرهَقَ أبويه طغيانًا وكفرًا» متفق عليه.

٥٧١٢ - * وعن أبي هريرةَ ، عن النبي ﷺ قال: «إنما سميَ الخضر لأنه جلس

يعود إلى رسول الله ﷺ، وقيل: يعود إلى كل قائل، أى لا يقول بعض الجاهلين من المجتهدين في العبادة أو العلم أو غير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ ما بلغ إلا أنه لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيده الرواية الأولى: «ما ينبغى لعبد أن يقول: إنى خير من يونس بن متى».

مظ: إنما خص يونس بالذكر لأن الله تعالى لم يذكره في جملة أولي العزم من الرسل، وقال الله تعالى: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ (١) فقصر به عن مراتب أولى العزم والصبر من الرسل، بقوله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم: إذا لم آذن لكم أن تفضلونى على يونس بن متى، فلا يجوز لكم أن تفضلونى على غيره من ذوي العزم من أجلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا منه ﷺ على التواضع والهضم من نفسه، وليس ذلك بمخالف لقوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» لأنه لم يقل ذلك مفتخرًا ولا متطاولا به على الخلق، وإنما قال ذلك ذاكرًا للنعمة ومعترفًا بالمنة فيه، وأراد بالسيادة ما يكرم به فى القيامة من الشفاعة، وعلى هذا المعنى ينبغى أن يؤول قوله: «من قال: أنا خير منه فقد كذب» لأن المراد أنا خير فى النبوة والرسالة كما قال الله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾(٢) والله أعلم.

الحديث الثالث عشر عن أبى هريرة(٣) رضي الله عنه:

قوله: «الخضر» مح: جمهور العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا لا سيما عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة*، وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه وحضوره فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر، وصرح الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بذلك، قال: وشذ من أنكره من المحدثين**.

قال الجيزى المفسر وأبو عمرو، هو نبى، واختلفوا فى كونه مرسلا.

وقال القشيرى وكثيرون: هو ولى.

---

(١) القلم: ٤٨.   (٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) كذا في (ط) و(ك) والصواب عن (أبي بن كعب) كما في متن المصنف.

* أقول: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» فلا يثبت شيء من أمور الغيب إلا بدليل وبرهان، فأين الدليل على ذلك؟ ولا يعتد بإخبار أحد عن أحد غير رسول الله ﷺ، أما رؤى الصوفية وخيالاتهم فما هى إلا كبيت العنكبوت، ولا يثبت بذلك شرع باتفاق الأمة.

** قلت بل هو الصواب، وقولهم هو القول، فهم سادة الشأن، وعنهم يؤخذ الدين.

على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتزُّ من خَلْفِه خَضْراءَ». رواه البخاري.

٥٧١٣ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى بنِ عمران، فقال له: أجب ربّك». قال: «فلطم موسى عينَ مَلَك الموت ففقأها» قال:

واحتج من قال بنبوته بقوله تعالى: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ (١) فدل على أنه أوحى إليه، وبأنه أعلم من موسى عليه الصلاة والسلام، ويبعد أن يكون الولى أعلم من نبى.

وأجاب الآخرون: يجوز أن يكون قد ألقى إليه بطريق الإلهام، كما ألقى إلى أم موسى فى قوله تعالى: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه...﴾(٢).

قال الثعلبى المفسر: الخضر نبى معمَّر محجوب عن أكثر الأبصار.

قال: وقيل: إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن.

وذكر أقوالا فى أنه فى زمن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أم بعده بقليل أو كثير.

قال القاضى عياض: فى هذا حجة بينة لأهل السنة وصحة مذهبهم أن العبد لا قدرة له على الفعل إلا بإرادة الله وتيسيره له، خلافًا للمعتزلة القائلين بأن للعبد فعلا من قبل نفسه وقدرة على الهدى والضلال.

وفيه: أن الذين قضى لهم بالنار طبع على قلوبهم وختم وجعل من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا وحجابًا مستورًا، وجعل فى آذانهم وقرًا، وفى قلوبهم مرض ليتم سابقته ويمضى كلمته لاراد لحكمه ولا معقب لأمره وقضائه.

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: أطفال الكفار فى النار.

قوله: «لأرهق أبويه» نه: أى أغشاهما، يقال: رهقه بالكسر يرهقه رهقًا أى غشيه، وأرهقه أى أغشاه إياه، وأرهقنى فلان إثما حتى رهقته أى حملنى إثمًا حتى حمله له.

الحديث الرابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: « على فروة بيضاء» الفروة: الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات.

أقول: لعل الثانى أنسب لأن قوله: «خضراء» إما تمييز أو حال، كأنه قيل: نظر الخضر عليه السلام إلى مجلسه ذاك فإذا هى تتحرك من جهة الخضرة والنضارة.

الحديث الخامس عشر عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «ففقأها» أي قلعها وأعماها.

مح: هى بالهمز.

و«متن الثور» ظهره.

---

(١) الكهف: ٨٢. (٢) طه: ٣٩

«فرجَعَ الملك إلى الله، فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريدُ الموت، وقد فقأ عيني» قال: «فَرَدَّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياةَ تريد؟ فإن كنتَ تريد الحياةَ فَضَع يَدَكَ على متن ثورٍ، فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنةً، قال: ثم مَهْ؟، قال: ثمَّ تموت. قال: فالآنَ من قريبٍ، ربِّ أدْنني من الأرضِ المقدَّسةِ رميةً بحجر». قال رسول ﷺ: «والله لو أني عنده لأرَيْتُكم قَبْرهُ إلى جنب الطريق عندَ الكثيب الأحمر» متفق عليه.

و«رمية بحجر» قدر ما يبلغه.

و«ثم مه» هى هاء السكت، و«ما» استفهامية، أى: ثم ماذا يكون أحياة أم موت؟.

و«الكثيب» الرمل المستطيل.

ومعنى: «أجب ربك» أى للموت.

وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة لشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم.

قالوا: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس.

وفي هذا استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين.

قال المازرى: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وقالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟.

وأجاب عن هذا بأجوبة: أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن الله له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانًا للملطوم، والله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد.

والثانى: أن هذا على المجاز والمراد أن موسى ناظره وحاجَّه فغلبه بالحجة، يقال: فقأ فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة، قال: وفى هذا ضعف لقوله ﷺ: «فرد الله عليه عينه» فإن قيل: أراد رد حجته، كان بعيداً.

والثالث: أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقءعينه، لا أنه قصدها، وهذا جواب الإمام أبى بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازرى والقاضي عياض، وأتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف الأولى.

٥٧١٤ وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عُرِضَ عَلَيَّ الأنبياءُ فإذا موسى ضَرْبٌ منَ الرجالِ، كأنَّه منْ رجالِ شَنوءَةَ، ورأيتُ عيسى بنَ مريم فإذا أقربُ من رأيتُ به

حس: يجب على المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عرف البشر فيقع فى الارتياب، لأنه أمر مصدره قدرة الله تعالى وحكمه، وهى مجادلة جرت بين ملك كريم ونبى كليم، كل واحد منهما مخصوص بصفة يخرج بها عن حكم عوام البشر ومجارى عاداتهم فى المعنى الذى خص به، فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما، وقد اصطفى الله تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، فلما دنت وفاته وهو بشر يكره الموت طبعًا لطف الله به بأن لم يفاجئه بغتة، ولم يأمر الملك الموكل به بأن يأخذه قهرًا، بل أرسله على سبيل الامتحان فى صورة بشر، فلما رآه موسى استنكر شأنه واستوعر مكانه، فاحتجز منه دفعًا عن نفسه بما كان من صكه إياه فأتى ذلك على عينه التى ركبت فى الصورة البشرية، وقد كان فى طبع موسى عليه السلام حدة على ما قص الله تعالى علينا من أمره فى كتابه، من: وكزه القبطى، وإلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه، هذا وقد جرت سنة الدين بدفع كل قاصد بسوء.

وقد ذكر الخطابى رحمه الله هذا المعنى في كتابه ردًا على من طعن في هذا الحديث وأمثاله من أهل البدع الملحدين- أبادهم الله تعالى ـ انتهى كلامه ـ .

فإن قلت: أى فرق بين قول الملك: «عبد لك» على التنكير ، وبين قول الله: عبدى؟ .

قلت: يدل قول الملك على نوع طعن حيث نكره وشنع عليه بقوله: لا يريد الموت، وقول الله تفخيم لشأنه وتعظيم مكانه حيث أضافه إلى نفسه ردًا عليه وتنبيها أن ما ظهر من موسى كان دلالا منه واعتزازًا وأننا نرضى بما يريد فجعلنا الخيرة له إكرامًا.

قوله: «فما توارت يدك» قض: هكذا مذكور فى صحيح مسلم، ولعل الظاهر فما وارت يدُك بالرفع، وأخطأ بعض الرواة، ويدل عليه ما روى البخارى فى صحيحه: فله ما غطت يده بكل شعرة سنة.

ويحتمل أن يكون بدلا منصوبًا بنزع الخافض ، وفى «توارت» ضمير، وإنما أنثه لكونه مفسرًا بالشعرة».

أقول: قوله: «من شعرة» بيان «ما» والضمير فيه راجع إلى متن الثور، وما توارت قطعة منه فأنثه باعتبار القطعة التى توارت بيدك أو تحت يدك.

الحديث السادس عشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: «فإذا موسى ضرب من الرجال» قض: لعل أرواحهم مثلت له بهذه الصورة، ولعل صورهم كانت كذلك، أو صور أبدانهم كوشفت له فى نوم أو يقظة.

شَبَهًا عروةُ بنُ مسعودٍ، ورأيتُ إبراهيمَ فإذا أقربُ مَنْ رأيتُ به شَبَهًا صاحبُكم ـ يعنى نفسَه ـ، ورأيتُ جبريلَ، فإذا أقربُ من رأيتُ به شَبهًا دِحيةُ بنُ خليفةَ» رواه مسلم.

٥٧١٥ ـ * وعن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي موسى، رجلا آدمَ طُوالا، جعدًا كأنَّه منْ رجال شَنوءةَ، ورأيتُ رجلا مربوع الخلقِ، إلى الحمرةِ والبياضِ، سبِطَ الرَّأسِ، ورأيتُ مالكًا خازنَ النارِ، والدَّجَّالَ فى آياتٍ أراهنَّ اللهُ إياهُ، فلا تكنْ في مرْيَةٍ منْ لقائه» متفق عليه.

والضرب : الرجل الخفيف.

وأما «شنوءة»: فبشين معجمة مفتوحة ثم نون ثم واو ثم همزة ثم هاء، وهى قبيلة معروفة، قال ابن قتيبة: سموا بذلك من قولهم: رجل فيه شنوءة أى تقزز.

وقال الجوهرى: الشنوءة التقزز وهو التباعد عن الأدناس، ومنه أزد شنوءة وهم حى من اليمن نسب إليهم شنوئى.

قال: قال ابن السكيت: أزد شنوَّة بالتشديد غير مهموز وينسب إليه الشنوى.

فإن قلت: ما الفرق بين تشبيه موسى وبين التشبيهين الآخرين؟.

قلت: التشبيهات الثلاثة للبيان، والأول من باب قولك: لون عمامتى من لون هذه العمامة لعمامة بين يدى المخاطب.

والثانى والثالث: كقولك: لون هذه العمامة كلون عمامتى.

فالتشبيه الأول لمجرد البيان، والأخيران للبيان مع تعظيم المشبه فى مقام المدح.

قوله: «به شبهًا» قدم على العامل للاختصاص تأكيدًا لإضافة أفعل إلى من، أى وكان عروة ابن مسعود أخص الناس بعيسى شبها.

الحديث السابع عشر عن ابن عباس رضى الله عنه: قوله: «رجلا آدم» نه: الآدم من الناس الأسمر الشديد السمرة.

و«الطوال» بضم الطاء وتخفيف الواو، الطويل.

و«الجعد» ضد السبط، وسبط بكسر الباء وفتحها مسترسل الشعر ـ انتهى كلامه ـ .

وقوله: «إلى الحمرة» حال، أى مائلا لونه إلى الحمرة والبياض ، فلم يكن شديد الحمرة والبياض.

وقوله: «فى آيات» أى رأيت المذكور في جملة آيات، لعله أراد الآيات المذكورة في قوله

٥٧١٦ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليلةَ أُسرِيَ بي، لقيتُ موسى ـ فنَعَتَه ـ: فإذا رجلٌ مضطربٌ، رَجِلُ الشعرِ، كأنَّه منْ رجالِ شَنوءَةَ، ولقيتُ عيسى رَبْعةً أحمرَ كأنَّما خرجَ منْ ديماسَ ـ يعني الحمامَ ـ ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبه

تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[1] فعلى هذا في الكلام التفات حيث وضع إياه في موضع إياي، أو الراوي نقل معنى ما تلفظ به، والظاهر أن قوله: ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾[2] يتعلق بأول الكلام وهو حديث موسى عليه الصلاة والسلام **تلميحًا** إلى ما في التنزيل من قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه﴾[3].

الكشاف: قيل: من لقائك موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، فيكون ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام وما يتبعه من الآيات مستطردًا لذكر موسى، وإنما قطعه عن متعلقه وأخَّره ليشمل معناه الآيات على سبيل التبعية والإدماج، أي لا تكن يا محمد في رؤية ما رأيته من الآيات في شك، فعلى هذا الخطاب في قوله تعالى: ﴿فلا تكن﴾ رسول الله ﷺ والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوي إلا لفظة إياه. ويشهد له قول الشيخ محيي الدين في شرح هذا الحديث: كان قتادة يفسرها أن النبي ﷺ قد لقي موسى عليه الصلاة والسلام، ودافعه عليه جماعة، منهم: مجاهد والكلبي والسدي، ومعناه فلا تكن في شك من لقائك موسى، والشارحون ذهبوا إلى أن قوله: في آيات أراهن الله. . . إلى آخره من كلام الراوي ألحقه بالحديث دفعًا لاستبعاد السامعين، وإماطة لما عسى أن يختلج في صدورهم.

وقال المظهر: الخطاب في «فلا تكن» خطاب عام لمن سمع هذا الحديث إلى يوم القيامة، والضمير في «لقائه» عائد إلى الدجال ، أي إذا كان خروجه موعدًا فلا تكن في شك من لقائه.

وقال غيره: الضمير راجع إلى ما ذكر، أي فلا تكن في شك من رؤية ما ذكر من الآيات إلى يوم القيامة.

وفي الوجوه بحث على ما لا يخفى والله أعلم.

الحديث الثامن عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «فنعته» هو من كلام الراوي أدرجه بين كلام رسول الله ﷺ.

قوله: «مضطرب» قض: يريد أنه كان مستقيم القد حادًا، فإن الحاد يكون قلقًا متحركًا كأن فيه اضطرابًا، ولذلك يقال: رمح مضطرب إذا كان طويلا مستقيمًا.

وقيل: إنه كان مضطربًا من خشية الله تعالى، وهذه صفة النبيين والصديقين، كما روى أنه صلى الله عليه وسلم: كان يصلي ولقلبه أزيز كأزيز المرجل.

---

(١) النجم: ١٨.　(٢) السجدة: ٢٣.

ولده به»قال: «فأتيتُ بإناءَين: أحدُهما لبنٌ والآخرُ فيه خمرٌ. فقيلَ لي: خُذْ أيَّهما شئتَ . فأخذتُ اللبنَ فشربتُه ، فقيل لي: هُديتَ الفطرةَ، أما إنَّكَ لو أخذتَ الخمرَ غوَتْ أُمتك» متفق عليه.

٥٧١٧ ـ * وعن ابنِ عبَّاسٍ ، قال: سرْنا مع رسول الله ﷺ بينَ مكةَ والمدينة، فمررْنا بوادٍ، فقال: «أيُّ وادٍ هذا؟» فقالوا: وادي الأزرق. قال: «كأني أنظرُ إلى موسى» فذكر منْ لونِه وشعرِه شيئًا، واضعًا أصبعيه فى أُذنيه، لهُ جؤارٌ إلى الله

قوله: «رجل الشعر» نه: أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما.

قوله: «عيسى ربعة» بالتسكين ، أى لا طويل ولا قصير ، والتأنيث على تأويل النفس.

قوله: «أحدهما لبن» مظ: كان القياس«فيه لبن» كما قال: «فيه خمر» عدل إرادة لتكثير اللبن وكأن الإناء انقلب لبنًا، ولما كان الخمر منهيًّا عنه قلله.

قوله: «هديت الفطرة» قض: أى الفطرة الأصلية التى فطر الناس عليها، فإن فيها الإعراض عما فيه غائلة وفساد كالخمر المخل بالعقل الداعى إلى الخير الوازع عن الشر المؤدى إلى صلاح الدارين وخير المنزلين، والميل إلى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومعرة دينية كشرب اللبن فإنه من أصلح الأغذية وأول ما به حصلت التربية.

تو: العالم القدسى تصاغ فيه الصور من العالم الحسى لتدرك بها المعانى، ولما كان اللبن فى العالم الحسى من أول ما يحصل به التربية ويترشح به المولود صيغ عنه مثال الفطرة التى تتم بها القوة الروحانية، وينشأ عنها الخاصية الإنسانية.

الحديث التاسع عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «واضعًا. . مارًّا» حالان مترادفتان أومتداخلتان من موسى عليه الصلاة والسلام وقد تخلل بينهما كلام الراوى.

و«الجؤار» رفع الصوت.

و«هرشى» بفتح الهاء والشين المعجمة مقصورة، جبل على طريق الشام والمدينة قرب الجحفة.

و«لفت» يروى فيه كسر اللام وإسكان الفاء وفتحها معه، وفتحهما.

و«الخطام» بكسر الخاء الحبل الذى يقاد به البعير، يجعل على خطمه أى مقدم أنفه وفمه. و«الخلبة» بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة بينهما لام يجوز فيها الضم والإسكان كذلك، حبل الليف.

بالتلبيةِ، ماراً بهذا الوادي» . قال: ثمَّ سرنا حتى أتَينا على ثنيَّةٍ. فقال: «أيُّ ثنيَّةٍ هذه؟» قالوا: هَرشى ـ أو لِفْت فقال: «كأني أنظرُ إلى يونسَ على ناقةٍ حمراءَ، عليه جُبَّةُ صوفٍ، خِطامُ ناقته خُلْبَةٌ، مارًّا بهذا الوادي ملبيًا» رواه مسلم.

٥٧١٨ ـ * وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «خُفِّفَ على داودَ القرآنُ، فكانَ يأمرُ بدوابِّه فتسرحُ ، فيقرأُ القرآنَ قبلَ أنْ تسرحَ دوابُّه، ولا يأكلُ إلا منْ عملِ يدَيه» رواه البخاري.

مح: فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات والدار الآخرة ليست بدار عمل؟.

الجواب من وجوه : أحدها: أنهم كالشهداء بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا، لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل،حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل.

وثانيها: التلبية دعاء وهو من عمل الآخرة، قال الله تعالى: **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**[1].

وثالثها: أن تكون هذه رؤية منام فى غير ليلة الإسراء كما قال فى رواية ابن عمر رضى الله عنهما «بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة. .» وذكر الحديث فى قصة عيسى عليه الصلاة والسلام.

ورابعها: أنه صلى الله عليه وسلم أرى حالهم التى كانت فى حياتهم، ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا؟ وكيف كان حجهم وتلبيتهم؟ كما قال صلى الله عليه وسلم: «كأنى أنظر إلى موسى».

وخامسها: أن يكون أخبر عما أوحى إليه صلى الله عليه وسلم من أمرهم وما كان منهم وإن لم يرهم رؤية عين ـ هذا آخر كلام القاضى عياض ـ .

وفى الحديث دليل على استحباب وضع الأصبع فى الأذن عند رفع الصوت بالأذان ونحوه، وهذا الاستنباط والاستحباب يجىء على مذهب من يقول من أصحابنا وغيرهم إن شرع من قبلنا شرع لنا والله أعلم.

الحديث العشرون عن أبى هريرة رضي الله عنه:

قوله: «فيقرأ القرآن» نه: الأصل فى هذه اللفظة الجمع، وكل شىء جمعته فقد قرأته، وسمى القرآن قرآنا لأنه جمع: القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، كالغفران والكفران،وقد يطلق على القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا.

---

(١) يونس: ١٠.

٥٧١٩ ـ * وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «كانتِ امرأتانِ معهُما ابناهُما، جاءَ الذئب فذهبَ بابنِ إحداهُما، فقالتْ صاحبتُها: إنما ذهبَ بابنكِ. وقالتِ الأخرى: إنما ذهب بابنكِ، فتحاكمَتا إلى داود، فقَضى به للكُبرى، فخرجَتا على سليمانَ بنِ داودَ، فأخبرتاهُ، فقال: ائتوني بالسكين أشُقُّه بينكما فقالت الصُّغرى: لا تفعلْ، يرحمُكَ اللهُ، هوَ ابنُها ، فقضى به للصُّغرى» متفق عليه.

٥٧٢٠ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال سليمانُ: لأطوفَنَّ الليلةَ على تسعينَ امرأةً ـ وفي رواية: بمائةِ امرأةٍ ـ كلهنَّ تأتي بفارس يُجاهدُ في سبيل الله. فقال له الملكُ: قُلْ إن شاء اللهُ. فلم يقلْ ونسيَ ، فطافَ عليهِنْ، فلم تحملْ منهنَّ إلا امرأة واحدة جاءتْ بشقِّ رجلٍ، وايم الذي نفْسُ محمَّدٍ بيدِه، لو قال: إنْ شاء اللهُ، لجاهدوا في سبيلِ الله فرسانًا أجمعونَ» متفق عليه.

تو: يريد بالقرآن الزبور، وإنما قال القرآن لأنه قصد به إعجازه من طريق القراءة. وقد دل الحديث على أن الله تعالى يطوى الزمان لمن شاء من عباده، كما يطوى المكان لهم، وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الرباني.

الحديث الحادى والعشرون عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «فقضى به للكبرى» مح: قالوا: يحتمل أن داود عليه الصلاة والسلام قضى به للكبرى لشبه رآه فيهما، أو لكونه كان في يدها، وأما سليمان فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية، وإنما أراد اختبار شفقتهما لتتميز له الأم لا القطع حقيقة، فلما تميزت حكم به للصغرى بإقرار الكبرى لا بمجرد الشفقة.

قال العلماء: ومثل ذلك يفعله الحكام ليتوصلوا به إلى حقيقة الصواب.

فإن قيل: كيف نقض سليمان حكم أبيه داود ؟.

فالجواب من وجوه : أحدها: أن داود لم يكن جزم بالحكم.

وثانيها: أن يكون ذلك فتوى من داود.

وثالثها: لعله كان فى شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه.

الحديث الثانى والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «كلهن تأتى بفارس» أى كل واحدة منهن، والكل هاهنا واجب أن يكون إفراديًّا.

قوله: «وايم الذي نفس محمد بيده» تو: الأصل فى «ايم الله» «ايمن الله» حذف منه النون،

٥٧٢١ ـ * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانَ زكريَّاء نجَّاراً» رواه مسلم.

٥٧٢٢ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بنِ مريمَ في الأولى والآخرةِ، الأنبياءُ إخوةٌ من علاتٍ، وأُمهَّاتُهم شتَّى، ودينُهم واحدٌ، وليس بينَنا نبيٌّ». متفق عليه.

وهو اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين، ولم يجيء في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها، وتقديره «ايمن الله قسمى» وإذا حذفت منه النون قيل: «ايم الله» بكسر الهمزة أيضًا.

و«أجمعون» تأكيد للضمير، ومنهم من يرويه «أجمعين» على الحال، والرواية المعتد بها «أجمعون» بالرفع.

قيل: والحديث يدل على أن من أراد أن يعمل عملا يستحب أن يقول عقيب قوله: «إنى أعمل كذا» «إن شاء الله» تتميمًا تبركًا وتيمنًا وتسهيلا لذلك العمل.

الحديث الثالث والعشرون والرابع والعشرون عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «أنا أولى الناس بعيسى» «قض»: الموجب لكونه أولى الناس بعيسى عليهما الصلاة والسلام أنه كان أقرب المرسلين إليه، وأن دينه متصل بدينه ليس بينهما نبى، وأن عيسى كان مبشرًا به ممهدًا لقواعد دينه داعيًا للخلق إلى تصديقه.

و«العلّة» الضرة، مأخوذ من العلل وهو الشربة الثانية بعد الأولى، وكأن الزوج علَّ منها بعد ما كان ناهلا من الأخرى.

وأولاد العلات: أولاد الضرات من رجل واحد، والمعنى أن حاصل أمر النبوة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعًا لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق، وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم، فهم متفقون فى هذا الأصل، وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التى هى كالوصلة المؤدية والأوعية الحافظة له، فعبر عما هو الأصل المشترك بين الكل بالأب ونسبهم إليه، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة فى الغرض بالأمهات، وهو معنى قوله: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد» وأنهم وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم فالأصل الذي هو السبب فى إخراجهم وإبرازهم ـ كلا فى عصره ـ أمر واحد وهو الدين الحق الذى فطر الناس مستعدين لقبوله ممكنين من الوقوف عليه والتمسك به، فعلى هذا المراد بالأمهات الأزمنة التي اشتملت عليهم وانكشفت عنهم.

قوله: «الأنبياء إخوة من علات... إلى آخره» استئناف فيه دليل على الحكم السابق وكأن

٥٧٢٣ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ بنى آدمَ يطعن الشيطانُ في جنبيه بأصبعَيه حينَ يولدُ، غيرَ عيسى بن مريمَ ذهب يطعنُ فطعنَ في الحجاب». متفق عليه.

٥٧٢٤ - * وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: كمُل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساءِ إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ امرأة فرعون، وفَضْلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام» متفق عليه.

سائلا سأل عما هو المقتضى لكونه أولى الناس به فأجاب بأن بين الأنبياء أخوة ليست بينهم وبين سائر الناس، ثم بينهما من قرب الزمان واتصال الدعوة ما ليس بين عيسى وغيره من الأنبياء، وهو معنى قوله: «ليس بيننا نبى» أى بينى وبين عيسى عليه السلام والله أعلم.

أقول: قوله: «الأنبياء إخوة من علات» كما مر استئناف على بيان الموجب لقوله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الأولى والآخرة» فينبغى أن ينزل البيان على المبين، يعنى الأنبياء كلهم متساوون فيما بعثوا لأجله من أصل التوحيد وليس لأحد اختصاص فيه، لكن أنا أخص الناس بعيسى لأنه كان مبشرًا بى قبل بعثتى وممهدًا لقواعد ملتى، ثم فى آخر الزمان متابع لشريعتى وناصر لدينى فكأننا واحد.

و«الأولى والآخرة» يحتمل أن يراد بهما الحالة الأولى وهى كونه مبشرًا، والحالة الآخرة وهى كونه ناصرًا ومقويًا لدينه عليه الصلاة والسلام وعلى جميع النبيين.

فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا﴾(١) -أى أنا أخصهم به وأقربهم منه-؟.

قلت: الحديث وارد فى كونه ﷺ، متبوعًا، والتنزيل فى كونه تابعًا وله الفضل تابعًا ومتبوعًا، قال الله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم﴾(٢)وقد مرَّ تفسيره.

الحديث الخامس والعشرون عن أبى هريرة رضي الله عنه:

قوله: «فطعن فى الحجاب» أى المشيمة، وهذا يدل على أن المس فى قوله ﷺ: «ما من مولود إلا يمسه الشيطان» على الحقيقة كما مرّ فى باب الوسوسة.

الحديث السادس والعشرون عن أبى موسى رضي الله عنه: قوله: «كفضل الثريد على سائر الطعام» لم يعطف عائشة رضى الله عنه على آسية لكن أبرز الكلام فى صورة جملة مستقلة تنبيها على اختصاصها بما امتازت به عن سائرهن، ونحوه فى الأسلوب قوله ﷺ: «حبب إلى من الدنيا ثلاث : الطيب والنساء، وجعلت قرة عينى فى الصلاة» .

---

(١) آل عمران: ٦٨. (١) النحل: ١٢٣.

وذكر حديث أنس: «ياخير البرية» . وحديث أبى هريرةَ: «أى الناس أكرم» وحديث ابن عمر: «الكريم بن الكريم» فى «باب المفاخرة والعصبيَّة».

الفصل الثاني

٥٧٢٥ - * عن أبى رزين. قال: قلت: يارسول الله أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان فى عماءٍ، ما تحته هواءٌ، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء».

رواه الترمذي وقال: قال يزيد بن هارون العماء: أى ليس معه شيء. [٥٧٢٥]

تو: قيل إنما مثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ولا يرون فى الشبع أغنى غناء منه.

وقيل: إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم.

وروى: «سيد الطعام اللحم».

وكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة، والسر فيه أن الثريد مع اللحم جامع بين: الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة فى المضغ وسرعة المرور في المرىء، فضرب مثلا ليؤذن بما أعطيت من: حسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأى ورصانة العقل والتحبب إلى البعل، فهى تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها، وحسبك أنها عقلت من النبى ﷺ ما لم يعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال.

ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عندهم وألذها قول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمـــانة الله الثريـــد

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى رزين رضى الله عنه: قوله: «كان فى عماء» «فا»: هو السحاب الرقيق، وقيل: السحاب الكثيف المطبق.

وقيل: شبه الدخان يركب رءوس الجبال، وعن الجرمى: الضباب.

نه: العماء بالفتح والمد السحاب، قال أبو عبيدة: لا ندرى كيف كان ذلك العماء؟ وفي

[٥٧٢٥] قال الشيخ: إسناده ضعيف، وبعضهم يحسنه.

٥٧٢٦ - * وعن العبَّاس بن عبد المطلب، زعم أنه كان جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله ﷺ جالسٌ فيهم، فمرت سحابة، فنظروا إليها، فقال رسول الله ﷺ: «ما تسمُّون هذه؟» . قالوا: السَّحاب. قال: «والمزن؟» قالوا: والمزن. قال:

رواية: «عمى» بالقصر، ومعناه ليس معه شىء، وقيل: هو كل أمر لا تدركه عقول بنى آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن.

ولا بد فى قوله: «أين كان ربنا؟» من مضاف محذوف كما حذف فى قوله تعالى: **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم﴾**(١) ونحوه، فيكون التقدير: «أين كان عرش ربنا؟» يدل عليه قوله تعالى: **﴿وكان عرشه على الماء﴾**(٢).

قال الأزهرى: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة ، أى نجرى اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل.

أقول: لم يفتقر إلى التقدير ، ولا بد لقوله: «فى عماء» بالمد، من التأويل حتى يوافق الرواية الأخرى: «عمى» مقصوراً، وأما ما ورد فى الصحاح عن عمران بن الحصين رضى الله عنه: «كان الله ولم يكن شىء وكان عرشه على الماء» وذلك أن قوله: «ما تحته هواء وما فوقه هواء» جاء تتميمًا وصونا لما يفهم من قوله: «فى عماء» من المكان فإن الغمام المتعارف محال أن يوجد بغير هواء فهو نظير قوله: «كلتا يديه يمين» على ما سبق، فالجواب من **الأسلوب الحكيم**، سئل عن المكان فأجاب عن أن لامكان، يعنى إن كان هذا مكانًا فهو فى مكان، وهو إرشاد له فى غاية اللطف.

قض: المراد به ما لا تقبله الأوهام ولا تدركه الفطن والأفهام، عبر به عن عدم المكان بما لا يدرك ولا يتوهم، وعن عدم ما يحويه ويحيط به بالهواء، فإنه يطلق ويراد به الخلاء الذى هو عبارة عن عدم الجسم ليكون أقرب إلى فهم السامع، ويدل عليه أن السؤال كان عما قبل أن يخلق خلقه، فلو كان العماء أمرًا موجودًا لكان مخلوقًا إذ ما من شىء سواه إلا وهو مخلوق خلقه وأبدعه، فلم يكن الجواب طبق السؤال.

الحديث الثانى عن العباس رضي الله عنه:

قوله: «المزن» نه: هو الغيم والسحاب واحدته مزنة، وقيل: هى السحاب الأبيض وكذا: «العنان» بالفتح السحاب والواحدة عنانة، وقيل: ما عن لك فيها، أى اعترض وبدا لك إذا رفعت رأسك.

---

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) هود: ٧.

«والعنان؟» . قالوا: والعنان. قال: «هل تدرون ما بعد ما بين السَّماء والأرض؟» قالوا. لا ندري قال: «إن بعد ما بينهما إِما واحدة وإِما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء التي فوقها كذلك» حتى عدَّ سبع سماوات. ثم« فوق السماءِ السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعالٍ، بين أظلافهن ووركهن مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم على ظهورهِن العرشُ، بين أسفله وأعلاه ما بين سماءٍ إِلى سماءٍ، ثم الله فوق ذلك» . رواه الترمذي، وأبو داود. [٥٧٢٦]

٥٧٢٧ ـ وعن جبير بن مطعم، قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ ، فقال: جُهِدَت الأنفس، وجاع العيال، ونُهِكَت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا

و: «الأوعال» هى تيوس الجبل واحدها: «وعل» بكسر العين، والمراد هاهنا ملائكة على صورة الأوعال.

و«الظلف» للبقر والغنم كالحافر للفرس والبغل.

و«الورك» ما فوق الفخذ وهى مؤنثة.

أقول: استعمل «زعم» ونسبه إلى عباس رمزًا إلى أنه لم يكن حينئذ مسلمًا ولا تلك العصابة كانوا مسلمين، يدل عليه قوله: «فى البطحاء» وأراد صلى الله عليه وسلم أن يشغلهم عن السفليات إلى العلويات، والتفكر فى ملكوت السموات والعرش، ثم يترقوا إلى معرفة خالقهم ورازقهم ويستنكفوا عن عبادة الأصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام، فأخذ فى الترقى من السحاب، ثم من السماوات، ثم من البحر ثم من الأوعال، ثم من العرش إلى ذى العرش، فالفوقية بحسب العظمة لا المكان، فإن الله فوق أن يكون العرش منزله ومستقره، بل الله خالقه وهو منزه عن المقر والمكان والله أعلم.

والمراد بـ«السبعون» فى الحديث التكثير لا التحديد، لما ورد أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، والتنكير هنا أبلغ والمقام له أدعى.

الحديث الثالث عن جبير رضى الله عنه:

قوله: «جهدت الأنفس» الجهد: بفتح الجيم المشقة، وبضمها الطاقة.

و«نهك» أى دنف وضنى، فهو منهوك، والمراد به هاهنا نقصان الأموال وتلفها.

قوله: «فإنا نستشفع بك على الله» يقال: استشفعت بفلان على فلان فتشفع لى إليه وشفعه

[٥٧٢٦] قال الشيخ: وإسناده ضعيف، علَّته عبد الله بن عميرة. قال الذهبي: فيه جهالة.

نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال النبي ﷺ: سبحان الله، سبحان الله». فما زال يسبّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبَّة عليه «وإنه ليئط أطيط الرحل بالراكب» رواه أبو داود. [٥٧٢٧]

٥٧٢٨ - * وعن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حمَلة العرشِ، أن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرةَ سبعمائة عام». رواه أبو داود. [٥٧٢٨]

أجاب شفاعته، ولما قيل: إن الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلا عنه إلى ذى سلطان منع ﷺ أن يستشفع بالله تعالى على أحد، وقوله ذلك إشارة إلى أثر هيبة أو خوف استشعر من قوله «سبحان الله» تنزيها عما نسب إلى الله تعالى من الاستشفاع به على أحد، وتكراره ذلك مرارًا.

وقوله: «لهكذا» اللام فيه ابتدائية دخلت فى خبر «إن».

و«مثل القبة» حال من المشار به، وفى «قال» معنى الإشارة، أى: أشار بأصابعه مشابهة هذه الهيئة، وهى الهيئة الحاصلة للأصابع الموضوعة على الكف مثلا حالة الإشارة.

قوله: «ليئط به» نه: يعنى أنه ليعجز عن حمله وعظمته إذا كان معلومًا أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله.

خط: هذا الكلام إذا أجرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته منفية.

قيل: إنه ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى فى النفوس، وإفهام السائل من حيث يدركه فهمه، إذ كان أعرابيًا جافيًا لا علم له بمعانى ما دق من الكلام، وقرر بهذا التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله تعالى وجلاله فى نفس السائل، وأن من يكون كذلك لا يجعل شفيعًا إلى من هو دونه.

[٥٧٢٧] انظر قال الشيخ: إسناده ضعيف، ولا يصح فى أطيط العرش حديث.

[٥٧٢٨] انظر صحيح الجامع ٨٥٤

٥٧٢٩ ـ * وعن زرارة بن أوفى أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل: «هل رأيت ربَّك؟ فانتفض جبريل وقال: يا محمد! إن بيني وبينه سبعين حجابًا من نور، لو دنوت من بعضها لاحترقت» هكذا في «المصابيح». [٥٧٢٩]

٥٧٣٠ ـ * ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس إلا أنه لم يذكر: «فانتفض جبريل». [٥٧٣٠]

٥٧٣١ ـ * وعن ابن عبَّاس، قال: رسول الله ﷺ: «إن الله خلق إسرافيل، منذ يوم خلقه صافًّا قدميه لا يرفع بصره، بينه وبين الربِّ تبارك وتعالى سبعون نورًا، ما منها من نورٍ يدنو منه إلا احترق» رواه الترمذي وصححه.

٥٧٣٢ ـ * وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم وذرِّيته، قالت الملائكة: ياربِّ! خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون، فاجعل لهم الدنيا

الحديث الرابع والخامس عن زرارة رضى الله عنه: قوله: «فانتفض» أى: ارتعد من هيبة ما سمع، قيل: فيه دليل على حقيقة رؤية الله تعالى فى دار البقاء، فإنه لو كانت مستحيلة ما سأل النبي ﷺ عنها.

الحديث السادس عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «منذ يوم خلقه» «مظ»: منذ هاهنا حرف جر وهو بمعنى في ـ انتهى كلامه ـ.

و«صافًّا» حال من إسرافيل لا من ضميره المنصوب، و«منذ يوم» ظرف لصافًا وليس بمعنى فى، المعنى أن الله خلق إسرافيل صافًّا قدميه من أول مدة خلقه.

قال الدار الحديثى: اتفقوا أن مذ ومنذ إنما يدخلان أسماء الزمان، ثم قالوا: إن أريد ابتداء الزمان الماضى الذى انتهاؤه أنت فيه يكونان للابتداء، نحو ما رأيته منذ يومين أو منذ سنة كذا، أى انتفى الرؤية من ابتداء يومين أنا فى آخرهما، وليسا بمعنى في وإن قال به بعض؛ لأن المفهوم منهما نفي الرؤية فى مدة معينة أنت في آخرها مقصودًا به ابتداؤها وانتهاؤها.

الحديث السابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «لا أجعل» يحتمل أن تكون «لا» نفى لأجعل، وأن تكون ردًا لقولهم، ثم يبتدئ بالجملة الاستفهامية إنكارًا عليهم وهو أبلغ.

[٥٧٢٩] [٥٧٣٠] لم أجده، ولم يعزه في موسوعة الأطراف إلا إلى المشكاة.

ولنا الآخرة. قال الله تعالى: لا أجعلُ من خلقته بيديَّ ونفخت فيه من روحي ؛كمن قُلْتُ له: كن فكان» رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٥٧٣٢]

الفصل الثالث

٥٧٣٣ ـ * عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ أكرمُ على الله من بعض ملائكته» رواه ابن ماجه. [٥٧٣٣]

٥٧٣٤ ـ * وعنه، قال: أخذ رسول اللهِ ﷺ بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدَّواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق وآخر ساعةٍ من النهارِ فيما بين العصر إلى الليل» رواه مسلم.

قوله: «كمن قلت له: كن» أى لا يستوى فى الكرامة من خلقته بنفسى ولا وكلت خلقه إلى أحد، «ونفخت فيه من روحى» وهو آدم وأولاده مع من يكون بمجرد الأمر بقول: كن، وهو الملك، وإضافة الروح إلى نفسه إضافة تشريف كقوله: بيت الله.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «المؤمن أكرم على الله» يراد بالمؤمن عوامهم، وببعض الملائكة عوامهم أيضًا.

قال محيى السنة فى تفسير قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم**﴾(1): الأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة، قال الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ (2) ويستدل به أهل السنة فى تفضيل الأنبياء على الملائكة.

الحديث الثانى والثالث عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «روايا الأرض» «نه»: سمى السحاب روايا البلاد، والروايا من الإبل الحوامل للماء واحدتها راوية، فشبهها بها، وبه سميت المزادة راوية، وقيل: بالعكس.

[٥٧٣٢] شعب الإيمان ١/ ١٧٢، ح:١٤٩.

[٥٧٣٣] ضعيف الجامع ٥٩١٥.

(١) الإسراء: ٧٠ . (١) البينة: ٦.

٥٧٣٥ ـ * وعنه، قال: بينما نبي الله ﷺ جالسٌ وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرونَ ما هذا؟» . قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «هذه العنان هذه روايا الأرض، يسوقها الله إلى قومٍ لا يشكرونه، ولا يدعونه». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوقكم؟» قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «فإنها الرقيع، سقف محفوظ، وموج مكفوفٌ» . ثم قال: «هل تدرونَ ما بينكم وبينها؟» قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «بينكم وبينَها خمسُمائة عام» ثم قال: «هل تدرونَ ما فوق ذلك؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ قال: «سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة». ثم قال كذلك حتى عدَّ سبع سموات «ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض». ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنَّ فوقَ ذلك العرش، وبينَه وبينَ السماء بعدُ ما بينَ السَّماءين». ثم قال: «هل تدرونَ ما الذى تحتكم؟». قالوا: الله ورسوله أعلمُ. قال: «إنها الأرض» ثم قال: «هل تدرونَ ما تحت ذلك؟». قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «إن تَحتَها أرضًا أخرى، بينَهما مسيرة خمسمائة سنة». حتى عدَّ سَبْع أرضين «بين كلِّ أرضيْن مسيرةُ خمسمائة سنة». قال «والذي نفسُ محمَّد بيده لو أنكم دلَّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله». ثم قرأ: (**هو الأوَّلُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليم**)[1] رواه أحمد، والترمذي. وقال الترمذي:

و«الرقيع» اسم لكل سماء، والجمع أرقعة، وقيل: الرقيع اسم سماء الدنيا.

و«المكفوف» الممنوع من الاسترسال، يعني أن الله تعالى حفظها أن تقع على الأرض وهى معلقة بلا عمد كالموج المكفوف.

وقوله: «دلَّيتم» أى أرسلتم، يقال: أدليت الدلو ودليتها إذا أرسلتها فى البئر.

قوله: «على علم الله وقدرته وسلطانه» أما علم الله تعالى فهو من قوله تعالى: ﴿**وهو بكل شيء عليم**﴾[1].

وأما قدرته فهو من قوله تعالى: ﴿**هو الأول والآخر**﴾[1] أى هو الأول الذي يبدىء كل شيء ويخرجه من العدم إلى الوجود، والآخر الذى يفنى كل شيء: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾[2].

وأما سلطانه فمن قوله: ﴿**والظاهر والباطن**﴾ [1] قال الأزهرى: يقال: ظهرت على فلان إذا غلبته ، وظهرت على السطح إذا علوته ـ انتهى كلامه ـ .

---

(١) الحديد: ٣ . (٢) الرحمن: ٢٦.

قراءة رسولِ الله ﷺ الآية تَدُلُّ على أنه أراد: لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم اللهِ وقدرته وسلطانهُ في كلّ مكان، وهو على العرش، كما وصَف نفسه فى كتابه. [٥٧٣٥]

٥٧٣٦ ـ * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانَ طولُ آدم ستينَ ذراعًا في سبع أذرع عرضًا». [٥٧٣٦]

٥٧٣٧ ـ * وعن أبى ذَرّ، قال: قلت: يارسولَ الله! أى الأنبياء كان أوَّل؟ قال: «آدم». قلتُ: يارسولَ الله! ونبي كان؟ قال: «نعم نبيٌّ مُكلّم». قلتُ: يارسولَ اللهِ كَم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائةَ وبضعة عشر جما غفيرا». [٥٧٣٧]

المعنى: هو الغالب الذى لا يغلب فيتصرف فى المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه.

والباطن: هو الذى لا ملجأ ولا منجى دونه.

والكاف فى «كما» منصوب على الصدر، أى هو مستو على العرش استواء مثل ما وصف نفسه به فى كتابه، وهو مستأثر بعلمه باستوائه عليه، وفى قول الترمذى إشعار إلى أنه لا بد لقوله«لهبط على الله» من هذا التأويل المذكور، ولقوله: ﴿على العرش استوى﴾[1]من تفويض علمه إليه تعالى والإمساك عن تأويله، كما سبق أن بعضًا من خلاف الظاهر يحتاج إلى التأويل ومنها ما لا يجوز الخوض فيه.

الحديث الرابع والخامس عن أبى ذر رضي الله عنه: قوله: «ونبى كان» لا بد فيه من تقدير همزة الاستفهام للتقرير لما قال أولا: «أى الأنبياء؟» وأجيب بقوله: «آدم» أى: أو هو نبى كان؟.

ذكر«نبى» بعد قوله: «نعم» لينيط به «مكلم» أى لم يكن نبيًا فقط بل كان نبيًا مكلما أنزل عليه الصحف.

الكشاف فى قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى﴾ (٢) هذا دليل بيِّن على تغاير الرسول والنبي، والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله.

[٥٧٣٥] ضعيف الجامع ٦١٠٧.

[٥٧٣٦]مسند أحمد ٢:٥٣٥.

[٥٧٣٧] جزء من حديث فى مسند أحمد ٥/ ١٧٨.

(١) طه: ٥. (٢) الحج: ٥٢.

وفي رواية عن أبي أمامة، قال أبو ذرّ: قلت: يارسول الله كم وفاءُ عدّة الأنبياء؟ قال: «مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرُّسلُ منَ ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا».

٥٧٣٨ - * وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ليسَ الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنَعَ قومُه في العجل، فلم يُلق الألواحَ، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت» روى الأحاديث الثلاثة أحمد [٥٧٣٨].

[كتاب الفضائل والشمائل]

(١) باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

الفصل الأول

٥٧٣٩ - * عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ من خيرِ قرونِ بني

وقوله: «كم وفاء؟» أى: وكم كمال عددهم؟.

نه: يقال: وفى الشىء وفاء إذا تم وكمل.

قوله: «جمًا غفيرًا» نه: أى مجتمعين كثيرين وأصل الكلمة من الجموم والجمة، وهو الاجتماع والكثرة.

والغفير: من الغفرة وهو التغطية والستر، جعلت الكلمتان فى موضع الشمول والإحاطة، ولم تقل العرب «الجماء» إلا موصوفة وهى منصوبة على المصدر كطرًا وقاطبة فإنها أسماء وضعت موضع المصدر.

الحديث السادس عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «إن الله تعالى أخبر» استشهاد وتقرير لمعنى قوله: «ليس الخبر كالمعاينة» فإنه تعالى لما قال: **﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى﴾**(١) عند نزول ألواح التوراة عليه لم يلق الألواح ، **﴿ما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾**.

كتاب الفضائل والشمائل

باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: ؛قوله: «قرنا فقرنًا» حس: القرن كل طبقة

[٥٧٣٨] مسند أحمد ١/ ٢٧١، قال الشيخ الألبانى: وهى صحيحة.

(١) طه: ٥٨.   (٢) الأعراف: ١٥٠.

آدمَ قرنًا فقرنًا، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه». رواه البخاري.

مقترنين فى وقت، سمى قرنًا لأنه يقرن أمة بأمة وعالما بعالم، وهو مصدر قرنت، أى وصلت، وجعل اسمًا للوقت أو لأهله.

وقيل: القرن ثمانون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: مائة.

قوله: «حتى كنت» غاية قوله: «بعثت» والمراد بالبعث تقلبه فى أصلاب الآباء أبًا فأبًا قرنًا فقرنًا حتى ظهر فى القرن الذى وجد فيه، يعنى انتقلت أولا من صلب ولد إسماعيل ، ثم من كنانة ، ثم من قريش، ثم من بنى هاشم، فالفاء فى قوله: «قرنًا فقرنًا» للترتيب على سبيل الترقى من الآباء الأبعد إلى الأقرب فالأقرب، كما في قولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل، نحو: ﴿فالزاجرات زجرًا فالتاليات ذكرًا﴾ [1] وعلى أن الطوائف الصافات ذوات فضل، والزاجرات أفضل والتاليات ، وفى معناه أنشد ابن الرومى:

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علا برسول الله عدنان

وفى قولنا: «حتى ظهر فى القرن الذى وجد» نسخته مما روى الإمام ابن الجوزى فى كتابه الوفاء عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمدًا ﷺ أمر جبريل عليه السلام فأتاه بالقبضة البيضاء التي هى موضع قبر رسول الله ﷺ، فعجنت بماء التسنيم، فغمست فى أنهار الجنة، وطيف بها فى السموات، فعرفت الملائكة محمدًا ﷺ وفضله قبل أن يعرف آدم، ثم كان نور محمد يرى فى غرة جبهة آدم، وقيل له: يا آدم هذا سيد ولدك من المرسلين، فلما حملت حواء بشيث انتقل النور من آدم إلى حواء، وكانت تلد فى كل بطن ولدين إلا شيثا فإنها ولدته وحده كرامة لمحمد ﷺ، ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم.

وروى أيضًا أنه مر عبد الله بن عبد المطلب بامرأة من خثعم يقال لها: (فاطمة بنت مر) وكانت من أجمل الناس وأعفهم، وكانت قرأت الكتب، فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت: هل لك أن تقع على وأعطيك، مائة من الإبل؟ فقال:

أما الحرام فالممات دونه ... وأما الحل فلا حل

ثم مضى إلى امرأته بنت وهب وكان معها، ثم ذكر الخثعمية وما عرضت عليه فأقبل إليها، فلم ير منها الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولا، فقال لها: هل لك فيما قلت لى؟ فقالت: قد كان ذلك مرة فاليوم لا. فذهب ميلا، وقالت: أى شىء صنعت بعدى؟ قال: وقعت على زوجتى آمنة، فقالت: والله لست بصاحبة ريبة ولكنى رأيت نور النبوة فى وجهك فأردت أن يكون ذلك فى ، فأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله.

---

(١) الصافات: ١، ٢.

٥٧٤٠ ـ * وعن واثلة بن الأسقع، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بني هاشم» رواه مسلم.

وفي رواية للترمذي: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة». [٥٧٤٠]

٥٧٤١ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيّدُ ولدِ آدمَ يوم القيامةِ وأوّلُ مَنْ ينشقُّ عنه القَبرُ، وأوّلُ شافعٍ، وأوّلُ مُشفَّعٍ» رواه مسلم.

وفى رواية: لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه مرّ به على كاهنة يقال لها: (فاطمة بنت مر) وقد قرأت الكتب فرأت فى وجهه نورًا، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع علىّ وأعطيك.. إلى آخره.

الحديث الثانى عن واثلة رضي الله عنه: قوله: «واصطفانى من بنى هاشم» حس: هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان، وقريش هم أولاد النضر بن كنانة كانوا يتفرقون فى البلاد فجمعهم قصى بن كلاب فى مكة، فسموا قريشًا لأنه قرشهم أى جمعهم ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يسمون قريشًا لأنهم لم يقرشوا.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «أنا سيد ولد آدم» مح: قال الهروى : السيد هو الذى يفوق قومه فى الخير، وقال غيره: هو الذى يفزع إليه فى النوائب والشدائد، فيقوم بأمورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويرفعها عنهم ، والتقييد بيوم القيامة مع أنه ﷺ سيدهم فى الدنيا والآخرة معناه أنه: يظهر يوم القيامة سؤدده* بلا منازع ولا معاند بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهو قريب من معنى قوله تعالى: **﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾**(١) مع أن الملك له قبل ذلك، لكن كان فى الدنيا من يدعى الملك أو من يضاف إليه مجازًا فانقطع كل ذلك فى الآخرة.

وفي الحديث دليل على فضيلته صلى الله عليه وسلم على كل الخلق، لأن مذهب أهل

[٥٧٤٠] وانظر صحيح الترمذي (٢٨٥٥). وصحيح الجامع ١٧١٧ بنحوه.

(١) غافر: ١٦.

* أى شرفه صلى الله عليه وسلم.

٥٧٤٢ ـ * وعن أنس ،قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أكثرُ الأنبياءِ تبعًا يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يقْرَعُ بابَ الجنة» رواه مسلم».

٥٧٤٣ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتى بابَ الجنَّة يومَ القيامة، فأسْتفتحُ، فيقولُ الخازن: من أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ فيقولُ: بكَ أُمرتُ أنْ لا افتحَ لأحد قبلَكَ». رواه مسلم.

٥٧٤٤ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أوَّلُ شفيعٍ في الجنَّة لم يصدَّقْ نبيٌّ من الأنبياءِ ما صُدِّقتُ، وإنَّ منَ الأنبياء نبيًّا ما صدَّقه من أُمَّته إلا رجلٌ واحدٌ» رواه مسلم.

السنة أن الآدمى أفضل من الملائكة، وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين بهذا الحديث وغيره، وأما الحديث الآخر: «لا تفضلوا بين الأنبياء» فجوابه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

والثانى: قاله أدبًا وتواضعًا.

والثالث: أن المنهى إنما هو عن تفضيل يؤدى إلى تنقيص المفضول.

والرابع: إنمانهى عن تفضيل يؤدى إلى الخصومة والفتنة.

والخامس : أن النهى مختص بالتفضيل فى نفس النبوة ولا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، ولابد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾(١).

الحديث الرابع والخامس عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «بك أمرت» بك متعلق بأمرت، والباء للسببية قدمت للتخصيص ، والمعنى: بسببك أمرت أن لا أفتح لغيرك لا بشىء آخر، ويجوز أن يكون صلة للفعل و«أن لا أفتح» بدلا من الضمير المجرور ، أى أمرت بأن لا أفتح لأحد غيرك.

الحديث السادس عن أنس رضي الله عنه.

قوله: «أنا أول شفيع فى الجنة» مظ: أى أناشافع للعصاة من أمتى فى دخول الجنة.

وقيل: أنا أول شافع فى الجنة لرفع درجات الناس فيها.

و«ما» فى «ما صدقت» مصدرية، وهذا كناية عن أنه ﷺ أكثر الأنبياء أمة.

---

(١) البقرة: ٢٣٥

٥٧٤٥ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ ﷺ: «مثلي ومثلُ الأنبياءِ كمثلِ قصرٍ أُحسِنَ بُنيانُه تُرِكَ منه موضعُ لبِنَة، فطافَ به النظَّارُ، يتعجَّبونَ من حسنِ بنيانه، إلا موضعَ تلكَ اللبِنة، فكنتُ أنا سَدَدتُ موضعَ اللبِنة،خُتم بيَ البُنيانُ وخُتمَ بي الرسلُ». وفي رواية: «فأنا اللبِنةُ، وأنا خاتَمُ النَّبيين». متفق عليه.

٥٧٤٦ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من الأنبياءِ من نبي إلا قد أُعطي منَ الآياتِ ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ، وإنما كانَ الذي أوتيتُ وحيًا أوحى اللهُ إليّ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ» متفق عليه.

الحديث السابع عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «مثلى ومثل الأنبياء» هذا من التشبيه التمثيلى، شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه،ولكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة، فبعث نبينا لسد ذلك الخلل مع مشاركته إياهم في تأسيس القواعد ورفع البنيان، هذا على أن يكون الاستثناء منقطعًا، ويجوز أن يكون متصلا من حيث المعنى إذ حاصل الكلام: تعجبهم المواضع إلا موضع تلك اللبنة، وليس ذلك المصلح إلا ما اختص به من معنى المحبة، وحق الحقيقة الذى يعتنيه أهل العرفان.

وقوله: «أنا سددت موضع اللبنة»يحتمل وجهين: أن يكون الساد بلبنة ذلك الموضع، وأن يسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة، ويؤيد هذا الرواية الأخرى من قوله: «فأنا اللبنة».

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «ما من الأنبياء من نبى» من فيه بيانية، ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفى، و«ما» فى «ما مثله» موصولة وقعت مفعولا ثانيًا لأعطى، و«مثله» مبتدأ، و«آمن» خبره، والجملة صلة الموصول، والراجع إلى الموصول ضمير المجرور فى عليه وهو حال، أى مغلوبًا عليه فى التحدى والمباراة، والمراد بالآيات المعجزات، وموقع المثل هنا موقعه فى قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾(١) أى مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم، يعنى: ليس نبى من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشيء الذى من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشاهد إلى الإيمان به، وتحريره أن كل نبى اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعبانًا فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام، وإخراج اليد البيضاء، لأن الغلبة فى زمنه للسحر فآتاهم بما هو فوق السحر واضطر إلى الإيمان، وفي زمن

---

(١) البقرة: ٢٣

٥٧٤٧ ـ * وعن جابر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهر، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجدًا وطَهورًا فأيُّما رجل من أُمَّتي أدركته الصَّلاةُ فليُصلِّ، وأُحلت لي المغانمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأعطيتُ الشَّفاعة، وكانَ النبي يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً» متفق عليه.

٥٧٤٨ ـ * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياءِ بست:

عيسى عليه الصلاة والسلام الطب فآتاهم بما هو أعلى من الطب وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وفى زمانه ﷺ البلاغة والفصاحة فجاء بالقرآن وأبطل الكل.

قوله: «وإنما كان الذى أوتيته وحيًا» قض: أى معظم الذى أوتيت وأفيده، إذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتيه غيره.

والمراد بالوحى: القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم والمعنى، وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوة والحجة، ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحى المشاهدون، والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء، ولذلك رتب عليه قوله: «فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة».

الحديث التاسع عن جابر رضي الله عنه: قوله: «نصرت بالرعب» نه: الرعب الفزع والخوف، وقد أوقع الله تعالى فى قلوب أعداء النبي ﷺ الخوف منه، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه.

قوله: «وجعلت لى الأرض مسجدًا» حس: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا فى بيعهم وكنائسهم، وأباح الله عز وجل لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خص من جميع المواضع: الحمام والمقبرة والمكان النجس.

وقوله: «طهورًا» أراد به التيمم بالتراب.

قوله: «وأعطيت الشفاعة» أى المقام المحمود الذى يغبطه عليه الأولون والآخرون.

والتعريف فى «النبي» لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع، **لما تقرر فى علم المعانى أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع**، لأن الجنسية في المفرد قائمة فى وحدانيته فلا يخرج منه شيء ، وفى الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد أو اثنان على الخلاف في أقل الجمع اثنان أو ثلاثة.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «فضلت على الأنبياء بست» تو: وفى

أُعطيتُ جوامعَ الكلم، ونصِرتُ بالرُّعب، وأُحلَّت لي الغنائمُ، وجُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطَهورًا، وأرسلتُ إلى الخلقِ كافةً، وخُتمَ بي النَّبيونَ» رواه مسلم.

٥٧٤٩ ـ * وعنه، أنَ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعثتُ بجوامعِ الكلِمِ، ونصِرتُ بالرعبِ، وبينَا أنا نائمٌ رأيتُني أوتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضعت فى يدي» متفق عليه.

٥٧٥٠ ـ * وعن ثوبانَ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ زَوَى ليَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ ملكها مازوى لى منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربِّي لأمَّتي أن لا يُهلكَها بسنة عامَّةٍ، وأن لا يُسلطَ

حديث جابر بخمس ، وليس هذا باختلاف تضاد، وإنما هو اختلاف زمان، يقع فيه حديث الخمس متقدمًا وذلك أنه أعطيها فحدث به، ثم زيد له السادسة فأخبر عن ست.

قوله: «أعطيت جوامع الكلم» حس: قيل: هى القرآن جمع الله سبحانه وتعالى بلطفه معانى كثيرة فى ألفاظ يسيرة، وقيل: إيجاز الكلام فى إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيرا من المعانى وأنواعًا من الكلام.

وقوله: «إلى الخلق كافة» كافة يجوز أن يكون مصدرًا، أى أرسلت إرسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو أن تكون حالا إما من الفاعل، والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة، وإما من المجرور أى مجموعين قيل: هذا الحديث وإن دل بمنطوقه على أنه ﷺ مخصوص من عند الله بالفضائل الست، لكن لايدل بمفهومه على حصر فضائله فيها، فإن له فضائل غير منحصرة.

وقوله: «وختم بى النبيون» أى أغلق باب الوحى وقطع طريق الرسالة وسد، وأخبر باستغناء الناس عن الرسل وإظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين، كما قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لك دينكم﴾[1] أما باب الإلهام فلا ينسد ، وهو مدد يعين النفوس الكاملة فلا ينقطع لدوامُ الضرورة وحاجتها إلى تأكيد وتجديد وتذكير، وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا إلى التذكير والتنبيه لاستغراقهم فى الوساوس وانهماكهم فى الشهوات، فالله تعالى أغلق بابِ الوحى بحكمته وفتح باب الإلهام برحمته لطفًا منه بعباده.

الحديث الحادى عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «بمفاتيح خزائن الأرض» نه: أراد ما سهل الله تعالى له ولأمته من افتتاح البلاد المتعددات، واستخراج الكنوز المتنوعات.

---

(١) المائدة: ٣.

عليهم عدُوًّا من سِوَى أنفسهم فيستبيح بيضتَهم، وإن ربِّي قال: يا محمَّدُ! إِذا قضَيتُ قضاءً فإنَّه لا يُرد، وإني أعطيتُكَ لأمَّتكَ أن لا أهلكَهم بسنة عامَّة، وأن لا أُسلطَ عليهم عدُوًّا سِوى أنفسهم فيستبيح بيضتَهم، ولو اجتمَع عليهم من بأقطارِها حتى يكونَ بعضُهم يُهلكُ بعضًا ويَسبي بعضُهم بعضًا». رواه مسلم.

الحديث الثانى عشر عن ثوبان رضي الله عنه: قوله«زوى لى الأرض» تو: زويت الشيء جمعته وقبضته، يريد به تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها.

خط: توهم بعض الناس أن« من» فى «منها» للتبعيض وليس ذلك كما توهمه بل هى للتفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة، ومعناه أن الأرض زويت لى جملتها مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها، ثم هى تفتح لأمتى جزء فجزء حتى يصل ملك أمتى إلى كل أجزائها.

تو: يريد بالأحمر والأبيض خزائن كسرى وقيصر، وذلك لأن الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم،.

قوله: «بسنة عامة» السنة: القحط والجدب وهى من الأسماء الغالبة.

وقوله: «من سوى أنفسهم» صفة «عدوا»، أى كائنا من سوى أنفسهم، وإنما قيده بذلك القيد لما سأل أولا ذلك فمنع، على ما يأتى فى الحديث الآتى.

وقوله: «فيستبيح بيضتهم» أى مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم وبيضة الدار وسطها ومعظمها، أراد عدوًّا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم.

وقيل: أراد إذا هلك أصل البيضة كان هلاك كلها من طعم أو فرخ وإذا لم يهلك أصل البيضة ربما سلم بعض أفراخها.

والنفى منصب على السبب والمسبب معًا، فيفهم منه أنه قد يسلط عليهم عدو لكن لا يستأصل شأفتهم.

قوله: «أعطيتك لأمتك» اللام فيه هى التي في قوله سابقًا: «سألت ربي لأمتى» أى أعطيت سؤالك لدعائك لأمتك، والكاف هو المفعول الأول.

قوله: «أن لا أهلكهم» هو المفعول الثانى كما هو فى قوله: «سألت ربى أن لا يهلكها» هو المفعول الثانى.

وجواب : «لو» ما يدل عليه قوله: «وأن لا أسلط».

و«حتى» بمعنى كي، أى لكى يكون بعض أمتك يهلك بعضًا.

فقوله: «إنى إذا قضيت قضاءً فلا يرد» توطئة لهذا المعنى، ويدل عليه حديث خباب بن الأرت قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى سألت ربى ثلاثًا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة، سألته أن

٥٧٥١ ـ * وعن سعد، أن رسول الله ﷺ مَرَّ بمسجدِ بَني معاويةَ ، دخلَ فركعَ فيه ركعتَين وصلَّينا معَه، ودَعا ربَّه طويلا، ثمَّ انصرفَ فقال: «سألتُ ربِّي ثلاثًا، فأعطاني ثنتَينِ ، ومنعَني واحدةً، سألتُ ربى أن لا يُهلكَ أُمَّتي بالسنة، فأعطانيها ، وسألته أنْ لا يُهلِكَ أمَّتي بالغرَقِ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعلَ بأسَهم بينهم فمنعنيها». رواه مسلم.

٥٧٥٢ ـ * وعن عطاءِ بن يسار، قال: لقيتُ عبد الله بنَ عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التوراةِ، قال: أجل، والله إنَّه لموصوفٌ ببعض

لا يهلك أمتى بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها».

«مظ»: اعلم أن لله تعالى في خلقه قضائين ، مبرمًا ومعلقًا، أما القضاء المعلق فهو عبارة عما قدره فى الأزل معلقًا بفعل، كما قال: إن فعل الشيء الفلانى كان كذا وكذا، وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا فهو من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات، كما قال الله تعالى فى محكم خطابه: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ (1).

أما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه فى الأزل من غير أن يعلقه بفعل ، فهو فى الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف على المقضى عليه ولا المقضى له، لأنه من علمه بما كان ومايكون وخلاف معلومه مستحيل قطعًا،وهذا مما لا يتطرق إليه المحو والإثبات، قال الله تعالى: ﴿**لا معقب لحكمه**﴾(2) فقول النبي ﷺ: «إذا قضيت قضاء فلا يرد» من القبيل الثانى، ولذلك لم يجب إليه.

وفيه: أن الأنبياء مستجابو الدعوة إلا فى مثل هذا.

الحديث الثالث عشر عن سعد رضى الله عنه: قوله: «أمتى بالغرق» يراد به والله أعلم الغرق العام كما فعل تعالى بقوم نوح وقوم فرعون.

والضمير في «أعطانيها» عائد إلى المسألة.

الحديث الرابع عشر عن عطاء رضى الله عنه: قوله: «أجل» هو حرف يصدق به الخبر خاصة تقول لمن قال: «قام زيد» : أجل. وجوز بعضهم وقوعه بعد الاستفهام،وفى الحديث جاء جوابا للأمر على تأويل : قرأت التوراة هل وجدت صفة الرسول ﷺ فيها؟ فأخبرني قال: أجل.

قوله: «إنا أرسلناك شاهدًا» حال مقدرة من الكاف ، أو من الفاعل، أى مقدرًا أو مقدرين شهادتك على من بعثت إليهم، وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم، كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم.

---

(1) الرعد: ٣٩ (2) الرعد: ٤١

صفته في القرآن: ﴿يأيها النبي إنا أرسلناكَ شاهداً ومبُشِّرًا ونذيرًا﴾[1] وحرزًا للأميينَ، أنتَ عبدي ورسولي، سميَّتُكَ المتوكلَ، ليسَ بفظّ ولا غليظ ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفعُ بالسَّيِّئةَ السيئة؛ ولكن يَعفوويغفرُ،ولن يقبضَه اللهُ حتى يُقيمَ به الملَّةَ العَوجاءَ بأن يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ ، ويفتَح بها أعينًا عميًا وآذانًا صماً وقُلوبًا غُلفًا. رواه البخاري. [٥٧٥٢]

قوله: «حرزًا للأميين» قض: أى حصنًا وموئلا للعرب يتحصنون به من غوائل الشيطان، أو عن سطوة العجم وتغلبهم،وإنما سموا أميين لأن أغلبهم لا يقرءون ولا يكتبون.

«ليس بفظ» يحتمل أن يكون آية أخرى فى التوراة لبيان صفته،وأن يكون هو حالا إما من«المتوكل» وإما من الكاف فى «سميتك» ، فعلى هذا فيه التفات.

وكذا في قوله: «لن يقبضه حتى يقيم» بالياء المثناة من تحت على رواية المشكاة ويعضده ما فى شرح السنة: «لن يقبضه الله».

قال الكلبى: «فظا» فى القول، «غليظ القلب»فى الفعل.

قوله: «ولا سخاب فى الأسواق» أى هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس لسوء خلقه،ولا يكثر الصياح عليهم فى السوق لدناءته، بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم.

قوله: «الملة العوجاء» قض: يريد به ملة إبراهيم، فإنها قد اعوجت فى أيام الفترة، فزيدت ونقصت وغيرت وبدلت، وما زالت كذلك حتى قام الرسول ﷺ فأقامها.

قوله: «بأن يقولوا» متعلق بقوله: «يقيم» فإن قلت: قوله: «إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن» يقتضى أن تكون المذكورات كلها مثبتة فى القرآن؟.

قلت: أجل ، أما قوله: ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك﴾ [1] ففي الأحزاب.

وقوله: «حرزًا للأميين» ففي قوله : ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب﴾[2].

وقوله: «وسميتك المتوكل..» إلى قوله: «ولكن يعفو ويغفر» فى قوله: ﴿ولو كنت فظًّا غليظ القلب...﴾ إلى قوله: ﴿... إن الله يحب المتوكلين﴾[3].

قوله: «ولا سخاب فى الأسواق» فى قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾[4] أى دم على التسبيح والتحميد، واجعل نفسك من الذين لهم مساهمة ونصيب

[٥٧٥٢] رواه البخارى فى كتاب البيوع (٢١٢٥)،(٤/ ٣٤٢ - ٣٤٣)

(١) الأحزاب: ٤٥. (٢) الجمعة: ٢ (٣) آل عمران: ١٥٩. (٤) الحجر: ٩٨.

٥٧٥٣ ـ * وكذا الدارمي، عن عطاءٍ، عن ابنِ سلامٍ نحوَه.

وذكر حديث أبي هريرةَ: «نحنُ الآخرونَ» في «باب الجمعة».[٥٧٥٣]

وافر في السجود، فلا تخل بها ولا تشتغل بغيرها، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ما أوحى إلى أن أكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن أكون من الساجدين» قوله: «ولا سخاب في الأسواق» من باب قوله تعالى: ﴿ولا شفيع يطاع﴾[1] إذ هو يحتمل أن يراد به نفي سخاب وحده ونفيهما معًا، وهو المراد هنا.

وقوله: «ولا يدفع السيئة بالسيئة» في قوله تعالى: ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾[2].

وقوله: «حتى يقيم به الملة العوجاء» في قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد﴾ [3] أي ما يوحى إلى إلا أن أقيم التوحيد وأنفي الشرك.

قلت: كيف الجمع بين قوله: «ويفتح به أعينًا عميًا» وبين قوله تعالى: ﴿وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم﴾[4]؟.

قلت: **دل على إيلاء الفاعل المعنوى حرف النفى على أن الكلام فى الفاعل**، وذلك أن الله تعالى نزل حرصه على إيمان القوم بمنزلة من يدعى استقلالا بالهداية ، فقال له : أنت لست بمستقل فيها بل إنك لتهدى إلى صراط مستقيم بإذن الله تعالى وتيسيره، وعلى هذا «يفتح» معطوف على قوله: «يقيم الله بواسطته الملة العوجاء ، بأن يقولوا «لا إله إلا الله» ويفتح بواسطة هذه الكلمة أعينًا عميًا، هذا على رواية البخارى والدارمى وكتاب الحميدى وجامع الأصول، وأما في المصابيح: «يفتح بها أعين عمى» على بناء المفعول، والأول أصح رواية ودراية.

فإن قلت: هل لليهود أن يتمسكوا بقوله: «حرزا للأميين» على ما زعموا أنه مبعوث إلى العرب خاصة؟.

قلت: لا، لقوله: «حتى يقيم به الملة العوجاء» لأنهم حرفوا وبدلوا وغيروا، فأرسل ليقيم عوجهم وأودهم، وهل أحد أقوم وأولى منه بإقامة عوجهم والله أعلم.

[٥٧٥٣] سنن الدارمى (١/ ١٦، ح:٦). ورواه أحمد ٢/ ١٧٤ ، ٤٤٨، ٦/ ٢٣٦ نحوه، وقد رواه أيضًا يعقوب بن سفيان فى تاريخه والطبرانى وابن سعد كما فى الفتح ٤/ ٣٤٣، وكذا الطبرانى عن ابن سمعود كما فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٧، وقال: «وفيه من لم أعرفهم» أ. هـ.

(١) غافر: ١٨. (٢) فصلت : ٣٤.

(٣) الكهف: ١١٠ (٤) النمل: ٨١

الفصل الثانى

٥٧٥٤ - * عن خبَّاب بنِ الأرت، قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةً، فأطالَها. قالوا: يارسولَ الله! صلَّيتَ صلاةً لم تكن تُصلِّيها قال: «أجَل، إنها صلاةُ رغبة ورهبة، وإنى سألتُ اللهَ فيها ثلاثًا، فأعطانى اثنتَين ومنعنى واحدةً، سألتُه أن لا يهلكَ أمَّتي بسنة فأعطانيها، وسألتُه أن لا يسلِّطَ عليهم عدُوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألتُه أنْ لا يُذيقَ بعضهم بأسَ بعض فمنَعنيها». رواه الترمذي ، والنسائي.[٥٧٥٤]

٥٧٥٥ - * وعن أبى مالك الأشعرىِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ:«إنَّ اللهَ عز وجلَّ أجاركم من ثلاثِ خلال:أن لا يدعوَ عليكم نبيكم فتهلكوا جميعًا، وأن لايظهرَ أهلُ الباطلِ على أهلِ الحق،وأن لا تجتمعوا على ضلالة». رواه أبو داود.[٥٧٥٥]

الفصل الثاني

الحديث الأول عن خباب رضى الله عنه:

قوله:«وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض» هو من قوله تعالى:﴿**أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ (١) المعنى: يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم متابعة لإمام، وينشب القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا فى ملاحم القتال، يضرب بعضكم رقاب بعض.

الحديث الثانى عن أبى مالك رضي الله عنه:

قوله:«وأن لا يظهر أهل الباطل» تو: يريد أن الباطل وإن كثر أنصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفئ نوره، ولم يكن ذلك بحمد الله مما ابتلينا به من الأمرالفادح والمحنة العظمى بتسليط الأعداء علينا مع استمرار الباطل، فالحق أبلج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها.

أقول: وحرف النفى فى القرائن زائد، مثله فى قوله تعالى: ﴿**ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾(٢) وفائدته توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه، وذلك أن الإجارة تثبت إذا كانت الخلال مثبتة لا منفية.

[٥٧٥٤] صحيح الترمذى ١٧٦٧.

[٥٧٥٥] سنن أبى داود ٢٤٣٢.

(١) الأنعام: ٦٥. (٢) الأعراف: ١٢.

٥٧٥٦ ـ * وعن عوفِ بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لن يجمع اللهُ على هذِه الأمّةِ سَيفَينِ: سَيفًا منها وسيفا منْ عدُوِّها، رواه أبو داود. [٥٧٥٦]

٥٧٥٧ - * وعن العبَّاسِ، أنَّه جاءَ إلى النبى ﷺ فكأنَّه سمعَ شيئًا ، فقامَ النبى ﷺ على المنبرِ، فقال: «مَن أنا؟» فقالوا: أنتَ رسولُ الله. فقال: «أنا محمَّدُ بنُ عبدِالله بنِ عبدالمطلبِ، إنَّ اللهَ خلقَ الخلق فجعلَنى فى خيرِهم، ثمَّ جعلهم فرقتَينِ،

الحديث الثالث عن عوف رضى الله عنه: قوله: «سيفين سيفًا منها وسيفًا من عدوها» قض: معناه أن سيوفهم وسيوف أعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤديان إلى استئصالهم، بل إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط الله عليهم العدو فيشغلهم به عن أنفسهم ويكف عنهم بأسهم ـ وهو قول الشيخ التوربشتي ـ .

أقول: والظاهر أن يقال: إنه تعالى وعدنى أن لا يجتمع على أمتى محاربتين: محاربة بعضهم بعضا ومحاربة الكفار معهم، بل يكون أحدهما، فإذا كانت إحداهما لا تكون الأخرى، لأنه موافق للأحاديث السابقة، لأنه ﷺ سأل ربه أن لا يسلط عليهم عدوًّا من غيرهم ليستأصلهم، وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فأجاب الأول ومنع الثانى ولم يجمع بين المنعين.

الحديث الرابع عن العباس رضى الله عنه: قوله: «فكأنه سمع» مسبب عن محذوف، أى جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعنا من الكفار فى رسول الله ﷺ، نحو قوله تعالى: **﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾**(١) كأنهم حقروا شأنه وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو عظيم من إحدى القريتين: كالوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفى مثلا، فأمرهم ﷺ على سبيل **التبكيت** على ما يلزم تعظيمه **وتفخيمه** ، وأنه أولى بهذا الأمر من غيره لأن نسبه أعرق وأرومته أعلى وأشرف، ومن ثم لما قالوا «أنت رسول الله» ردهم بقوله: «أنا محمد بن عبد الله» ويعضد هذا التأويل ما روى البخاري عن أبى سفيان أنه حين سأله هرقل عظيم الروم عن نسبه ﷺ فقال: «هو فينا ذو نسب» فقال هرقل: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها» ألا ترى أنه جعل النسب ظرفًا لتبعث وأتى بفي، أى عريق فى النسب.

قوله: «ثم جعلهم قبائل» بعد قوله: «ثم جعلهم فرقتين» إشارة إلى بيان الطبقات الست التى عليها العرب وهى : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة.

[٥٧٥٦] صحيح الجامع ٥٢٢١

(١) الزخرف : ٣١.

فى خير فرقة، ثمَّ جعلهم قبائلَ فجعلنى فى خيرهم قبيلةً، ثم جعلهم بيوتًا فجعلَنى فى خيرِهم بيتًا، فأنا خيرُهم نفسًا وخيرُهم بيتًا». رواه الترمذى. [٥٧٥٧]

٥٧٥٨ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قالوا: يارسولَ الله ! متى وجبَت لكَ النبوةُ؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ». رواه الترمذى. [٥٧٥٨]

٥٧٥٩ - * وعن العِرباض بن ساريةَ، عن رسولِ الله ﷺ، أنَّه قال: «إنى عندَالله مكتوبٌ. خاتمُ النَّبيينَ، وإنَّ آدمَ لمنجدِلٌ فى طينتِه، وسأخبرُكم بأولِ أمرى، دعوةُ

فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل ، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة.

وسميت الشعوب لأن القبائل تنشعب منها.

فقوله : «خلق الخلق» أى الملائكة والثقلين.

«فجعلنى فى خيرهم» أى فى الإنس.

«ثم جعلهم فرقتين» العرب والعجم.

«فجعلنى فى خيرهم» أى فى العرب. وهلم جرا.

فأنا بفضل الله ولطفه على ما فى سابقة الأزل: خير الخلق نفسًا، حيث خلقنى إنسانًا، رسولا، خاتمًا للرسل، تمم دائرة الرسالة بى، وجعلنى نقطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولى، ويحتاجون إلى، وخيرهم بطنًا، حيث نقلنى من طيب إلى طيب، إلى أن نقلنى من صلب عبدالله بالنكاح من أشرف القبائل والبطون، فأنا أفضل خلق الله عليه وأكرمهم لديه.

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وآدم بين الروح والجسد» جوابًا لقولهم: «متى وجبت؟» أى وجبت فى هذه الحالة، فعامل الحال وصاحبها محذوفان.

الحديث السادس عن العرباض بن سارية رضى الله عنه: قوله: «وإن آدم لمنجدل» فا: انجدل مطاوع جدله إذا ألقاه على الأرض، وأصله الإبقاء على الجادلة- وهى الأرض الصُّلبة - وهذا على سبيل إنابة فعل مناب فعل.

و«الطينة» الخلقة من قولهم: طانه الله على طينتك.

[٥٧٥٧] ضعيف الجامع بنحوه ١٤١٧.

[٥٧٥٨] صحيح الترمذى ٢٨٥٦.

إبراهيمَ، وبشارةُ عيسى، ورُؤيا أُمي التى رأت حينَ وضعتنى وقد خرجَ لها نور أضاءَ لها منه قصورَ الشام». رواه فى «شرح السنَّة».[٥٧٥٩]

والجار الذى هو «فى» ليس بمتعلق «بمنجدل» وإنما هو خبر ثانٍ، لأن الواو وما بعدها فى محل النصب على الحال من المكتوب ، والمعنى: كتبت خاتم الأنبياء فى الحال الذى آدم عليه الصلاة والسلام مطروح على الأرض، حاصل فى أثناء الخلقة لما يفرغ من تصويره وإجراء الروح فيه.

أقول: قوله: على سبيل إنابة فعل مناب فعل لايجوز إجراء «منجدل» على أن يكون مطاوعًا لجدل، لما يلزم منه أن يكون آدم منفعلا من الأرض الصُّلبة، بل هو ملقًى عليها، ولايجوز أن يكون فى متعلقًا بمنجدل، لما يلزم منه أن يكون المنجدل مظروفًا فى طينته، وإنما هو ظرف له وهو حاصل فيه.

وفيه أن الغايات والكمالات سابقة فى التقدم لاحقة فى الوجود.

قوله: «بأول أمرى» قيل: أى بأول ما ظهر من نبوتى ومبعثى فى الدنيا على لسان أبى الملة الحنيفية إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «دعوة إبراهيم» أى هو دعا ربه حين بنى الكعبة فقال: ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**﴾(١) فاستجاب الله دعاءه فيه.

«وبشارة عيسى»: أراد قوله تعالى: ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**﴾ (٢).

قوله: «ورؤيا أمى» يحتمل أن يراد منه الرؤية فى المنام وفى اليقظة:

فعلى الأول: معنى «وضعتنى» أى شارفت وقربت من الوضع، وذلك لما روى ابن الجوزى فى كتاب الوفاء أن أمه ﷺ رأت حين دنت ولادتها أن أتاها آت فقال لها: قولى: أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد. بعد أن رأت حين حملت به أن آتيا أتاها وقال: هل شعرت أنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها؟.

وعلى الثانى: يكون المرئى محذوفًا وهو ما دل عليه قوله: «وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام».

[٥٧٥٩] انظر شرح السنة (١٣/٢٠٧).

(١) البقرة: ١٢٩.　　　(٢) الصف: ٦.

٥٧٦٠ - * ورواه أحمدُ، عن أبى أمامةَ من قوله: «سأخبرُكم» إلى آخره.[٥٧٦٠]

٥٧٦١ -*وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ يوم القيامة ولافخر، وبيدى لواءُ الحمدِ ولافخر . وما من نبى يومئذ: آدمُ فمن سواهُ إلا تحتَ

الحديث السابع عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «ولافخر» حال مؤكدة، أى : أقول هذا ولافخر.

تو: الفخر ادعاء العظمة والمباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه.

مح: فيه وجهان: أحدهما: قاله امتثالا لأمر الله تعالى ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ (١).

وثانيهما: أنه من البيان الذى يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه فى توقيره ﷺ كما أمرهم الله تعالى به.

قال الراغب: فإن قلت: كيف استحسن مدح الإنسان نفسه وقد علم فى الشاهد استقباحه؟ حتى قيل للحكيم: ما الذى لايحسن وإن كان حقًا؟ قال: مدح الإنسان نفسه؟.

قلنا: قد يحسن ذلك عند تنبيه المخاطب على ماخفى عليه من حاله، كقول المعلم للمتعلم: اسمع منى فإنك لاتجد مثلى، وعلى ذلك قول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾(٢)وسئل بعض المحققين عن شىء لم يقبح إطلاقه فى الله تعالى مع ورود الشرع فأنشد:

ويقبح من سواك الفعل عندى	وتفعله فيحسن منك ذاكا

قال الشيخ أبو حامد فى الإحياء: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «المدح هو الذبح» وذلك لأن المذبوح هو الذى يفتر عن العمل، فكذلك الممدوح، لأن المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب، وهو لذلك مهلك كالذبح، فإن سلم المدح عن هذه الآفات لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبًا إليه، ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة، وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرًا وعجبًا، بل يزيدهم جدًا ببعثهم على أن يزيدوا فيما يستوجبون الحمد من مكارم الأخلاق.

نه: قاله ﷺ إخبارًا عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد، وتحدثًا بنعمة الله تعالى عنده، وإعلامًا لأمته ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله: «ولا فخر» أى

[٥٧٦٠] مسند أحمد ٤/ ١٢٧.

(١) الضحى: ١١.	(٢) يوسف: ٥٥.

لوائى، وأنا أوَّلُ مَن تنشق عنه الأرضُ ولافخر». رواه الترمذى.[٥٧٦١]

٥٧٦٢ - * وعن ابن عبَّاس، قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسولِ الله، فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، قال بعضهم: إنَّ الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال

أن هذه الفضيلة التى نلتها كرامة من الله تعالى لم أنلها من قبل نفسى، ولا بلغتها بقوتى، فليس لى أن أفتخر بها.

واللواء: الراية، ولايمسكها إلا صاحب الجيش، يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة على رءوس الخلائق، والعرب تضع اللواء موضع الشهرة.

أقول: فعلى هذا لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رءوس الخلائق.

ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى: لواء الحمد، وعليه كلام الشيخ التوربشتى حيث قال: لامقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد، ودونه تنتهى سائر المقامات، ولما كان نبينا سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أحمد الخلائق فى الدنيا والآخرة أعطى لواء الحمد، ليأوى إلى لوائه الأولون والآخرون، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «آدم فمن دونه تحت لوائى» ولهذا المعنى افتتح كتابه بالحمد، واشتق اسمه من الحمد فقيل: محمد وأحمد، وأقيم يوم القيامة المقام المحمود، ويفتح عليه فى ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على أحد قبله ولا يفتح على أحد بعده، وأمد أمته ببركته من الفضل الذى أتاه فنعت أمته فى الكتب المنزلة قبله بهذا النعت فقال: أمته الحامدون يحمدون الله فى السراء والضراء، ولله الحمد أولا وآخرًا.

قوله: «وما من نبى يومئذ آدم» «نبى» **نكرة وقعت فى سياق النفى وأدخل عليه «من» الاستغراقية فيفيد استغراق الجنس.**

وقوله: «آدم فمن سواه» بدل أو بيان من محله، و«من» فيه موصولة و«سواه» صلته، وصح لأنه ظرف، وأوثر الفاء التفصيلية فى «فمن سواه» على الواو للترتيب على منوال قولهم: الأمثل فالأمثل.

الحديث التاسع عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله «سمعهم» حال من الضمير فى «دنا» وقد مقدرة.

و«يتذاكرون» حال من الضمير المنصوب فى «سمعهم».

[٥٧٦١] انظر صحيح الجامع ١٤٦٨.

آخر: موسى كلمه الله تكليمًا، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «قد سمعتُ كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولافخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولافخر، وأنا أوَّل شافعٍ وأوَّل مشفَّع يوم

والفاء في قوله: «فعيسى» جواب شرط محذوف، أى إذا ذكرتم الخليل والكليم فاذكروا عيسى كقوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم﴾[1] أى إذا افتخرتم بقتلهم فإنكم لم تقتلوهم.

وقوله: «كلمة الله» سمى بها لأنه وجد من غير واسطة أب.

و«روحه» إضافة تشريف كبيت الله ونحوه.

وقوله: «فخرج عليهم رسول الله ﷺ »كرره لينيط به غير ما أناط به أولا، أو يكون خرج أولا من مكان وثانيًا منه إلى آخر.

وقوله: «قد سمعت كلامكم» من باب قوله: قلدته سيفًا ورمحًا، أى سمعت كلامكم وأدركت عجبكم.

قوله: «وأنا حبيب الله ولافخر» هو قريب من القول الموجب ، قرر أولا ما ذكر من فضائلهم بقوله: «وهو كذلك» ثم نبه على أنه أفضلهم وأكملهم وجامع لما كان متفرقاً فيهم، فالحبيب خليل ومكلم ومشرف.

وقيل: من قاس الحبيب بالخليل فقد أخطأ ، لأن الحبيب من جهة القلب، يقال: حببته أى أصبت حبة قلبه، كما يقال: كابدته وراءسته وفاءدته، أى أصبت كبده ورأسه وفؤاده.

والخليل من الخلة وهى الحاجة، أى المحب لحاجته إلى من يخالله، والحبيب محب لا لحاجته.

وعن جعفر بن محمد قال: أظهر اسم الخلة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام لأن الخليل ظاهر فى المعنى، وأخفى اسم المحبة لمحمد ﷺ لتمام حاله إذ لايحب الحبيب إظهار حال حبيبه بل يحب إخفاءه وستره لئلا يطلع عليه سواه، ولايدخل أحد فيما بينهما، وقال لنبيه وصفيه لما أظهر له حال المحبة: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾[2] وليس الطريق إلى محبة الله إلا باتباع حبيبه، ولايتوصل إلى الحبيب بشىء أحسن من مصاحبة حبيبه وطلب رضاه.

---

(١) الأنفال: ١٧ (١) آل عمران: ٣١

القيامة ولافخر، وأنا أوَّل من يحرك حلق الجنَّةِ فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولافخر، وأنا أكرمُ الأولين والآخرين على الله ولافخر» رواه الترمذى والدارمى. [٥٧٦٢]

٥٧٦٣ - * وعن عمرو بن قيس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون،

غب: قيل الخلة تنسب إلى العبد ولاتنسب إلى الله تعالى، فيقال: إبراهيم خليل الله، ولايقال: الله خليل إبراهيم، وهو وإن كان من الأسماء المتضايفة التى يقتضى وجود أحدهما وجود الآخر وارتفاعه ارتفاع الآخر، إلا أنه ليس المراد بقولهم: «إبراهيم خليل الله »مجرد الصداقة بل المراد الفقر إليه، وخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم وإن شاركته الموجودات كلها فى افتقارها إليه لمعنى فيه، وهو أنه لما استغنى عن المعينات من أعراض الدنيا واعتمد على الله حقا وصار بحيث لما قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وصبر إذ ألقى فى النار، وعرض ابنه للذبح، صار لاستغنائه عما سواه فقيراً إليه، فخص بهذا الاسم.

أما المحبة فأجيز نسبتها إلى الله تعالى، فقيل: محمد حبيب الله ، وقد قال الله تعالى: **﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾** (١) وقال الله تعالى: **﴿فاتبعونى يحببكم الله ﴾**(٢) قال بعض الصوفية: من أحب الله فهو المراد ومنزلته منزلة من سأله فقال: **﴿رب اشرح لى صدرى﴾** (٣)ومن أحبه الله فهو المراد ومنزلته منزلة من قال له: **﴿ ألم نشرح لك صدرك﴾**(٤)قوله: «ومعى فقراء المؤمنين» هذا دليل على فضلهم وكرامتهم على الله تعالى، لأنهم استحقوا محبة الله تعالى لمتابعتهم حبيبه واتصافهم بصفته، وليس الفقر عند الصوفية الفاقة والحاجة،بل الفقر عندهم الحاجة إلى الله تعالى لا إلى غيره، والاستغناء به لا عنه بغيره،

قال الثورى*: نعت الفقير السكون عند العدمْ والبذل عند الوجود.

وقيل لسهل بن عبدالله : أليس النبى ﷺ استعاذ من الفقر؟.

فقال: إنما استعاذ من فقر النفس، الذى مدح صلى الله عليه وسلم الغنى فى ضده فقال: «الغنى غنى النفس» فكذلك الفقر المذموم فقر النفس، وهو الذى استعاذ منه النبىﷺ.

الحديث العاشر عن عمرو رضى الله عنه: قوله: «نحن الآخرون» يعنى فى المجىء إلى

[٥٧٦٢] قال الشيخ : إسناده ضعيف .

(١) المائدة: ٥٤. (٢) آل عمران: ٣١.

(٣) طه: ٢٥ . (٤) الانشراح: ١.

* هكذا فى (ك) وفى (ط) [النووى].

ونحن السَّابقون يوم القيامة، وإنى قائل قولا غير فخرٍ: إبراهيمُ خليل الله، وموسى صفيُّ الله، وأنا حبيب الله، ومعى لواء الحمد يوم القيامة، وإن الله وعدنى فى أمتى، وأجارهم من ثلاث: لايعمُّهم بسنةٍ، ولايستأصلهم عدو، ولايجمعهم على ضلالةٍ». رواه الدارمى. [٥٧٦٣]

٥٧٦٤ - * وعن جابر، أن النبىَّ ﷺ قال: «أنا قائدُ المرسلينَ ولافخر، وأنا خاتمُ النبيين ولافخر، وأنا أوَّلُ شافعٍ ومشفَّعٍ ولافخر». رواه الدارمىُّ. [٥٧٦٤]

٥٧٦٥ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُ النَّاس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفَدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصَتوا، وأنا مُستشفعهم إذا حُبسوا، وأنا مُبشرُهم إذا أيسوا الكرامةَ، والمفاتيحُ يومئذ بيدى، ولواءُ الحمدِ يومئذ بيَدى، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربِّى، يطوفُ علىَّ ألفُ خادمٍ كأنَّهنَّ بَيْضٌ مكنونٌ، أو لؤلؤٌ منثورٌ». رواه الترمذى، والدارمى، وقال الترمذىُّ: هذا حديثٌ غريبٌ. [٥٧٦٥]

٥٧٦٦ - * وعن أبى هريرة، عن النبىﷺ، قال: «فأكسا حُلَّةً من حُللِ الجنَّةِ،

والسابقون: فى دخول الجنة وغيرها من الفضائل.

و«فى أمتى» أى فى شأنهم وشفاعتهم وتخليصهم.

«وأجارهم» أى أنقذهم.

الحديث الحادى عشر والثانى عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فأنا خطيبهم إذا أنصتوا» أى أنا المتكلم من بين الناس حين سكتوا عن الاعتذار فأعتذر لهم عند ربهم، فأطلق لسانى بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ولم يؤذن لأحد فى التكلم.

قوله: «وأنا مستشفعهم» فى بعض النسخ بفتح الفاء على بناء المفعول من قولهم: استشفعته إلى فلان، أى سألته أن يشفع إليه.

وفى بعضها بكسر الفاء على بناء الفاعل، أى سألت الله أن أكون شفيعا لهم.

الحديث الثالث عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فأكسا» عطف على مقدر على ما رواه صاحب الجامع.

[٥٧٦٣] أخرجه أحمد فى مسنده ٢/ ٢٤٣.

[٥٧٦٤] انظر ضعيف الجامع ١٤١٦

[٥٧٦٥] انظر دلائل النبوة (٥/ ٢٤٨٤) شرح السنة (١٣/ ٢٠٣)

ثمَّ أقومُ عنْ يمينِ العرشِ ليسَ أحدٌ منَ الخلائقِ يقومُ ذلكَ المقامَ غيرى». رواه الترمذىُّ. وفى رواية «جامــع الأصول» عنه: «أنا أوَّلُ منْ تنشق عنه الأرض فأكسا».

٥٧٦٧ - * وعنه، عن النبى ﷺ قال: «سلوا الله لى الوسيلةَ» قالوا: يارسول الله، وما الوسيلةُ؟ قال: «أعلى درجةٍ فى الجنَّة لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ وأرجو أن أكون أنا هو». رواه الترمذى.[٥٧٦٧]

٥٧٦٨ - * وعن أبىٍّ بن كعب، عن النبى ﷺ قال: «إذا كانَ يوم القيامةِ كنتُ إمامَ النبيين، وخطيبَهم، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر». رواه الترمذى.[٥٧٦٨]

٥٧٦٩ - * وعن عبدِالله بنِ مسعود، قال: قال رسول الله ، : «إنَّ لكلِّ نبى ولاة

الحديث الرابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «سلوا الله لى الوسيلة» هى المذكورة فى دعاء الأذان: «آت محمدًا الوسيلة».

نه: هى فى الأصل ما يتوصل به إلى الشىء ويتقرب به، وجمعها: وسائل، يقال: وسل إليه وسيلة وتوسل - انتهى كلامه- .

وإنما طلب صلى الله عليه وسلم من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقارًا إلى الله وهضمًا لنفسه، أو لتنتفع أمته وتثاب به، أو يكون إرشادًا لهم فى أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له.

وقوله: «أن أكون أنا هو» قد وضع فيه الضمير المرفوع مقام المنصوب فى خبر كان، وقد سبق بيانه مرارًا.

وقوله: «وما الوسيلة؟» معطوف على مقدر ، أى نفعل ذلك وما الوسيلة؟.

الحديث الخامس عشر عن أبىٍّ رضى الله عنه: قوله: «إمام النبيين» تو: هو بكسر الهمزة، والذى يفتحها ينصبها على الظرف لم يصب.

الحديث السادس عشر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: قوله: «ولاة من النبيين» تو: أى أحباء وقرناء وهم أولى به من غيرهم.

[٥٧٦٧] انظر صحيح الترمذى ٢٨٥٧.

[٥٧٦٨] انظر صحيح الترمذى ٢٨٥٨.

من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربِّي. ثم قرأ: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للَّذين اتَّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾(١). رواه الترمذي.[٥٧٦٩]

٥٧٧٠ - * وعن جابرٍ، أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لِتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال» رواه في «شرح السنة».[٥٧٧٠]

«وإن وليي أبي» يعني به إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد بينه بقوله: «وخليل ربي»، وفي كتاب المصابيح: «وإن وليي ربي» وهو غلط، ولعل الذي حرف هذا دخل عليه من قوله سبحانه: ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب﴾ (٢)والرواية على ما ذكرناه هو الصواب.

مظ: لو كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب أن يكون: وليي أبي خليل ربي من غير واو العطف الموجب للمغايرة، وبإضافة الخليل إلى ربي ليكون عطف بيان لأبي.

أقول: والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع الأصول، وكذا في مسند أحمد بن حنبل أيضًا، وأيضًا لو ذهب إلى أن خليل ربي عطف بيان بلا واو لزم خمول كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبا النبي ﷺ ووليه فأتى به بيانًا، وإذا جعل معطوفًا عليه لزم شهرته به، والعطف يكون لإثبات وصف آخر له عليه الصلاة والسلام على سبيل المدح، فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك، ونحوه في الاعتبار قول الشاعر:

إنا بني نهشل لاندعي لأب عنه ولاهو بالأبناء يشرينا

أي أنا أذكر من لايخفى شأنه ولايفعل كذا، فلو جعل بنو نشهل خبرًا لزم خمول المتكلم أو الجهل بارتفاع شأن قومه.

فإن قلت: لزم من قوله: «لكل نبي ولاة» أن يكون لكل واحد منهم أولياء متعددة؟.

قلت: لا لأن **النكرة المفردة إذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق**، أي: أن لكل واحد واحدًا لقوله تعالى: ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام**﴾ (٣).

الحديث السابع عشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: «مكارم الأخلاق » هو من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولهم: جرد قطيفة، وأخلاق ثياب.

[٥٧٦٩] انظر صحيح الترمذي ٢٣٩٤

[٥٧٧٠] انظر شرح السنة (١٣/٢٠٢)

(١) آل عمران: ٦٨. (٢) الأعراف: ١٩٦.

(٣) لقمان: ٢٧.

٥٧٧١ - * وعن كعب يحكى عن التوراة قال: نجد مكتوبًا محمدٌ رسولُ الله عبدى المختار، لافظٌ ولاغليظٌ، ولاسخَّاب فى الأسواق، ولايجزى بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام، وأمته الحمَّادون، يحمدون الله فى السَّراءِ والضَّراء، يحمدون الله فى كلِّ منزلة، ويكبرونه على كل شرفٍ، رعاةٌ للشمس، يصلُّون الصلاة إذا جاء وقتها ، يتأزرون على أنصافهم، ويتوضئون على أطرافهم ، مُناديهم يُنادى فى جوِّ السَّماء، صفُّهم فى القتال وصفُّهم

وكذا قوله: «محاسن الأفعال».

غب: كل شئ يشرف فى باب فإنه يوصف بالكرم، قال تعالى: ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (١) ﴿ومقام كريم﴾ (٢) ﴿ إنه لقرآن كريم﴾ (٣) وإذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التى تظهر منه، ولايقال: هو كريم، حتى يظهر ذلك منه، قال بعض العلماء: الكرم كالحرية، إلا أن الحرية قد تقال فى المحاسن الصغيرة والكبيرة، والكرم لايقال إلا فى المحاسن الكبيرة - انتهى كلامه-.

ومعنى هذا الحديث وحديث أبى هريرة رضى الله عنه: «مثلى ومثل الأنبياء» إلى قوله: «أنا سددت موضع تلك اللبنة» يلتقيان فى معنى إتمام الناقص.

الحديث الثامن عشر عن كعب رضى الله عنه:

قوله: «ملكه بالشام» مظ: أراد بالملك هاهنا النبوة والدين، فإن ذلك يكون بالشام أغلب، وإلا فملكه بجميع الآفاق لقوله: «وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها»، وقيل: معناه الغزو والجهاد ثمة لأنها تصير بلاد الكفار، والجهاد ملكًا لأهل الإسلام، ولهذا لاينقطع الجهاد فى بلاد الشام أصلا، وأمره بالمسافرة إليها لإدراك فضيلة الجهاد والمرابطة فى سبيل الله.

«يحمدون الله فى كل منزلة» أى فى كل منزل، لعل تأنيثه باعتبار البقعة والناحية، قال ذو الرمة:

أمنزلتى مي سلام عليكما.

أى: يا منزلتى مي، إذا نزلوا شكروا الله تعالى عليه لأنه آواهم إلى المنزل والسكون فيه.

قوله: «على كل شرف» أى يكبرون الله على كل موضع عال، تعجبًا لعظمة الله تعالى وقدرته، لما يشرفون منها على عجائب خلق الله.

---

(١) ق: ٧. (٢) الشعراء : ٥٨.

(٣) الواقعة: ٧٧.

فى الصلاة سواءٌ، لهم بالليل دويٌ كدويِّ النحلِ». هذا لفظ «المصابيح». وروى الدارمى مع تغيير يسير. [٥٧٧١]

٥٧٧٢ - * وعن عبدِالله بنِ سلام، قال: مكتوبٌ فى التوراة: صفةُ محمَّد وعيسى بن مريم يُدفَنُ معه. قال أبو مودود: وقد بقى فى البيت موضع قبره. رواه الترمذى. [٥٧٧٢]

قوله: «على كل شرف» أى يكبرون الله على كل موضع عال، تعجبًا لعظمة الله تعالى وقدرته، لما يشرفون منها على عجائب خلق الله.

قوله: «ورعاة للشمس» جمع راع، أى أنهم يحفظون أوقات الصلاة بطلوع الشمس وغروبها ودلوكها، يراقبون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت الصلاة كيلا تفوت عنهم الصلاة فى وقتها.

وقوله: «يتأزرون على أنصافهم» أى يشدون الإزار على أنصافهم من السرة إلى الركبة، أو يشدون معقد السراويل، والمراد مبالغتهم فى ستر عوراتهم، ويجوز أن يكون على معنى إلى، أى: أزرهم إلى أنصاف سوقهم.

أقول: وفيه إدماج لمعنى التجلد والتشمر للقيام إلى الصلاة، لأن من شد إزاره إلى ساقه شمر لمزاولة ما اهتم بشأنه، يقال: كشف عن ساق الجد، وقامت الحرب على ساقها.

أو يكون كناية عن التواضع والإخبات، كما أن جر الإزار كناية عن الكبر والخيلاء.

«ويتوضئون على أطرافهم» أى يصبون الماء فى التوضؤ على أطرافهم، ويسبغون أماكن الوضوء.

«مناديهم ينادى فى جو السماء» أى يؤذن مؤذنهم فى مواضع عالية كالمنارة وغيرها.

وقوله: «صفهم للقتال شبه صفوفهم فى الجماعات» شبه صفوفهم فى الجماعات - بسبب مجاهدتهم النفس الأمارة والشيطان- بصف القتال والمجاهدة مع أعداء الدين، وأخرجه مخرج التشابه فى التشبيه إيذانًا بأن كل واحد منهما يصح أن يكون مشبها ومشبهًا به، بل أخر ذكر صف الصلاة، ليكون مشبهًا به لكونه أبلغ.

[٥٧٧١] شرح السنة ٣٦٢٨ (١٣/٢٠٩).

[٥٧٧٢] قال الشيخ: إسناده ضعيف.

الفصل الثالث

٥٧٧٣ - * عن ابن عبَّاس، قال: إنَّ الله تعالى فَضَّل محمَّداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء. فقالوا: يا أبا عبَّاس! بم فَضَّله الله على أهل السَّماء؟ قال: إنَّ الله تعالى قال لأهل السماء ﴿**ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين**﴾[1]. وقال الله تعالى لمحمَّد ﷺ : ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر**

معه» هذا هو المكتوب فى التوراة، أى مكتوب فى التوراة صفة محمد ﷺ كيت وكيت، وعيسى ابن مريم يدفن معه، أو المكتوب صفة محمد كذا وعيسى بن مريم يدفن معه.

وأبو مودود هو أحد رواة الحديث. «مدنى».

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «**ومن يقل منهم إنى إله من دونه**» يفهم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته فى مخاطبة أهل السماء، وفرض ما لايتأتى منهم وجعله كالواقع، وترتب الوعيد الشديد عليه إظهار لكبريائه وجلالته، وأنهم بعداء من أن ينسبوا إلى ما يشاركونى، كقوله تعالى: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا**﴾[2] تحقيرًا لهم وتصغيراً لشأنهم.

ومن ملاطفته بالخطاب معه ﷺ، وأن ما صدر أو يصدر منه مغفور، وجعل فتح مكة عليه للمغفرة والنصرة وإتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم وإنزال السكينة فى قلوب المؤمنين، انظركم التفاوت بين هذا الوعد وذلك الوعيد.

وأما بيان فضله على الأنبياء: فإن الآية دلت على أن لكل نبى مرسل إلى قوم مخصوص وهو ﷺ مرسل إلى كافة الناس، ولا ارتياب بأن الرسل إنما بعثوا لإرشاد الخلق إلى الطريق المستقيم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، فكل من كان منهم فى هذا الأمر أكثر تأثيرًا كان أفضل وأفضل، فكان له صلى الله عليه وسلم فيه القدح المعلى، وحاز قصب السبق، إذ لم يكن مختصاً بقوم دون قوم، وزمان دون زمان، بل دينه انتشر فى مشارق الأرض ومغاربها، وتغلغل فى كل مكان، واستمر امتداده على وجه كل مكان، زاده الله شرفاً على شرف، وعزًا على عز، ماذر شارق ولمح بارق، فله الفضل بحذافيره سابقًا ولاحقًا، ولقد صدق الله وعده فى قوله تعالى: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون**﴾[3] وحقق قول حبيبه ﷺ فيما أخبر به من قوله:

---

(١) الأنبياء : ٢٩.　　(٢) الصافات: ١٥٨ .

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخَّر﴾(١) قالوا: وما فضله على الأنبياء ؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء﴾(٢) الآية، وقال الله تعالى لمحمَّد ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾(٣) فأرسله إلى الجن والإنس.

٥٧٧٤ - * وعن أبى ذر الغفارى، قال: قلت: يارسول الله ! كيف علمتَ أنَّك نبى حتى استيقنت؟ فقال: «يا أبا ذر! أتانى ملكان وأنا ببعض بطحاءِ مكة، فوقعَ أحدهما إلى الأرض، وكان الآخر بين السَّماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. قال فزنه برجل، فوُزنت به فوزنته، ثم قال: زنه بعشرةٍ، فوزنتُ بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم فرجحتهم ، كأنى أنظر إليهم ينتثرون عليَّ من خِفَّة الميزان. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها». رواهما الدارمى.[٥٧٧٤]

«زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، فسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها».

قوله: «فأرسله» الفاء للتعقيب، ظاهر العبارة يقتضى أن يكون للنتيجة وتوجيهه أن تعريف: «الناس» لاستغراق الجنس، وكافة تكف، كل فرد من أفراد هذا الجنس أن يخرج من الإرسال، لأن «كافة» إما حال من المفعول أو صفة مصدر محذوف، والجن تبع للإنس، وهداية الجن تابعة لهداية الإنس، فمن طريق هذا الالتزام يلزم تناول رسالته ﷺ للثقلين جميعاً.

الحديث الثانى عن أبى ذرٍ رضى الله عنه: قوله: «حتى استيقنت؟» حتى غاية للعلم، أى كيف تدرجت فى العلم حتى بلغ علمك غايته التى هى اليقين؟.

قوله: «فوزنته» أى غلبته فى الوزن.

«ينتثرون على » أى يتساقط الألف الموزون على من خفة تلك الكفة.

وفيه: أن الأمة كما يفتقرون فى معرفة كون النبى صادقًا إلى إظهار خوارق العادات بعد التحدى، كذلك النبى يفتقر فى معرفة كونه نبيًا إلى أمثال هذه الخوارق.

[٥٧٧٤] والصحيحة بنحوه ١٥٤٥.

(١) الفتح: ١ :٢. (٢) إبراهيم : ٤.

(٣) سبأ : ٢٨.

٥٧٧٥ - * وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «كتبَ عليَّ النحر ولم يكتب عليكم، وأمرتُ بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها». رواه الدارقطنى.[٥٧٧٥]

الحديث الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «كتب على النحر» أى أوجب، وعنى به قوله: ﴿ **فصل لربك وانحر**﴾[1] ولم يوجد فى الأحاديث وجوب الضحى عليه صلى الله عليه وسلم إلا فى هذا الحديث، والله أعلم.

[٥٧٧٥] قال الشيخ: إسناده ضعيف.

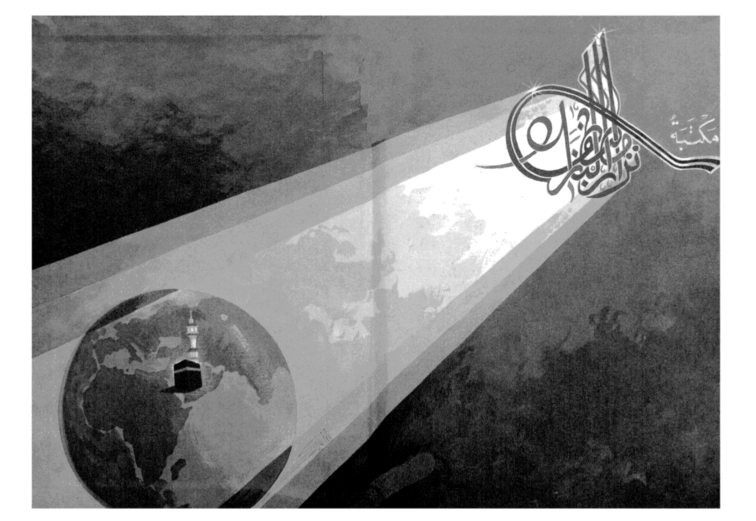
(١) الكوثر: ٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الجزء الحادي عشر لشرح الطيبى

❀ ❀ ❀




مكتبة

